

شذرات الصباح

www.ebibliomania.com



+201065534541
+201208868826



fb.com/Books.Bibliomania/



fb.com/bibliomania.eg/



Insta:books.bibliomania/

Books ببليومانيا

fb.com/groups/Bibliomania.Books/



@BibliomaniaEg

شذرات الصباح

خواطر

السيد عمري



لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر مقدماً.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.



事項誌書

❖ الكتاب: شذرات الصباح

❖ المؤلف: السيد حمدي

❖ نوع العمل: خواطر ومقالات

❖ الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - القاهرة

❖ الناشر: ببليومانيا للنشر والتوزيع - مصر

❖ رقم الإيداع : 5769 / 2019

❖ التقييم الدولي (ISBN): 978-977-6607-92-7

❖ تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببليومانيا

❖ تدقيق: ببليومانيا

❖ الغلاف: فريق تصميمات ببليومانيا

❖ المدير العام: جمال سليمان

❖ العنوان: 27 شارع جمال الدين دويدار من عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

❖ 38 شارع عمر المختار - الأميرية - القاهرة

❖ تليفاكس: 0020226061014

❖ محمول: 00201208868826 - 00201065534541 - 00201210826415

❖ صفحة الدار على موقع فيسبوك: <https://www.facebook.com/bibliomania.eg/>

❖ الموقع الإلكتروني: www.ebibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، وبدون أدنى مسؤولية على دار ببليومانيا للنشر والتوزيع

إهداء

إلى روح أبي ، وقلب أمي ، وإلى أستاذي الأول الذي علمني
كيف أمسك بالقلم .
وإلى أستاذي الذي علمني ألا أستسلم لحوادث الزمن ، وكيف
أخط الكلمات بلا ندم ..
إلى زوجتي الحبيبة صاحبة القلب الطيب .. وإلى كل طيب !

مقدمة المؤلف

هذا الكتاب الذي بين أيديكم (شذرات الصباح) هو نتاج سنوات طوال قضيتها في تحصيل العلم، والسفر، والعمل، والآن أنقل لكم عصارة أفكاري وبعض خبراتي التي اكتسبتها خلال هذه السنوات.

ففي تلك السنوات درست بالأزهر، وتعددت قراءاتي، وتعلمت وعملت مع مختلف الجنسيات، وامتهنت الإعلام، علاوة على دراسة بعض العلوم الإنسانية كالسياسة وغيرها، لذلك ستجدون في هذا الكتاب خواطر متنوعة تجول في عالم الأدب والفن حيناً، ثم تحلق في أجواء السياسة دون أن تغفل أثرهم المباشر وغير المباشر على المجتمع، والتربية، وكافة فنون الحياة التي تمس الإنسان وتحدد ثقافته وحياته.

ولعل سر حبي لهذا الكتاب وحرصي على إيصاله لكل شخص في يده، كونه ثمرة نعمة لطالما نغفل عنها، وكنت أنا أول الغافلين عنها، وبمجرد أن وعيت لها وبدأت في شكر الله عليها واستغلالها، تغيرت جل المفاهيم عندي، وبها زاد شكري لله، وطار عقلي في ملكوته يجول ويصول، فسما فكري وتحركت عاطفتي نحو كل نعمة رزقنا الله إياها ونتعمد أن نغفلها.

كنت أستغرق من بيتي لمقر عملي ما يقارب الساعة، وحالي كحال أي شخص يركز في سطحيات الأمور أتأفف من ازدحام الطرق وأسخط على كل ما هو حولي، إلى أن كان الموقف الذي فرض نفسه علي وكأنه هبة من الله ودعوة مباشرة ألم أقل لكم (وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ) فهنيئاً لمن يتأمل وإذا تأمل تدبر وإذا تدبر انتفع، ولم يقف عند حدود النظر

المشهود للعيان، وسما بروحه عائما بين جنبات نفسه يصلح ما أفسده الزمان ،
ويشكر الله كل لحظة على نعمه.

وهنا كان القرار، دربت عقلي على تلك القيمة العظيمة ، فتارة أتأمل في يومي ،
وتارة في غدي ، وكثيرا ما كان عقلي يصلول ويجول في الماضي ، لأتذكر أمورا
وأحداثا كان لها أبلغ الأثر في حياتي ..

ثم عند الوصول إلى مكتبي وقبل الشروع في العمل أدون ما كنت أفكر به ، وما
طراً على خاطري .. فكان هذا الكتاب الصغير الذي أرجوا أن يكون إضافة لكل من
يقرأه والله أسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان الحسنات.

امدح الفعل الحسن ولو كان من عدوك

كان من عادة كفار مكة الاستهزاء بكل ما يمت للإسلام بصلة حتى الأذان .. وفي مرة اجتمعوا يحاكون صوت الأذان بسخرية وكان منهم صاحب صوت جميل يدعى (أبو محذورة) فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم فأمر به ولما مثل بين يدي المصطفى أثنى على صوته وامتدحه، ثم مسح على ناصيته وصدره بيده الشريفة داعيا له فأسلم الرجل وصار مؤذن المسلمين في مكة وبلال في المدينة .. امدح الفعل الحسن ولو كان من عدوك وأنكر الفعل السيئ ولو كان من أخوك .. قاعدة تربوية جميلة ليتنا طبقناها وجنبنا هوي أنفسنا قليلا ..

الهدهد المعلم

قدم الهدهد ذلك الجندي الصغير ضئيل الحجم في جيش سليمان ، قيمة كبيرة لا يقدر عليها كثير من الخلق ، فحينما ساقه القدر ليرى مملكة سبأ وما يحدث فيها ، عاد إلى سيدنا سليمان وقال له : (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) .

يعلمنا ذلك الطائر الصغير الدقة ، والإنصاف ، فلم يقلل من قوة المرأة وملكها ، بدا ذلك في قوله (وأوتيت من كل شيء) من عدة وعتاد وقوة عسكرية ومادية كبيرة ..

وما حجم ما تملكه ملكة سبأ في مقابل ما يملكه سيدنا سليمان ؟
فقد طوع الله له الجن والإنس والرياح ، وعلمه لغة الطيور والحشرات ، وعلمه ما لم يتعلمه أحد من البشر .. لكن إنصاف الهدهد دعاه لأن يصف الواقع كما هو دون تقليل ولا تضخيم ، ولا نفاق ولا تحوير ، بل ذكر الإيجابيات والسلبيات ، عوامل القوة وعوامل الضعف ..

أمور كثيرة لفتت انتباهي أثناء دراسة علم الاجتماع ، سأذكر أمرين بشيء من التوضيح ..

الأول : أن ابن خلدون المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع توصل لحقائق ووضع قوانين اجتماعية أذهلت علماء الغرب من قوتها ودقتها رغم الصعوبات والتحديات التي لازمت الفترة التي عاش فيها.. وتساءل كثير منهم : كيف استطاع هذا العقل أن ينجز هذا الاجتهاد الضخم وحده .. لاشك كان خارقاً !

المؤسف أن هناك من علماء المسلمين في آديباتهم كالإمام السخاوي في الضوء اللامع خرج يلمز في ابن خلدون ، ويطعن فيه ، دون ذكر حسنة من حسنات الرجل ، وكان من ضمن ما قاله تجربحا في الرجل : إن ابن أخته كان شاذا جنسيا ! فالسخاوي على علمه لم يقرأ يقينا للرجل ، ولم يطلع على عظمة أفكاره التي مثلت المادة الخادم لكل من جاءوا من بعده من علماء الاجتماع ، وركز فقط على أمر لا يعيب الرجل وأفسد سمعته بين طلبة العلم بما يصرف الأنظار عنه وعن علمه ! منطلقات منهجية خاطئة وعقد نفسية جعلت بعض العلماء الكبار في التراث الإسلامي يحيدون عن جادة الصواب ، الأمر الذي يفرض على المجتهدين أن يعيدوا تقييم التراث الإسلامي وفق منهجية علمية منصفة ..

الأمر الثاني : يبرز في أدبيات كثير من علماء المسلمين نقد جارج لشخص (كارل ماركس) ويغضون الطرف عن أفكاره تماما ويهيلون التراب عليه وعلى أفكاره لأنه كان (شيوعيا) ..

شئنا أم أبينا كان كارل ماركس مفكرا ، موسوعيا ، ساهمت أفكاره في إقامة دول كبيرة كالاتحاد السوفيتي والصين ، وخرجت أفكاره ونظرياته والتي برزت متأثرة بالثورة الصناعية ، وما رافقها من تغير كبير في الحقائق الاجتماعية وتغيير أكبر في بنية المجتمع نابعة من فكرة محددة ترمي إلى إنهاء الطبقة الاجتماعية بما يرفع الظلم عن الكادحين وتأسيس مجتمع مرتكز على ملكية مشتركة لوسائل الإنتاج ، فدافع عن حق العامل الذي يعمل في مصنع للسيارات ولا يستطيع أن يركبها ، كما دافع عن حق العامل البسيط الذي يكسب ويتعب وتعبه يذهب لغيره . فتمحور اهتمامه حول تعزيز فكرة المساواة والتوزيع العادل للثروة وهي قيم تلتقي مع القيم التي نادى بها الإسلام أصلا .. وبالتالي لم يكن الرجل شيطانا رجيمًا

كما روج كثير من الإسلاميين ، بل كان صاحب تجربة إنسانية عميقة التقت مع كثير من القيم التي نادى بها الإسلام ، وهو ما يجب أن نبرزه للناس عند حديثنا عنه كما نجتهد في إبراز أفكاره الإلحادية حتى نتحلى بالإنصاف الذي تحلى به الهدهد !

ماذا رأي سيدنا موسى في البنت وماذا رأت هي فيه ؟

لم يكن سيدنا موسى قبل نزول الوحي عليه شابا عاديا ، بل كان أميرا حسن الوجه ، جميل الخلق والخلقة ، تربى في قصر الملك ، دلت كل مواقفه قبل نزول الوحي على أنه كان شابا جريئا، مقداما ، شهما ، قويا ، من قوته وكز رجلا فقضى- عليه !

بمقاييس العصر حلم كل فتاة ، ولهذا لما رأى شيخ مدين تلك الصفات لم يتردد أن يقول له : (أريد أن أنكحك إحدى ابنتي) بعناية شديدة اختار اللفظ ، فلم يقل (أقترح عليك) أو (اعرض عليك) أو غيرهما من الألفاظ المتشابهة ، بل قال (أريد) والتي تعني أمرين ؛ الأول : قوة طلب الرجل ، وعدم تردده ، والثاني : فتح المجال أمام موسى ورفع الحرج عنه من أن يتسرب إليه شعور الخجل الذي يرافق الغريب والهارب من بلده ..ما الذي رآته البنت في سيدنا موسى وجعلها توافق عليه ؟

رأت صفتين (القوة والأمانة) ، لكن ما الذي رآه موسى في البنت وجعله يقرر دون تردد أن يعمل أجيرا عند أبيها لمدة عشر سنوات بلا كلل أو ملل في مقابل أن تصير زوجة له ؟!

فقط الحياء .. (فجاءته إحداها تمشي على استحياء قالت) ، هذه الآية الكريمة تحمل جمالا غير عادي ، لاسيما حين تسمعها من مولانا الشيخ محمد رفعت رحمه الله ؛ فقد قرأها على هذا النحو (فجاءته إحداها تمشي على استحياء ... ثم توقف ، واستكمل قائلا : على استحياء قالت

ليخرج لنا علماء الأخلاق بقاعدة أصولية تقول : إن الحياء نوعان ؛ حياء في الفعل (تمشي) ، وحياء في القول (قالت) .. وهما ما قامت بهما الفتاة ابنة الشيخ !
يبرز في الآية سؤال آخر : هل كان الشيخ استغلاليا حين طلب ثمان سنوات ، ولم يرفق بحال موسى ؟

أتصور لا .. فقد قال له بعد طلبه : (وما أريد أن أشق عليك) ؛ فهو من جهة يعرف قدر ابنته التي أحسن تربيتها ، ومن جهة أخرى يعرف قوانين الاستبداد في مصر ، إذ كان الفار من قبضة فرعون يسقط عنه الحكم إذا مر عليه ثمان سنوات ، ومن ثم إن عاد بعد هذه المدة سقط عنه الحكم حتى لو كان إعداما ..
وكأن فرعون الطاغية أرحم من كثير من فراعين زماننا هذا ، وكأن حماه يريد تضمينا أن يحافظ على ابنته وزوجها من أن يقع لهما مكروها !!

لماذا سميت حروف الجر بهذا الاسم ؟

قبل فترة بسيطة مرت من أمامي مشكلة كبيرة بين أسرتين والسبب قد يبدو تافها !

لكن مع تفاهته يقع فيه كثير من الناس؛ متعلمهم ، وجاهلهم ، صغيرهم وكبيرهم ..

تتلخص المشكلة في أن أحدهم أراد أن يوصل رسالة فيها بعض العتاب والنصح لرجل آخر فاستعان بطرف ثالث ، وأبلغه ما يود إيصاله ..

وبعد أن وصلت الرسالة على لسان الوسيط ، تولدت مشاكل أكبر من المشكلة الأساسية ، التي من أجلها كان النصح والعتاب ..

لقد أخطأ الوسيط في إيصال الرسالة كما ينبغي ، فاستخدم كلمات وإيحاءات تعكس مضمون الرسالة ، وفهمها الطرف الثاني على غير حقيقتها ، فأتسعت دائرة الخلاف من حيث أراد الأول أن يقضي عليه !

في الواقع بعض الرسائل والمهام والتكليفات يحتاج المرء فيها أن يوصلها ، ويقوم بها بنفسه ، لا يعتمد على أحد ، فهو الأقدر على إيصالها على الوجه المطلوب دون زيادة أو نقصان ، وبعض المشكلات تحتاج وجوبا إلى الاستعانة بأحد المتخصصين الفصحاء ، والبارعين في اختيار الألفاظ ، والمعاني التي تقرب المسافات ، وتزيع العداوات ، وتلملم الشتات !

ولهذا لم يكن في استعانة سيدنا موسى بأخيه هارون انتقاصا منه ، بل زيادة في الرفعة والحكمة ، ذلك أنه بحكم مسؤولياته قرر أن يجعل الرجل المناسب في المكان المناسب ، بدا ذلك في قول الله تعالى (وأخي هارون هو أفصح مني لسانا

فأرسله معي ردءاً يصدقني إني أخاف أن يكذبون) ؛ فسيدنا موسى فصيح لا شك ، لكن هارون أفصح منه ، ومعلوم أن أفعال التفضيل تدل على شيئين اشتركا في صفة ولكن زاد أحدهما عن الآخر ، فلم يكن موسى عليه السلام يريد التنصل من مسؤولياته بل أراد أن يقوم بها على خير وجه حين قرر الاستعانة بآخر يملك أدوات تفوق أدواته المستخدمة في المهمة ..

يزعجني أن يخجل شخص عن إيصال رسالته بنفسه للطرف الذي أغضبه لأن الغرور والكبر أو الخجل تملكوا منه ، ولسوء نيته أو تقاعسه يتدخل طرف ثالث لا يحسن الإيصال فتتسع هوة الخلاف ، ويؤلني ألا يرسل الأفراد والأحزاب والكيانات والدول الرجال المناسبين في المكان المناسب !

خطر ببالي تلك الأمور التي تحدث ونراها يوميا في التفاعلات البشرية ، وأنا أتأمل صباح اليوم بعضا من علوم اللغة ، لاسيما حين توقفت عند عمل (حروف الجر) ..

يقول علماء اللغة إن عدد حروف الجر (19) حرفا ، ولما تأملت وظيفتها وجدتها غاية في الرقة واللفظ .. والتضحية .

قبل الحديث عن حروف الجر ينبغي أن نعلم أن هناك نوعين من المفعولات .
الأول : (المفعول المباشر) وهو الذي يتصل بالفعل مباشرة دون واسطة مثل (أكل محمد الحلوى) فأكل محمد للحلوى يتم مباشرة دون واسطة ..

الثاني : (المفعولات غير المباشرة) ، وهي التي لا تتصل بالفعل إلا بواسطة مثل (نام خالد على السرير) ، فهنا يلزم واسطة بين حدث (النوم) وبين (السرير) ، إذ

لا يصح الاتصال المباشر بين النوم والسرير إلا بواسطة وهي (على) فلا يجوز أن أقول : نام خالد السرير ..
سميت حروف الجر بهذا الاسم لأنها ارتضت لنفسها أن تكون حبلا ووسيلة بين الفعل والمفعول غير المباشر ، فهي (تجر) معنى الفعل إلى المفعول حين يتعذر الوصل المباشر !

(لا) الرافضة

من أكثر الكلمات استفزازا في اللغة العربية أو حتى في اللغات الأخرى كلمة (لا) على الرغم من أهمية النطق بها أحيانا ..
ولهذا كان العرب يمتدحون من لا يقول (لا) كما ورد في وصف الفرزدق رحمه الله
لزين العابدين بن الحسين رضي الله عنه في القصيدة المشهورة التي جاء في صدرها :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
ما قال (لا) إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاءُ نَعَمْ

ولهذا على حد علمي لا يستخدم الإنجليز كلمة (no) في تعاملاتهم بل يستخدمون عوضا عنها كلمات مرادفة أقل حدة من وقع (لا) على جهاز السمع !

اللغة التي زجت معلمها في السجون!!

اطلعت مؤخراً على دورة مطولة في مادتي النحو والصرف لاستعادة ما درسته سابقاً ، فوجدت شيئاً عجبياً ..

لم أجد مع المحاضر المتمكن تلك الكلاكيك التي نفرت كثيرين من دراسة هذا العلم الجميل ، ولم أجد عقداً أرهقت كاهل المتعلمين في المراحل الدراسية المختلفة ، بل وجدت علماً شيقاً لذيذاً ، ما أسهله !

تذكرت ما أورده سيدنا المنفلوطي في كتابه الماتع (النظرات) حينما أراد داود باشا - أحد وزراء تركيا في العهد القديم - أن يتعلم اللغة العربية، فأحضره أحد علمائه ، وأخذ يتلقى عنه علومها عهداً طويلاً. وكانت نتيجة عمله ما سنراه.

سأل داود باشا شيخه يوماً : ما الذي جناه عمرو من الذنوب حتى استحق أن يضربه زيدٌ كل يوم ؟

وهل بلغ عمرو من الذلة والعجز منزلةً من يضعف عن الانتقام لنفسه ؟! فأجاب الشيخ : ليس هناك ضارب ولا مضروب يامولاي، وإنما المسألة أمثلةٌ يأتي بها النحاة لتقريب القواعد من أذهان المتعلمين. فلم يعجب الباشا هذا الجواب وغضب عليه وأمر بسجنه.

ثم أرسل إلي نحوي آخر فسأله كما سأل الأول، فأجاب بمثل جوابه، فسجنه كذلك، ثم مازال يأتي بهم واحداً بعد واحد، حتي امتلأت السجون وأقفرت المدارس، وأصبحت هذه القضية المشؤومة الشغل الشاغل عن جميع قضايا الدولة ومصالحها.

ثم بدا له أن يستوفد علماء بغداد. فلما اجتمعوا في حضرة الوزير أعاد عليهم السؤال بعينه. فأجاب رئيس العلماء : إن الجناية التي جناها عمرو يا مولاي يستحق أن ينال لأجلها من العقوبة أكثر مما نال.

فسأله الباشا مسروراً : ما هي جنايته ؟

فقال له : إن هجم علي اسم مولانا الوزير واغتصب منه «الواو»، فسلط النحويون عليه زيداً يضربه كل يوم جزاء وقاحته وفضوله - وكان كبير العلماء يشير إلي زيادة « واو » عمرو وإسقاط الواو الثانية من « داود ».

فأعجب داود باشا بهذا الجواب كل الإعجاب.. وقال لرئيس العلماء : أنت أعلم من أقلت الغبراء وأظلمته الخضراء، فاقترح علي ما تشاء. فلم يقترح عليه سوي إطلاق سبيل العلماء المسجونين، فأمر بإطلاقهم، وأنعم عليه وعلي علماء بغداد بالجوائز والصلات.

لقد أحسن داود باشا في الأولي وأساء في الأخرى، ولو كنت مكانه لما أطلقت سبيل هؤلاء النحاة من سجنهم حتى آخذ عليهم عهداً وثيقاً أن يتركوا هذه الأمثلة البالية إلي أمثلة جديدة مستطرفة تؤنس نفوس المتعلمين، وتحول بينهم وبين النفور.

وهكذا وكأن المنفلوطي أراد أن يقدم النصح والإرشاد لكل المعلمين حاثاً إياهم أن يجددوا من أساليبهم بما يتناسب مع روح العصر حتى في شرح قواعد اللغة التي هي ثابتة لا تتغير، فلا بأس أن تبقى القاعدة ثابتة، ولا مانع أن يتغير الأسلوب وطريقة الوصول إلي المعلومة بشكل لطيف وظريف.

إلا لو كان الهدف هو تدمير اللغة العربية من الأساس !

كن مرنا حتى لا تصطدم بالصخر

بعض الأصدقاء لا تخلو حياته من منغصات ومشاكل ، سببها الأبرز عدم تحليه بالمرونة الكافية ، فلهذه تصورات عن الحياة ، والناس ، والقضايا لا تقبل التعديل أو الإضافة ..

قابلت صديقا كان يعمل مديرا كبيرا بإحدى الشركات العالمية ، ويتقاضى راتبا كبيرا ، وفي البلد الذي يقيم به حدثت متغيرات انعكست في تخفيض الرواتب بشكل كبير ، ما يعني صعوبة حصوله على الراتب الذي كان يتقاضاه قبل حدوث الأزمة ، لكنه أصر في كل مقابلة يجريها أن يحصل على نفس الراتب ، ولم يبد مرونة كافية في التعامل مع المتغيرات الجديدة ، فاستغنت عنه الشركة ، ولم تقبل به شركة أخرى ..

وهذا الذي رسم صورة ما عن حياته الزوجية ، وتولدت لديه قناعة لا تقبل التغيير عن شكل الحياة وعن سلوك الزوجة وطريقة تعاطيها معه ، ظنا منه أنه يحاكي فيلما مفعما بالرومانسية ، فلم يتغافل ولم يتنازل أحيانا .. فحصل الطلاق ! وهذا الذي وذاك الذي .. صور من الحياة لا يبدو منها إلا العناد المطلق ، والإصرار المرهق ..

الحياة كلها مبنية على المرونة والإنسان غير المرن سيصطدم بالصخر ، فجرب أن تسامح وتستمع للرأي الآخر وتقبل الأعذار ، والحكمة كل الحكمة في التغافل ، ووضع بدائل والتفكير في حلول أخرى .

خطرت ببالي تلك الخواطر صباحا وأنا استحضر بعضا من علوم اللغة العربية ..

فالأصل في الفعل الماضي أن يكون مبنيًا على الفتح مثل (دَهَبَ) لكنه قد يتنازل ويأتي مبنيًا على السكون لعلّة عارضة ، فحينما تتصل (التاء) بالفعل الماضي ؛ فالأصل أن يكون (دَهَبْتُ) بفتح الذال والهاء والباء وضم التاء ، غير أن توالي أربع متحركات متتالية مما يثقل على اللسان ؛ فجاء الحرف الثالث بالسكون ليكون بمثابة استراحة ..

فضحى الفعل وتنازل لئلا يكون هناك قبح في اللفظ ، واللغة العربية لم تكن بهذا الجمال الذي يُذهب العقل لاسيما عند قراءة قصيدة محببة إلا لوجود من يضحى ، فلو صمم الفعل الماضي ألا يأتي إلا مبنيًا على الفتح لحصل قبح في الكلام وثقل في النطق .

ومثال ذلك لو اتصل بالفعل الماضي واو الجماعة (ذهبوا) فالأصل أن يكون النطق بفتح الذال والهاء والباء ولكن بتنازل الباء عن الفتحة وقبول الضمة لملاءمة واو الجماعة صار النطق جميلا ..

جرب أن تنطقها بفتح الباء وسترى كم القبح !
وحيث يتصل الفعل الماضي (ذهب) بنون النسوة أيضا فيكون ذهبن فكان الأصل أن أقول ذهبن بفتح الأربع حركات ولكن رضيت الباء بالسكون بدلا من الفتح فرأينا السهولة واللين والجمال !

والأصل في الفعل الأمر أن يكون مبنيًا على السكون ..
لكنه قد يأتي مبنيًا على حذف النون إذا اتصل به ألف الاثنين أو واو الجماعة أو ياء المخاطبة ، مثل (افهما) ، و(افهموا) و(افهمي) ، فالأصل أن يكون (افهمان) و(افهمون) و(افهمين) ، لكن حذفنا حروفا من الكلمة لحصول التسهيل والتيسير

في النطق ، ولو أصر الفعل على العناد وعدم التنازل لحصل ثقل في النطق ، وقبح في الكلام .

ويتنازل فعل الأمر عن سكونه ويرضى بالفتح إذا اتصلت به نون التوكيد المباشرة مثل (افهَمَنَّ) ، فهنا تنازل حرف الميم عن السكون وقبل بالفتح لمناسبة السياق .
ويبنى فعل الأمر على حذف حرف العلة إذا كان معتل الآخر ومثال ذلك ، (امشي) ، لكن نقول (امش) بحذف حرف العلة للتخفيف على اللسان وحصول الجمال المنشود .

والأصل في الفعل المضارع الإعراب ؛ لكنه قد يأت مبنيًا على السكون إذا اتصل به نون النسوة مثل (يرضعن) والسكون يأتي ملاصقا للنسوة .. ويكأن اللغة تريد أن تقول لنا أن الأصل في النساء السكون والهدوء والاستثناء أن تكون (شعنونة) ؛ ولهذا أبدع الأعشى في هذا البيت الذي يصف فيه إحداهن (كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحاب لا ريث ولا عجل) ؛ فهنا يشبه مشيتها بالسحاب الذي بالكاد تلحظ حركته !

ويأتي الفعل المضارع كذلك مبنيًا على الفتح إذا اتصلت به نون التوكيد المباشرة مثل (يلعبَنَّ) ومن هنا سمي مضارعا ، فالمضارعة تعني المشابهة أي مشابهته للأسماء -- كونها معربة -- التي تختلف علامتها باختلاف المحل ..

أنماط الناس

والناس في دنيا الناس كالأفعال التي تتكون منها لغتنا العربية ؛ فمنهم من يكون (ناقصا) ومنهم (التام المكتمل) ومنهم الـ (الناقص) الذي يتحول إلى (تام) ، كقولك (ما شاء الله كان) ؛ فكان هنا ليست ناقصة ، بل فعل تام ، لاسيما إذا اقترنت بالله ، ومنهم (اللازم القانع) ومنهم (المتعدي) و (المتعدي) منهم قد لا يقنع بمفعول واحد بل يلزمه مفعولين وثلاثة !

وبعض الناس (مبنيا) لا يتأثر بالشهوات ولا المتغيرات مهما كانت قوتها ، وبعضهم (معربا) فيأتي مرة مرفوع الهامة ، ومرة مكسور الخاطر ، ومرة مجرورا على وجهه ، وبعضهم يعشق (الماضي) لا يبرح مكانه ، يتغنى بأمجاد من سبقوه ولا يلتفت إلى خيائته ولا يريد أن يتعلم من التاريخ ، وبعضهم ، (في حالة المضارعة) صحيح أنه تخلص من عقدة الماضي ، لكنه يستشرف ملامح المستقبل على مضض ، وبعضهم لا يجيد إلا (الأمر) ..

وبعضهم لا يعرف النقاء أبدا ، يعيش دائما في الشك ، وينتقل شكه من نفسه إلى المحيطين به ..

يظن كثير من الناس أن الفعل (ظن) يأتي على وجه الشك ، وهم بذلك يقيسون اللغة العربية الفصحى على ما يعرفونه في لهجتهم الدارجة ، فـ (ظن) قد تأتي على وجه اليقين وليس الشك كما في قوله تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) .. وما أكثر تصورات الناس الخاطئة حين يقدمون الشك على اليقين بناءً على تصورات خاطئة لديهم . تنقسم الأفعال إلى أربعة أقسام :

• من حيث التمام والنقصان ، والتمام ينقسم إلى (لازم - متعدي) و (المتعدي) ينقسم إلى متعدي لـ (مفعول - مفعولين - ثلاثة مفاعيل) . والناقص الذي لا يطلب فاعلا ، ينقسم إلى (كان وأخواتها) و (كاد وأخواتها) والتي تضم أفعال (الرجاء- المقاربة - الشروع) .

• من حيث الإعراب والبناء .

• من حيث الزمن (ماضي - مضارع - أمر) .

• من حيث البناء للفاعل أو البناء للمفعول .

والفعل الناقص سمي ناقصا لأن الدلالة على (الحدث والزمن) غير مكتملة .. فعندما أقول كان محمد جالسا ، علمت أن الحدث في زمن قد مضى لكن الحدث غير مقصود ، فنقصها في نفس الدلالة .. ولو جئنا بمثال من أفعال الرجاء الناقصة كـ (عسى) في عسى الله أن يكرمنا ، فعسى تتحدث عن حدث الكرم وناقصة في الدلالة على الزمن .. وهكذا

أما الفعل التام فهو مكتمل الدلالة على الحدث والزمن معا .

والفعل اللازم هو الفعل الذي لا يحتاج إلى مفعول به ، أما الفعل المتعدي فهو الذي يحتاج إلى مفعول به ومن ذلك (فهم علي الدرس) غير أن الفعل المتعدي قد يحتاج إلى مفعولين كما في (ظن وأخواتها) ومثال ذلك : (ظننت الباب مفتوحا) وقد يحتاج الفعل المتعدي إلى ثلاثة مفاعيل مثل (أخبر محمد أباه أن المطر نازلا) .

والفعل المبني للفاعل مثل باع أحمد الكتاب ، ومبني للمفعول مثل بيع الكتاب .

والفعل قد يكون مبنيًا بناء لازما وقد يكون مبنيًا بناء عارضا ومثال الحالة الأولى فعل الماضي وفعل الأمر ، أما الفعل المضارع فقد يأتي مبنيًا وقد يأتي معربا .

الاختلافات بين الأجيال .. ومآلاتها

أثناء مطالعتي صباحا لعلوم اللغة العربية ، لاحظت أن قدماء العرب لم يكونوا بحاجة إلى وضع علامات للتفرقة بين الاسم والفعل ، غير أن العقود الأخيرة ظهر فيها أبحاث بل مؤلفات متنوعة تعالج مسألة التمييز بينهما من خلال علامات معينة ، ذلك أنهم لاحظوا أن شرائح واسعة من المتعلمين المتأخرين يلتبس عليهم التفريق بسهولة ، فوضعوا (لم) مثلا للدلالة على أن ما يأتي بعدها الفعل المضارع ، وأن ياء المخاطبة في نهاية الكلمة التي لا تقبل (لم) دلالة على أن الكلمة فعل أمر وهكذا ..

قد يبدو من السهل أن ننعت الأجيال المتأخرة بالجهل وضعف الاستيعاب ، غير أن هذا الحكم غير دقيق ، فلم تكن صعوبة التعلم في الأزهر مثلا زمن الإمام محمد عبده مردها إلى ضعف الاستيعاب ، بل في عدم ملائمة المطروح من مناهج ومقررات بلغة صعبة للأجيال الموجودة وقتها ..

لقد أدرك الإمام محمد عبده أن ثمة اختلافات تظهر بين كل جيل وآخر ، تحدث هذه الاختلافات شروحات كبيرة في العلاقات والتصورات والمآلات ..

هذه الأزمة تحديدا (الاختلافات بين الأجيال) سبب في كثير من المشاكل التي تعصف بالمجتمعات قديما وحديثا ، ولعل أبرز تجلياتها الآن في المعارك الدائرة بين الزوجات وأمهات أزواجهن ، في ظل ضعف السيطرة من قبل الزوج ؛ فجيل (الحماوات) نشأ في بيئة مغايرة للبيئة التي نشأت فيها الزوجات ، على ما تحمله كل بيئة من مفردات وصور وأشكال وأنماط حياتية ..

لا الزوجة تريد أن تعطي لنفسها فرصة الوصول إلى هذا الزمن الغابر لتدرك بعضا من معطياته ؛ لعل ذلك يفيدها في اختيار النمط الصحيح في التعامل ، ولا تملك أم الزوج القدرة على التكييف السريع مع الواقع الحالي بتعقيداته التي انعكست على التكوين النفسي والعقلي للبنات !

حتى منظومة القيم التي كانت تمثل حدا فاصلا ، ومرجعية لا تقبل القسمة على وجهات النظر المتباينة بين تفاوت الأجيال شوهت لحد كبير فضاء الحق في دهاليز المنطق المعوج ..

في تصوري حل كثير من مشاكلنا يكمن في تعزيز القيم الأصيلة ، ذلك أن أي سلوك بحسب علماء النفس لابد وأن ينبثق من قيمة ما ، فالقيم هي الدافع المحرك أو المنظم للسلوك ..

وقبل أن ينشغل الخطاب الديني والإعلامي وحتى الفني بمعالجة السلوكيات المنحرفة التي طفحت في مجتمعاتنا علينا أن نركز ولو قليلا مع معالجة القيم التي ترسخت في وجدان السواد الأعظم من الشعب ، وجعلت سلوكياته منحرفة إلى هذا الحد الذي يقض مضاجع المحبين لمصر- وترايبها ويتمنون لها واقعا أفضل ومستقبلا محفزا على العيش !

كيف استفادت السياسة من علوم اللغة العربية

اللغة العربية بحر واسع ، بل محيط شاسع ، وفيها من الأساليب والمنهجيات ما يعجز عن إدراكها الفصحاء ، ويحار في تفسيرها البلغاء ..

لقد استفادت السياسة كثيرا من أساليب ومنهجيات اللغة العربية ، حيث طرحت أسلوب المراوغة اللفظية التي يتقنها كثير من الساسة ، وفيها ومن خلالها يتم اختزال كثير من المعاني ، وتحسين القبيح ، وتلطيف الشنيع ، ومن ذلك اجتماع كلمتي (نيران) و(صديقة) في مصطلح واحد للتخفيف من شناعة القتل !

أتعجب من الذين لا يحسنون فهم أبجديات الاستعارة ، والكناية ، والتشبيه ، وتطويع الترادف اللفظي ، والحذف وتبطين المعنى ، والتضمين وغيرها من الأبجديات في اللغة ، وهم يسارعون في تحليل الخطاب !

ثم أتعجب أشد العجب من الذين يثورون ، ويطلقون اتهامات ، ويكونون قناعات وهم لا يمتلكون أبجديات التحليل السياسي المتضمن لعمليات البحث في الاحتمالات الممكنة لمسارات التفاعلات بين القوى السياسية في أي دولة ، والقادر على توفير تفسيرات علمية واضحة لتداخل العلاقات بين الفواعل السياسية الموجودة على الساحة وغيرها من الأمور والقواعد الفنية لقراءة أي خطاب سياسي !

التحليل وقراءة أي خطاب سياسي ومن ثم تكوين فكرة وقناعة يلزمه رجال أكفاء نالوا حظا وفيرا من العلم ، وحنكتهم التجارب ، وأنهكتهم كثرة المطالعة في الأخبار بمنهجية بعيدة عن العاطفة ، وفوق كل ذلك التزموا بالمعايير والأسس والقواعد التي حددها علم السياسة ، وتحلوا بمهارة قراءة سطور اللغة فضلا عن إدراك وفهم ما بينها !

عندما شعر سيبويه بالخجل !

قدم (سيبويه) معجزة عصره في علم النحو من بلاد فارس واستقر بالبصرة ، منبع علوم اللغة حينئذ ، ولما بلغ سن الرابعة عشر جلس بتوجيه من أمه بين يدي العلماء لتعلم اللغة العربية وقواعدها ، وذات مرة قرأ عليه أستاذه حماد البصري الحديث النبوي الشريف (ليس من أصحابي أحد إلا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء ..) ، فوقع في ذهنه أن أستاذه أخطأ حين قال (ليس أبا الدرداء) حيث جعل (أبا) منصوبة وكان الأصل أن تكون (أبو) لأن ليس من أخوات كان ، وهي ترفع المبتدأ وترفع الخبر ..

فما كان منه إلا أن قام وحاول قراءة الحديث مرة أخرى على الجالسين وتعديل (أبا) إلى (أبو) .. فنهره أستاذه قائلاً : لحت يا سيبويه ، إنما ليس هنا أداة استثناء !

شعر الفتى بالخجل !

مثل هذه الموقف نقطة تحول كبيرة في حياة الصبي الصغير ، فلقد أقسم في هذه الجلسة أن يطلب العلم لا يلحن أبدا ..

وبالفعل دخل سيبويه في زمرة الذين لم يلحنوا أبدا ومنهم الإمام الشافعي وعبد الملك بن مروان وثلة من العلماء الأنقياء أصحاب الهمم العالية ، ليس ذلك فحسب بل يعد كتابه (الكتاب) من المراجع الأساسية في كتب النحو ، ودستورا من دساتير العربية !

مات سيبويه ولم يبلغ السادسة والثلاثين من عمره بعد ، مات وقد بلغ اسمه الآفاق ، ومن من زاوية علم أو جامعة عريقة إلا واسم سيبويه يتردد فيها !

لا تخلو حياة إنسان منا من مواقف مثلت نقطة تحول في مجمل حياته ، قد تكون كلمة عابرة ، أو موقف مستفز ، ألهب شرارة التحدي في النفس ، أو موقف محفز ، شكل نقطة انطلاق نحو عالم النجاح والتفوق !

أستغرب من الذين تمضي حياتهم على وتيرة واحدة ، فلا تستفزهم المواقف المختلفة إيجاباً أو سلباً ، وتأسرني مواقف الذين غيروا مجرى حياتهم بناءً على مواقف مرت بهم ، أدركوا قيمتها ، وأحسنوا استغلالها ، ولم يستسلموا ، ولم يهربوا ..

وأنحني إكراماً للذين أدركوا أن كلمة طيبة تخرج من أفواههم ستغير حياة الآخرين للأفضل ، وستنبت في الأرواح المتعبة شجراً مثمر !

مي زيادة .. حالة فكر لم تتكرر

بينما كان جبران خليل جبران غارقا في العلاقات النسائية المشبوهة مع ماري خوري ، وماريتا لوسن ، وهيلانة غسطين ، وشارلوت تايلر ، وماري هاسكل ، وسلطانة ثابت ، وإميل ميшал ، وأخريات غيرهن ، كان الأدباء وكبار المفكرين في مصر يتسابقون ويتسارعون في حب مي !

حالة عجيبة لم أعهد مثلها في تاريخ الثقافة العربية على الإطلاق ..
مي زيادة ، فتاة لبنانية فلسطينية ، من بين كل البلاد اختارت مصر لتكون وطنها لها ، حباها الله بالعديد من المواهب والمهارات ، فكانت تتقن تسع لغات وهي ، الإنجليزية ، العربية ، الفرنسية ، الألمانية ، الإيطالية ، الأسبانية ، اللاتينية ، اليونانية والسريانية .. ومع ذلك كانت تجيد العزف على العود ، وتكتب الشعر والنثر والرواية ، بل وترجم الأدب الغربي إلى العربية ، في سابقة جعلت منها حالة متفردة في زمانها .

فكانت حالة مغايرة في تاريخ الأدب العربي الحديث بالنظر إلى وقت كانت الكتابة الأدبية النسوية فيه خافتة لا أثر لها إلا عبر أقلام تعد على أصابع اليد الواحدة ..
قرأت في التاريخ الإسلامي رغم ديانتها النصرانية ، واطلعت بعمق على التصوف ، وتأثرت بحكم ثقافتها الواسعة بالحضارة الغربية ، وعاشت في أوساط عربية فجمعت بذلك بين النقيضين ..

عرفها الوسط الأدبي حين وقفت تلقي خطبة عصماء في حفل كان قد أعد خصيصا للشاعر والأديب مطران خليل مطران ، فرأى المفكرون والأدباء امرأة جميلة رقيقة ، تتكلم بلسان عربي مبين لا يتلعثم ، بلغة جسد تحسد عليها ، فانبهروا بها ،

وبثقافتها الواسعة ، فصارت حديث المجالس الأدبية والثقافية ، ولذلك لما شرعت في إعداد (صالون الآنسة مي) لم يتردد كبار المفكرين والأدباء أن يطلقوا صالون (ناظلي مذكور) ويبيتوا على عتبات صالون مي في شارع مظلوم باشا بالقاهرة !

رأها العقاد ففتن بها ، ورأها مصطفى صادق الرافعي فجن جنونه ، وسمعها شوقي فأعجب بها ، وكذلك كان الحال مع حافظ إبراهيم وطه حسين ، وأحمد لطفي السيد ، وإسماعيل صبري ، وعدلي يكن ، وأنتوني جميل .. وغيرهم !

لكنها من بين كل تلك القامات عشقت رجلا واحدا ، كان بينه وبينها آلاف الأميال ، إنه جبران خليل جبران ، أسسا معا من خلال تلك العلاقة ما يعرف بـ (أدب المراسلات) إذ كان حبهما مترجما عبر الرسائل المتبادلة ، أظهرت فيها مي حبها العنيف لجبران ، متجاهلة كل القلوب التي كانت تعشق يوم الثلاثاء .. موعد انعقاد الصالون !

بعيدا عن الكنوز الأدبية التي أفرزتها تلك التجربة المجنونة ، وبعيدا عن كل ما في القصة من مشاعر نبيلة ، وأحاسيس راقية ، عكست لنا مي زيادة حالة لا زال البعض يكررها ، لا شعوريا رغم فشلها بالاستناد إلى ما أفضت إليه .. حالة الحب المطلق المثالي الذي انتهى في الأخير بغرفة من غرف المصحات النفسية ..

حول تجربة مي يخطر ببالي أسئلة عديدة لعل من أهمها :

- كيف استطاعت امرأة أن تسيطر على مجلس فكري وأدبي وثقافي يجمع بين كل المتناقضات، حيث رواد مدرسة أبولو ، ورواد المدرسة المحافظة ، ورواد مدرسة البعث والإحياء ، ومدرسة الشعر الحر ، دون أن تسجل حالة مناكفة واحدة ؟!

• كيف ترضى مي أن يحبها رجل لمدة عشرين سنة ولم يقل يوماً لها إنه يريد الزواج بها ، ولم يفكر مرة أن يدعوها لزيارته بأمريكا ، أو يأتي هو إليها في القاهرة أو بيروت ؟!

• كيف تقبل امرأة أن ترفض واقعا لتعيش وهما ، أو أن ترضى أن يتعامل معها من تظن أنه يبادلها الحب كحالة ثقافية أو عشق يوتوبي إن جاز التعبير ؟

• كيف تحب امرأة رجلا لم تره ولو مرة واحدة ، ولا تعلم شيئا عن طباعه وأخلاقه ، وعلاقاته ؟!

• ما كل هذا الخيال الذي جعلها تعرض عن حب رجل شاخص أمامها غرق في حبها خاطب زجاجة العطر الذاهبة إليها قائلا : يا زجاجة العطر اذهبي إليها.. وتعطري بمس يديها.. وكوني رسالة قلبي لديها، ولو قال عشر- ما قاله في مي الجميلة من جميلات الشرق لجثت على ركبتها أمامه ، وتتصور أن الإشباع كامن في الوهم ؟!

• لماذا تفنن العقاد في نقد كل من رآه ولم يتجرأ أن ينتقد مي رغم أنها غيرت وحورت في بنية الشعر العربي ، ورغم أنها استعارت لأول ديوان لها اسما فرعونيا ما يعني سهولة النقد دون حساسية ؟!

العقاد إن ينتقد !

مات أمير الشعراء أحمد شوقي ؛ أعظم شعراء العربية في العصر- الحديث وفي نفسه شيء من العقاد ، وعاش ومات جل شعراء مدرسة أبولو الأدبية وفي أنفسهم أشياء من العقاد ، ويقولون إن الشاعر الطبيب إبراهيم ناجي مات كمدا وحزنا غريبا عن وطنه من النقد اللاذع الذي وجهه إليه العقاد وطه حسين وإن كان ظاهر الوفاة أنها بسبب حادث سير!

فبينما اتهمه العقاد بالميوعة والسذاجة العاطفية وكثرة ما يستحث الدمع من قصائده ، وسرقة أشعاره ، انقض عليه طه حسين هو الآخر يتهمة بالضعف والتكلف والحرص الزائد على ضبط الوزن والقافية ، والملل الذي يلازم قراءة أعماله !

كان العقاد رحمه الله ناقدا فظا ، وهب نفسه لتتبع مواطن ضعف الناس ، قليلا ما يحمّد ، كثيرا ما يذم ، بعض الشعراء تحمل خشونته ، وحدته ، وقساوة طبعه وقاوم واستمر ، كصلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي ، وبعضهم ترك المجال بالكلية وتوجه لمجال آخر كالشاعر عبد الرحمن شكري الذي وجد نقدا لاذعا من العقاد بعد صدور ديوانه (أزهار الخريف) فترك الشعر وتوجه للتحريض الصحفي وكتابة القصة والمقال !

بدا لي العقاد رغم عبقريته ، وعزيمته وإصراره على تعليم وتثقيف نفسه ، بشكل أسطوري ، كأنه (منفسن) من كل شيء حوله ، وطه حسين بلا مبادئ ، يسبح مع التيار ، ولا يملك الجرأة لأن يقول رأيه الفني والمهني بمعزل عن نظراته العاطفية ، والظروف المحيطة به ..

ولقد سعدت بالرد القاسي الذي نال العقاد وطه حسين من الدكتور الناقد محمد مندور حين قام يدافع عن إبراهيم ناجي ويبين إن النقد الذي طرح قد يصح في منطق

الفقهاء ، لكنه أبعد ما يكون عن الفهم الدقيق لحقائق النفس البشرية وما يطرأ عليها من مشاعر ..

كثيرا ما لجأ طه حسين إلى النقد المادي للبناء الشعري ، من حيث اللفظ والإعراب وقياس النص بمسطرة علم الفقه ، ولم يمدح روح الشاعر وجمال صدقه وروعة تعبيره ، الأمر الذي أرهق نفسية ناجي وجعله يخرج عن هدوئه المعهود ويدخل في حالة نفسية سيئة شغلت فكره وأرقت باله ، فكان لا يمشي إلا هائما على وجهه .. إشكالية العقاد وطه حسين في الهالة الكبيرة التي صنعت لهما ، فكان يخشى الكثيرون أن يوجهوا النقد لهما ..

ولو لاحظت ستجد أن أكثر نقد العقاد وطه حسين لناجي بسبب (المحزنة) التي كان يشعلها في جل قصائده ، وكثرة اعتراضهما على الدموع والأسى في حين أن أشهر أعمال طه حسين (الأيام) عنوان للمحزنة ، وأشهر أعمال العقاد (هاردي) منبع للكآبة والحزن !

كان منطق ناجي أن مآسينا خلدت ودموعنا هي التي عاشت ، وما خرجت الكلمات في قصيدة إلا لتكون زهرة للخلان ، ونسمة منعشة من طيب حل ضيفا على أهل الأدب فسئموا منه !

ولهذا شبه ناجي العقاد وطه حسين بالحجاج بن يوسف الثقفي ذلك الحاكم المستبد ، وكان صادقا في دعواه !

الفارق الجوهرى بين العقاد وطه حسين في تصوري أن الأخير كان رجاءا ، إذا روجع رجع ، ولقد اعتذر يوما لناجي وحثه على العودة إلى الشعر مرة أخرى ، بينما لم يفعل العقاد ذلك !

رحم الله الجميع ..

الخطب السينمائية

في فيلم (جري الوحوش) الذي أبدعه السينارست محمود أبو زيد وأخرجه بحرفية الأستاذ علي عبد الخالق ، حزمة من القيم التي تغني عن مئات الخطب الوعظية ، وآلاف المقالات التوعوية ، إذ سلط الفيلم الذي خرج للنور عام 87 ، الضوء على بعض القضايا التي لا تنفك عن الجنس البشري في كل زمان ومكان ، في شكل درامي ، مصحوب بموسيقى تصويرية تستحث الدمع من المقل ..

قضية الشخص البرجماتي المغرور في ظل وجود الغافل ، وعلى هامشهما يتواجد الناصح الذي يحذر كلا الطرفين !

كما حدث في قصة أصحاب السبت الذين انقسموا إلى ثلاثة أقسام (قسم تحايل على أمر الله ورمى الشباك للصيد قبل يوم السبت وسحبه الأحد ، وقسم سكت ولم يبد اعتراضا ، وقسم نصح لله ، وأعذر إلى ربه) ثم انتقل الفعل من أصحاب السبت إلى كثير من البشر ..

قضية التاجر الثري (نور الشريف) الذي أتاه الله مالا وفيرا ، وخيرا كثيرا ، وزوجة جميلة ، ومنعه الولد ، فتحايل على قدر الله وتقديره ، بماله وقله خشيته ولم يرض ، والفقير الذي أتاه الله الصحة والعافية والولد ، وضيق عليه في رزقه وعمله ، فلم يرض بما قسمه الله له وطمع وجشع !

والإنسان الناصح (حسين الشربيني) الذي تنصلح به المجتمعات ، وتسعد بوجوده البشرية ، والإنسان الذي يتباهى بعلمه (حسين فهمي)، ولا يوظف العلم لخدمة البشرية في حدود ما أحل الله ، فيكون علمه وبالا على من حوله وكان الأصل أن يساهم به في إسعادهم !

قضية الصراع بين من يقول قال الله (حسين الشريبي) ، وبين من يقول قال نيتشه وقال جوستاف لوبون وتشارلز داروين (حسين فهمي) !
 لقد شرح الفيلم آية (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب) على نحو مؤثر مبدع ، إذ جاء الشرح مجسدا تتلقاه العين ، فتتأثر كل الجوارح ، فيخشع القلب ، وينتبه !

سلط الضوء على قضية (الرزق) وعالجها معالجة فلسفية عميقة ، مؤكدا على أن الله قسم الأرزاق بين الناس بالتساوي ؛ لكنه يتم على ضوء حكمة ربانية ، ومعرفة إلهية بما يصلح الفرد ويفسده ..

كما سلط الضوء على قضية (الصحة) مؤكدا أن من يملكها فقد حاز الخير كله ، ذلك أنها نعمة مغبون فيها كثير من الناس ، غير أن لا أحد يستشعرها إلا حين يجد نفسه مشغولا بالأدوية ، متمنيا أن لو سمح له الطبيب بشربة ماء ، أو أكلة من الأكلات التي يحشوها الفقير بطنه كل صباح ، أو عندما يرى أحدهم قد تمكن منه الألم فلم يستطع النوم .. غير أن ما يزيد ألمه ويضاعفه تفكيره المتواصل في من يحمله غدا من شقته في أعلى البناية السكنية إلى أسفلها حتى يتمكن من الذهاب إلى المستشفى ليغسل كليته !

كم من مغرور بيننا لا يسمع النصح أبدا ، كحال (حسين فهمي) الذي اغتر بعلمه ، وكم من ثري متصور أن بإمكانه فعل أي شيء بماله (نور الشريف) ، وكم من فقير يبيع لحمه من أجل المال (محمود عبد العزيز) ، وكم من عاقل (حسين الشريبي) لا يكف عن إبداء النصح وتذكير الناس بالخير وتحذيرهم من الشر- غير أن لا أحد ينتبه إليه ، ولا يدرك الناس فضله إلا حين تحل بهم المصائب !

المخرج علي عبد الخالق والسينارست المبدع محمود أبو زيد من رواد المدرسة الواقعية ، أخرجا للسينما فيلم (العار) الذي لا يقل جمالا عن فيلم (جري الوحوش) ، كما أخرجا (البيضة والحجر) ، و(الكيف) ، وانسحبا من المشهد وتركا المجال للسبكي ، والعدل ، ليقدما مع غيرهما من المنحليين والمنحرفين أسوأ القيم لعموم المجتمع ، وما أسوأ المجتمعات وأعجزها إذا انسحب منها أصحاب القيم وتسلط عليها الرمم !

رسائل فيلم النداهة

أدين بالفضل للدكتورة درية شرف الدين ، مقدمة برنامج (نادي السينما) ، الذي كان يعرض مساء كل سبت على التلفزيون المصري ، وفيه تستعرض الدكتورة موضوع الفيلم الذي سيعرض في آخر البرنامج ، وتحليله على أيدي كوادر أكاديمية ومهنية متخصصة من وجهة نظر نفسية واجتماعية وفنية ، فهي التي دربت عقلي على التفكير والتفكير في الأمور ، وربط عناصرها ببعضها مكونا وحدة موضوعية ، إذ كان الأصل أن يعلمني تلك المهمة المدرسة والجامعة ، لكني ورغم ترتيبتي على دفعتي في الكلية لم أتعلم مهارة التفكير والتحليل والنظر للأمور من عدة زوايا كما تعلمتها من هذا البرنامج !

لا تخلو جل الأفلام من مشاهد عري ، وتبجح ، وانفلات أخلاقي ، يقول المخرجون أنها لازمة لحبكة الدراما ، ويدرك شياطين الإنس إنها ضرورية لجذب الشباب للمتابعة ..فما أن يبدأ فيلم الطريق إلى إيلات مثلا إلا والأنظار تترقب لقطة (مادلين طبر) أثناء وجودها مع الضابط الإسرائيلي على قارب صغير ، وما أن يبدأ فيلم (النداهة) إلا والأنظار تترقب مشهد (ماجدة) المثير مع (إيهاب نافع) عبقرى التكنولوجيا ، وكذلك جل الأفلام المصرية والعربية !

في تصوري إن المنظومة الثقافية والاجتماعية والأخلاقية والفنية في بلادنا ، لم تدرب الإنسان على التمييز بين رغبات العقل ورغبات العاطفة ، ولو عجز عن كبح جماح الشهوة فلا أقل من تغذية العقل بأفكار وقيم ، على نحو يجعل سلوك المرء متوازنا ، فلا يميل كل الميل نحو الشهوانية ، على حساب العقل ومتطلباته .

في الغرب تبدو القيم الإيجابية أو حتى السلبية التي يحاول منتجو الأفلام بثها واضحة جلية ، لا تحتاج إلى كثير إعمال عقل ، ولا تحتاج إلى عصف ذهني إلا في بعض القضايا الاجتماعية المعقدة .. فبمجرد الانتهاء من العمل الدرامي ستكون القيمة قد تسربت إلى عقلك ووجدانك مباشرة ..

أما في بلادنا لاسيما في السنوات الأخيرة يركز منتجو الأفلام على إثارة الشهوة الجنسية ، على نحو يفرز ذئاب بشرية ، لا يسلم منها قريب أو بعيد !

الفارق الجوهري برأي أن الأفلام ما قبل حقبة السبكي ، والعدل ، وغيرهما ممن أفسدوا الذوق المصري ، كانت تجمع بين جانب إثارة الغرائز ، وإثارة العقل ، فلو دققنا في فيلم (النداهة) مثلا سيحتاج إلى صفحات لشرح الأبعاد الاجتماعية والنفسية والتكنولوجية وعلاقتها بالمستقبل على نحو يعكس عبقرية كاتب القصة يوسف إدريس .. سلط الفيلم الضوء على الفوارق الاجتماعية بمصر- في حقبة السبعينات ، والفارق الهائل بين الإنسان الريفي البسيط ، الذي لم يتلوث بميكروبات المدنية ، وبين ابن المدينة المبهر الشيك ، بين الجهل الذي كانت مظاهره تتجلى في شيوع الخرافة والأساطير ، ومنها (النداهة) الجنية المعروفة في أوساط الريف ، وبين العلم ..

كما أفرد مؤلف قصة الفيلم يوسف إدريس مساحة واسعة بين إيهاب نافع وميرفت أمين للحديث عن ضرورة امتلاك التقنية في المستقبل وكيف أنها ستتحكم في كل البشر مستقبلا ، وكيف أنها رغم تسهيلها حياة الناس تؤثر في مشاعرنا ، وتفقدنا لذة الاستمتاع بجمال الأشياء .. حاول الكاتب يوسف إدريس في هذا الفيلم أن يثير انتباه الأفراد والحكومات إلى ضرورة امتلاك التكنولوجيا باعتبارها وسيلة مهمة لا غنى عنها في المستقبل محذرا من عيوبها قبل أن تكون

واقعا في حياة المجتمعات مبديا أسفه أن تساهم في نفس مشاعر الفرد ، فتحوله إلى جماد بلا روح !

لقد حصل كل ما توقع الرجل !

لا أنسى الحسرة التي كانت تملأ تقاسيم وجه مهندس التقنية (إيهاب نافع) وهو يرى الإنسان في أنقى صورة له ؛ صورة (فتحية) بنت الريف ، ولم تتجمل بالمكياج ، وحفلة الكلمات ، والقصير من الثياب ، ولا أغفل عن حسرتي أنا شخصا من ضياع وتبدد مميزات الريف ، ومميزات الحضر !

على أن أجمل ما ركز عليه الكاتب يوسف إدريس فكرة توحش التقنية والتهامها للجهلاء ، وعبر عنه باغتصاب مهندس التقنية (إيهاب نافع) للمرأة الريفية الجاهلة الساذجة (فتحية) ، في غياب (الدولة) أو حامد زوج الجاهلة !

أنتوني هوبكنز يتحدى الفشل

من الشخصيات التي وسمت بالفشل في بداية حياتها الممثل البريطاني المشهور أنتوني هوبكنز ، إذ أوشك أن يعتقد في نفسه الغباء فعلا ؛ لأن المقربين منه كانوا يصفونه دائما بالإنسان الفاشل ، تماما كما حدث مع العالم البريطاني الكبير إسحاق نيوتن !

أعتقد أن الغرب تخطى هذه الإشكالية التي تدور حول فكرة أن المقياس الحقيقي لذكاء الشخص حصوله على أعلى الدرجات في المقررات الدراسية التي لا تخلو من حشو ، وأمنوا أن هناك تباينا من شخصية لأخرى ، وما من إنسان إلا وأكرمه الله بموهبة بل مواهب متعددة ، وتكمن عبقرية الأسرة والمجتمع في اكتشافها وتبسيط الضوء عليها ، لا حصر الذات في مجال فرض عليها سلفا !

أنتوني هوبكنز ، ممثل بريطاني معروف ، نال من الجوائز ما لم ينلها غيره ، وتوحيجا لإنجازاته في مجال الفن منح لقب فارس من قبل ملكة بريطانيا علاوة على تلقيه نجمة على ممر الشهرة في هوليوود وغيرها من الجوائز العالمية الأخرى .. وصفه كثير من المخرجين بأنه أعظم ممثل في جيله !

قرأت كثيرا عن حياة الرجل ، كيف ولد ، وكيف عاش مع أمه التي كانت تعمل ربة منزل ، وكيف كان يصفه المدرسون بالفاشل ، ولماذا وصف بالفشل !؟

قصة طويلة ، شيقة ، تعكس البعد الجمالي في النفس الإنسانية ، لكن باختصار لقد آمن الرجل بموهبته في الموسيقى ، واعتقد في نفسه أنه لا يصلح لشيء آخر ، فركز جهده وطاقته في هذا المجال ، ثم لما تفرغ له ، اكتشف ميوله نحو التمثيل ، فقرر أن يركز على هذا المجال الجديد ، ويدمج بين الموهبتين ..

لكنه لما قرر أن يدخل مجال التمثيل أدرك أن أي عمل يقوم به يتطلب منه إعداداً جيداً بعيداً عن الارتجالية ، ليثبت للعالم بأنه ليس فاشلاً ، بل قادراً على الإتيان بما لم يقدر عليه أحد ، ليس على مستوى التمثيل فحسب، بل على مستوى دراسة الشخصية وخلفيتها والبحث وراء لغتها وموطنها ليلم بتفاصيل كل شيء ..

وفي الأخير بدا ممثلاً في غاية الإقناع ، بإمكانه جذب انتباه المشاهدين لاكتشاف البعد الداخلي للشخصية وتحولاتها النفسية برز ذلك في أكثر من شخصية قام بتجسيدها ..

ولشدة إقناعه لم يكن الخوف منه مقتصرًا على الجمهور ، بل وصل الأمر للممثلين الذين كانوا يتواجدون معه في مكان واحد ، إذ كان يتقن أدوار الشر- ، في أداء تعبيره مرهق للنفس بنظراته المخيفة ، وهمساته المرعبة ، حاشا على التأمل وإعمال العقل حول فلسفة الشر ..

برز ذلك في فيلمه المخيف صمت الحملان **The Silence of the Lambs** ((الذي جسد من خلاله شخصية هانيبال ليكتر ، المرعبة للمشاهدين وفريق التمثيل !

سمعت الرجل ذات مرة يقول : لم أتمكن من التمتع بعمله والإجادة فيه إلا بالتخلص من شياطيني ، لا أدري أي شياطين يقصد ؛ هل شياطين الإنس أم شياطين الجن ، لكنني أتصور أنه يقصد أولئك الذين يحلو لهم دوماً أن يصفوا الآخرين بالفشل !

يا رسل الحاضر .. أنقذوا أولادكم من التنمر

قبل وبعد تخرجي في الجامعة وقبل أن أعمل بالصحافة، عملت بالتدريس، تلك المهنة المحببة إلى نفسي، لأسباب أغلبها لا شعوري..

كان من ضمن الأولاد الذين شرفت بتدريسهم، ولد ذكي، عبقري، مرتّب لأبعد الحدود، كانت له ابتسامة رائعة، لطالما أحببت أن أراها مرسومة على وجهه.. وهو مع ذلك، كانت جل حركاته وسكناته تتم على استحياء شديد، والتوتر ملازم له، وانطوائي لأبعد حد، ربما لأن الله وهبه بشرة سوداء، وشعراً مجعداً، وبنية نحيفة، وما من عيب شكي بمقاييس بعض البشر إلا وكان له منه نصيب. حاولت أن أمنحه الثقة بنفسه مراراً، لكن لم يتسنّ لي البقاء معه طويلاً.. ودارت بخلي بعدة مجموعة من الأسئلة التي تدور حول قضية تعزيز الثقة بنفوس الأولاد والبنات، لنضمن لهم اندماجاً صحياً فعالاً في محيطهم الاجتماعي. فمع التعمق في دراسة علم النفس وعلم الاجتماع، وقفت على مدى التأثيرات السلبية التي تنخر في البنية النفسية للأطفال والمراهقين والمراهقات الذين وهبهم الله شكلاً ظاهرياً يعد بمقاييس مجتمعاتهم منفراً، لا سيما ونحن نعيش في مجتمعات عنصرية بطبعها، تقيّم الإنسان بشكله الظاهري، في أغلب الأمر.

ولهذا لما طُرح فيلم «وندر-Wonder» في عام 2017، أدركت أن سر تقدّم الأمم يكمن في اهتمامها بالإنسان من حيث كونه إنساناً، منذ أن يُولد، وإلى أن يموت.. وتعمقت أكثر في الاطلاع على الدراما الأمريكية تحديداً، وعلاقتها بالبعد الاجتماعي، وقارنت ذلك الأمر بما يحدث لدينا في دول العالم الثالث، فوجدت فارقاً هائلاً. فيلم «Wonder» تكلف إنتاجه 20 مليون دولار، لكنه حقق إيرادات تقدّر بـ 202.5 مليون دولار، يحكي قصة طفل وُلد مشوّهاً يدعى «أوغى»، شخص الأطباء

مرضه على أنه إحدى المتلازمات التي تشوه وجه المصاب، وتتسبب في إصابته برغبة لا شعورية في العزلة عن الناس؛ وهو الأمر الذي يفقده الثقة بنفسه ويجعله متوتراً على الدوام.. وقد تفضي به تلك الحالة إلى الانتحار، إذا لم تدركه عناية الله ثم فهم المحيطين به وجبهم. تُقرر أمه العبقريّة (جوليا روبرتس) أن تعلمه في البيت، غير أنها ارتأت أن تدججه مع أقرانه في البيئة المدرسية، وتحديدًا عند وصوله إلى الصف الخامس الابتدائي، ليكتسب مهارات يصعب أن يكتسبها داخل البيت حتى لو ألمّ بالمقررات الدراسية، فاتفقا على أن يذهب إلى المدرسة. وكما توقّع الطفل، كان منبوءاً من أصحابه، يراه الأولاد والبنات فيهربون منه، إلا صاحباً واحداً، يُدعى «جاك»، فاطمأن قلب «أوغى» إليه، واعتبره صديقاً يُغنيه عن بقية الصف.. حتى سمعه يوماً يقول لأحدهم: «لو أن لي وجهاً مثل وجه (أوغى) لانتحرت»!

يدخل «أوغى» في حالة نفسية سيئة ويقرر عدم الذهاب إلى المدرسة مرة أخرى. هنا يأتي دور الأخت حينما يعجز الأب والأم عن الإقناع، ليعكس لنا المخرج قيمة عظيمة، قيمة تكامل أدوار الأسرة، وتعاضد جهودها من أجل الوصول إلى حل يُرضي الأطراف كافة، فلقد أقنعت أخته بأن يذهب إلى المدرسة، بعدما حشت عقله بأفكار تبعث الثقة بالنفس.

بعد الأخت يأتي دور المدرسة التي تسلط عليه إحدى زميلاته لتكون قرية منه، غير أنها لا تنظر إلى الأمر من باب الشفقة، بل من باب الاقتناع بشخصية «أوغى»، وتصبّر البنت على العلاقة رغم سخريّة زملائها منها.

بعد دور الأسرة، والمدرسة، يأتي دور المعلمة التي تطلب عمل مشروع علمي، شريطة أن يشترك بالمشروع شخصان؛ في محاولة منها لإدماج «أوغى» بمجمعه الطلابي.

أحداث ملهمة جرت في هذا الفيلم لا أستطيع سردها، لضيق المساحة، تعكس كمية الضغوط التي مورست على الطفل المشوه «أوغي»، لكنه بفضل أسرته، وأمه تحديداً التي سعت بكل قوة لتعزيز ثقته بنفسه - نال في حفل نهاية العام الدراسي جائزة أكثر شخصية طلابية مميزة بالقوة والإصرار.

قريباً من الفيلم الدرامي وبعيداً عنه، أزعَم أن الإنسان لا يقيّم بشكله؛ فجمال الجسم مع قُبْح النفوس كقنديلٍ على قبر المجوس، الإنسان يقيّم بروحه وجهده وعزمه وتقواه. أدرك أننا نعيش واقعا بئيساً، لكن الأصل أن مجتمعنا مجتمع العمل والإيمان. لقد كان سيدنا أسامة بن زيد، حُبُّ رسول الله، شاباً نحيلًا، قصيراً، أسود، أفتس الأنف، لكنه قاد جيشاً به كبار الصحابة، ومن ضمنهم أبو بكر وعمر، وهو ابن السابعة عشرة.

ولقد تبسّم الصحابة ذات يوم من دِقَّة ساق ابن مسعود رضي الله عنه، فنهروهم النبي صلى الله عليه وسلم، وقال لهم: «والذي نفسي- بيده لهما - يقصد ساقيه - أثقل في الميزان من جبل أحد».

واشتهر الأحنف بن قيس - رضي الله عنه - بحلمه، وورعه وسِعة علمه، ولم يقف أحد كثيراً عند قامته القصيرة، واسمرار بشرته، واعوجاج رِجله، وضعف وجهه، وجمعه أوصاف قبح المنظر، ومع ذلك كان سيد قومه، قالوا عنه: إذا غضب غضب له مائة ألف سيف، ولا يسأله سيف منها لماذا غضب.

ومن رحمة الله بالبشر أن جعل مقاييس الجمال نسبية، فما تراه أنت ذمياً يراه غيرك جميلاً، والعكس، فلا تنشغلوا بهذا الأمر كثيراً، وانشغلوا بما يَحْدّ ذكراكم في الدنيا من الأعمال الصالحة، ومن ضمنها التفوق الدراسي والعلمي، ويضمن لكم مستقر رحمة الله في الآخرة.

هل تحارب شيخوخة وحيد حامد شبابه

لا أدري ما سر تحول الكاتب والسينارست وحيد حامد من شخصية تنويرية ، سعت بقلمها لانتشال المجتمع المصري من بئر الجهل إلى بحر المعرفة ، ومن قاع التسطيح إلى برج النظرة التكاملية الرامية لإيجاد مجتمع إيجابي ، مبادر ، متعال على الظلم ، ومستعل على القيم السلبية من أبرزها الظلم إلى شخصية مائعة ، متماهية مع الفساد الذي لطالما حذرنا هو من عواقبه الوخيمة !

وكيف تحول وحيد حامد من كاتب سخر قلمه للحديث عن الحرية ، ومعالجة الفساد المنتشر في مصر لاسيما بعد اعتماد سياسة الانفتاح من قبل الرئيس أنور السادات ، إلى كاتب يساهم في صناعة الجهل ، وانتفاش الفساد ، وتعميمه في طول وعرض البلاد !

تعاون وحيد حامد مع عبقرى الإخراج المصري والعالمي (عاطف الطيب) في أكثر من عمل درامي يسلط الضوء على أبرز القضايا الاجتماعية السائدة في مصر- ، فعملا معا (التخشيب) و (ملف في الآداب) و (الدنيا على جناح يمامة) و (كشف المستور) غير أن أجمل عمل أفرزه الاثنان هو فيلم (البريء) الذي أهده وحيد حامد إلى عشاق الحرية والعدالة في كل زمان ومكان !

ظهر هذا الفيلم الذي تم إنتاجه بعد ميلادي بأربع سنوات ، وقت أن كنت ألهو في الطين ؛ أيام الضحكات الصافية الخالية من النفاق ، والمحلاة بالغضب الصادق بلا أدنى احتراز ، وتتجلى عبقرية الفيلم في أنه خرج في وقت كانت كافة ملامحه تدعو إلى طرحه ، حيث قلة الأعمال التي تعالج قضية العلاقة بين المواطن والسلطة

الغاشمة ، وما تبرع فيه الأخيرة من تجهيل للناس ، وصناعة الالتباس ، وإظهار التراب على أنه ماس ، وإظهار الخناس على أنه ملاك حساس !

لقد اطلعنا على تجربة أحمد سبع الليل (أحمد ذكي) ذلكم الشاب القروي الساذج الذي أنهكه الفقر ، واطلعنا على نظرتة للوطن ، ومفهوم حب الوطن لديه ، وكيف غرس في وجدانه بمفاهيم سلطوية ، وكيف حولته السلطة إلى وحش مفترس لكل القيم النبيلة في المجتمع ، ورأينا الشاب الجامعي الوطني المثقف (ممدوح عبد العليم) الذي يصبح ضحية الجهل ابتداءً ، كما رأينا كيف تعتمد السلطة على تحويل الإنسان إلى آلة مبرمجة تعزز الجهل وتقتل الحرية ، متكئة على الجهل الذي تتفنن في صنعه ، وتبرع في شيوعه ، وتجتهد في تعميمه !

ليضعنا الفيلم أثناء تناوله أمام تساؤلين مهمين للغاية : الأول : من هو عدو الوطن ؟

والثاني : من هو البريء حقا ؟

هل هو ذلك المثقف ضحية الجهل ، أم الجاهل الذي كان يؤذي المثقف وهو يحسب أنه يحسن صنعا ؟!

ليجيب بالأخير بأن الحرية لا تقمع إلا بجهل الأبرياء !

لجراً الفيلم تم منع عرضه كاملاً ، إلا بعد عقدين من إنتاجه ، وتحديدًا في عام 2005 ، أثناء تكريم رئاسة الجمهورية للفنان أحمد ذكي ، بعدما أدرك مبارك أن سياسة إظهار قدر من المعارضة ربما يسهم في تهدئة الشارع المحتقن من غلاء الأسعار وانتشار البطالة ، وتسلب الأمن على المواطن بشكل غير مسبوق !

عاطف الطيب شاب مثقف ، مات في ريعان شبابه ، أخرج خلال 12 عاما هي عمره المهني ما يقرب من عشرين فيلما ، جلها بالتعاون مع وحيد حامد وأسماء أنور عكاشة ، ومعظمها يعزز المدرسة الواقعية التي تستلهم عناصرها من واقع المجتمعات وليس من النماذج اليوتوبية ، لتأخذ المشاهد في حالة وجدانية تنعكس في أعمال عقله ، وتدبر واقعه ..

لست ناقدًا فنيا ، ولا خبرة عريضة لدي بمفردات العمل السينمائي ؛ لكنني أجزم أن عاطف الطيب كان عبقريا بالاستناد إلى جودة مخرجاته ، وحسن اختيار عناصره وأدواته ، وحبكة صناعته ، وحسن تناوله للقضايا الاجتماعية من شباك الفلسفة ، وباب الواقعية ، فلم يكن اختيار (الناي) مثلا من دون آلات العزف الأخرى وجعله موهبة لدى بطل الفيلم أحمد ذكي ، أو الفلاح القروي الساذج عملا عشوائيا ، لكنه استخدمه رمزا للدلالة على الحس الإنساني الذي يراد له أن ينتزع ليصير الإنسان آله كما أريد له من السلطة الغاشمة ، فهو أي الناي دون غيره من أسهل الآلات التي تثير الوجدان ، وتستحث الدمع ، ويفقه لغته كل الناس متعلمهم ، وجاهلهم علاوة على كونه الوسيلة المناسبة للتعبير عن الحزن الذي يتسلط على الإنسان إذا ما لازمه الجهل ولم ينفك عنه !

عندما يقدر الغرب العائلة ونحتقرها نحن الشرقيون

من ضمن رسائل الواثق التي تنهال علينا يوميا وجدت مقطعا من مسلسل مصري، يحتوي على كلام إباحي صريح، يصعب بل يستحيل أن يصلح للمشاهدة العائلية، يعكس كم الإجرام الذي يتحلل به صانعو الدراما في مصر- في تلك الحقبة السوداء من تاريخنا ..

على إثر هذا المشهد القذر، لا أدري ما الذي جعل الذاكرة تستدعي فيلم (كاست آواي) الذي أبدع فيه الممثل العبقرى توم هانكس، فلم يكن فيلما عاديا، بل فيه وقفت على مجموعة كبيرة من الملاحظات التي تعكس اهتمام الغرب بأدق التفاصيل في مختلف مجالات حياتهم. لاحظت كيف يستعين كاتب السيناريو بمتخصصين في الغذاء، والطب البديل، وعلوم الرياضيات، فضلا عن علم النفس ليخرج العمل ملهما للمشاهدين، يستحث عقولهم، ويوسع مداركهم، ويكسبهم خبرات بعيدا عن التأثير العاطفي ..

فالرجل سقطت به طائفة على جزيرة في قلب المحيط .. كيف تمكن من النجاة ؟ وكيف استطاع العيش على مدى سنوات دون أن يفقد حياته ؟ وكيف قدر المسافة التي تفصله عن أقرب يابسة استنادا على عملية حسابية أجراها على جدار صخرة بتلك الجزيرة النائية ؟

وعلى ما في الفيلم من قيم غزيرة إلا أن القيمة التي استوقفتني طويلا ؛ قيمة تعزيز التفكير العقلي على التفكير العاطفي فيما يتعلق بكيان الأسرة .. وهي قيمة كان الأمريكيان يحثون عليها ويؤكدون عليها في أعمالهم الدرامية والسينمائية، والثقافية، وجاء الفيلم مجسدا لها ..

فالذي أنقذ توم هانكس من الجزيرة دافع الحب القوي لزوجته ، وظل يحلم باليوم الذي سيعود فيه إليها ، غير أنه لما عاد من تلك الرحلة القاسية وجدها متزوجة من رجل آخر !

كان الطبيعي في تصورنا أن تطلب الطلاق من زوجها وتعود إلى زوجها السابق لاسيما وأن الحب راسخ في قلوبهما !

لكن ما حصل أنه ترك زوجته مع الرجل الذي تزوجته لأنه لاحظ أنها أنجبت منه أطفالا ، وهي الأخرى ضحت بحبها وظلت مع رجل لا تحبه لإنقاذ العائلة ، على اعتبار أن العقل الجمعي الأمريكي كان يساق في تلك الفترة إلى فكرة تقديس (العائلة) كإجراء وقائي يعالج المشكلات الاجتماعية التي تفشت في المجتمع .

انظر إلى الدراما وكيف توظف توظيفاً صحيحاً ، وكيف تنصهر في بوتقة العمل المشترك لإحداث قيمة ما .. في الفيلم إسقاط سياسي ، حيث يمثل هانكس دور مسؤول أمريكي في شركة لنقل الطرود البريدية ، ويجوب العالم كي يدرب موظفي الشركة ، وفي روسيا وفي الخلفية معلم روسي شهير (الساحة الحمراء) وقف الرجل يوبخ موظفا (روسيا) على كسله وبطء أدائه ، بما يعكس نبرة التعالي الأمريكية وتفوق العنصر الأمريكي على العنصر الروسي .

في الفيلم بعد يتعلق بأداء الشخص الغربي في مقابل أداء الشخص الذي يكتسب مكانته في المجتمع المتخلف بناء على الوساطة أو الحسب والنسب ، فقد ضحى توم هانكس بعشرين كيلو جراماً من وزنه ، في وقت قياسي حتى يستقيم جسمه مع شخصية يؤديها على جزيرة نائية حيث لا طعام ولا شراب .. بما يعكس مدى احترام وتوقير المهنة ، وذلك على خلاف الحاصل في بلادنا ولا داعي للتفاصيل ..

حسين صدقي نموذج مشرف في السينما المصرية

حسين صدقي ممثل مصري يعد من رواد السينما المصرية والعربية ، نشأ في أسرة ملتزمة ، وكان صديقا مقربا لعدد من العلماء والمشايخ على رأسهم الشيخ محمود شلتوت والشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ، وكان صدقي لا يفعل شيئا إلا بعد استشارة الأخير ، وكان يلقب بين زملائه في مهنة التمثيل بـ(الشخص الخجول) . وهو من دفعة رواد الفن المصري من أمثال زكي طليمات ، وجورج أبيض ، وعزيز عيد وغيرهم ، ركز على تعزيز الترابطية بين الفن والدين ، فسعى لتحويل الفن من الابتذال إلى معالجة المشكلات الاجتماعية على ضوء حزمة من القيم النبيلة ؛ فمثل فيلم (العامل) وسلط الضوء على بعض حقوقه المهذرة ، ومثل فيلم (الأبرياء) وفيه سلط الضوء على مشكلة تشرد الأطفال ودور المجتمع في احتواء أطفال الشوارع ، وعلم شريحة واسعة من المصريين أصول الإسلام في مشهد من أحد أفلامه ، واستمر على هذا المنوال حتى وافته المنية في منتصف السبعينات من القرن المنصرم ..

لم تكن زوجته سميرة المغربي بنفس القدر من التدين الذي عليه زوجها ، وبصبره عليها التزمت ، وبعد التزامها قررت أن تصرفه عن التمثيل ، وتشاورا كثيرا في هذا الأمر ، فما كان منه إلا أنه أخذها وذهب بها في زيارة للأستاذ سيد قطب عليه رحمة الله حين كان راقدا بالمستشفى في مرضه الذي سبق إعدامه ، وقصا عليه ما حصل من أمرهما ، فكانت إجابة قطب صادمة لسميرة ، ملهمة لصدقي ، حيث قال لهما فيما معناه إن المجتمعات بطبيعتها بحاجة ماسة إلى الفن ،

وما قيمة أن يكتب عشرات المقالات وعشرات الخطب ، حين يأتي فيلم واحد وينسف ذلك كله ،، ثم نصح صديقي باستكمال مسيرته مع تعزيز فنه بالقيم .. من المؤسف أن يتحول الفن وفي القلب منه التمثيل من أداة ووسيلة تساهم في جعل الفرد والمجتمع أكثر رقيا ، ومن وسيلة لإشباع الرغبات الروحية إلى أداة لهدم القيم وإشباع الرغبات المادية .. في تصوري إن الفن مقياس دقيق لمنظومة القيم السائدة في مجتمع ما ، فيكفي أن ترى فيلما أو مسلسلا أو كليباً ، لتدرك موقع هذا البلد من خريطة القيم الروحية والجمالية والأخلاقية ..

أحسن في استغلال هذه الوسيلة الطغاة والمستبدون ، فاستعانوا بهم في تضليل الشعوب ، وأغدقوا عليهم لشراء ذممهم ، والتأثير في الناس ، ولهذا لم أستغرب حين سمعت عاصي الرحباني ابن السيدة فيروز يقول إن حافظ الأسد كان يكرم أباه زياد رحباني بالعطايا والأموال ، ولم يحسن معالجتها المصلحون ، ورحم الله مصطفى العقاد الذي لم يشغل أحد مكانه !

تتفق أو تختلف مع الفن بمفهومه الشامل إلا أن أحدا لا ينكر مدى تأثيره الضخم على الجميع ، من خلال قوة وسائله ، ومدى تأثيرها على الجهاز البصري والسمعي والإدراكي للشخص ..

أقول هذا الكلام وأنا أشاهد مقطعا أرسله أحد الأصدقاء في رسالة على الواتس من مسلسل السلطان عبد الحميد وهو مدون بكتب التاريخ ، فجعل العين تدمع ، والقلب يرق ، وكأنني لم أسمع بهذه الحادثة قبل مشاهدة المقطع ..

من وحي مشاهدة فيلم المجالد

(المجالد) بالعربية أو (Gladiator)، بالإنجليزية واحد من أكثر أفلام هوليوود احترافية واستحق عن جدارة أن يحصد العديد من الجوائز العالمية على رأسها (أوسكار) و(جولدن جلوب) ..

وهو فيلم تدور أحداثه في عصر- الإمبراطورية الرومانية وتحديدًا في عصر- الإمبراطور ماركوس اوريليوس .

شاهدت الفيلم أكثر من مرة غير أن المرة الأولى استوقفتني مشهد في بداية الفيلم ، بقيت أفكر فيه طويلاً لدرجة أعمتني عن التركيز فيما تلاه من مشاهد .. الحرب دائرة والأشلاء متناثرة وفي وسط الأهوال جنود وقادة ميدانيين يتفانون في قتل أكبر عدد من الجيش المقابل ..

على الجانب الآخر يجلس الإمبراطور الذي يقوم بدوره الممثل الأيرلندي (ريتشارد هاريس) على فرسه في منطقة ليست قريبة من البقعة التي تدور فيها الحرب الشرسة ينتظر أن يبشره أحد الجنود بالنصر أو يخبره بالهزيمة فيجد متسعا من الوقت كي يهرب !

حتى ابن الإمبراطور والذي أبدع في دوره الممثل (خواكين فينيكس) والذي من المفترض أن يتولى كرسي الحكم بعد أبيه ، والذي يتمتع بحماية لأنه في عز شبابه وأوج قوته كان جالسا في عربة تجرها الخيول في مشهد يعكس الوجه المضاد للحرب ..

في الواقع فكرة أن ينأى الإمبراطور أو الزعيم والحاكم بنفسه عن مناطق الخطر لم ترد في الأفلام فقط ، بل كان ذلك أمرا واقعا في جل المعارك التاريخية .. لماذا يضحى الملك أو الإمبراطور بنفسه؟

بل من يضحى هم العبيد وعامة الشعب وإن لزم الأمر فالقادة الكبار في الدولة .. بعيدا عن الأفلام والسينما وقريبا من ذكرى الهجرة النبوية التي نستنشق عبيرها دار بخدي كيف تصرف الزعيم محمد صلى الله عليه وسلم بشجاعة في أحداث الهجرة ، وكيف انصرف الجميع ، وبقي هو معرضا للخطر؛ لكي ينطبق عليه الوصف الذي وصف به نفسه (الرائد لا يكذب أهله) والرائد تعني المتقدم الشجاع الذي يسبق قومه ..

لقد كان خروج النبي من وسط الأهوال والمخاوف مبرهنا على كم الشجاعة التي يتحلى بها ، فقد لقي قبيلة من بني أسلم مكونة من 80 فردا ، وعرف أنهم يطلبونه كي يتسلموا الجائزة التي أرصدها قريش فلم يرتعد أو يتوتر بل حاورهم وأقنعهم بالإسلام فأسلموا وصلوا معه العشاء جماعة ممثلين بقوامهم هذا ثلث من دخل في الإسلام من وقت نزول الوحي !

بل لما عرض عليه دليله في الهجرة عبد الله بن أريقط طريقين محذرا إياه من أحدهما لأن به لسان فاتكان ، مقترحا أن يسلك طريقا آخر أمره الرسول أن يمضي- في الطريق الذي به هذان اللسان حتى أتى إلى الجبل الذي فيه الغار وناداهما أن انزلا فنزلا ودار حديث بينهما وبين الرسول ابتدره النبي سائلا : من أنتما ؟

فقالا : نحن المهانان .. فقال الرسول : انزلا فأنتما المكرمان فنزلا وأسلما !

ظاهرة حمو بيكا ومجدي شطة !

أبدت زوجتي استغرابها حين رأتني أستمع إلى بعض أعمال الفنان حمو بيكا ، الذي أثار جدلا واسعا مع منافسه الشرس مجدي شطة ، فقالت بتعجب : إنت بتسمع أيه دا ؟

لم تكن تعلم أني لم أكن أعرف عن هاتين الشخصيتين قبل أن تدخل علي بخمس دقائق شيئا !

جزء من عملي كصحفي يضطري لمتابعة ومعرفة ما يدور على الساحة الفنية فضلا عن الساحات الأخرى ، ولأني اكتشفت أني الشخص الوحيد على ظهر هذا الكوكب الذي لم يسعفه حظه بالتعرف على نجمين من نجوم الأغنية الشعبية ..

وحسنا صنعت حين اكتسبت معرفة عن هذين الكائنين ، لأنه في المساء بادرنى صديق بالسؤال : هل تعرف شيئا عن مجدي شطة وحمو بيكا ، وهل هما اسمان لأشخاص أو غير ذلك ؟

ومن المثير أني اكتشفت أن أغاني هذين المخلوقين تخطت نسب مشاهدتهما أرقاما قياسية وانتشرت أعمالهما في كل حارة من حواري مصر ؟

في الواقع ربطت بين هذا الموقف وما حصل معي قبل سنة ؛ فقد دخل علي ابني صاحب الثلاث سنوات وطلب مني أن أغني له أغنية (العب يالا) .

كجزء من فوضى المنطق التي تحبط بنا من كل جانب تسلق كائنات ذات هيئات تشبه البشر على سقف أخلاقنا ، وجدراننا الفني ، تفسد الذوق بكلمات منزوعة الحياء ، وألحان تبعث على التقيؤ ، يساعدهم على الانتشار والتوغل شباب فقد البوصلة ، ومحاضن تربوية تغذي الخلاعة والمجون !

قديمًا لم تخل الساحة من أغاني هابطة ، وألحان نازفة ، غير أن المجتمع نفسه فضلًا عن الدولة كان حارسًا على بعض القيم التي تحفظ للناس ماء الوجوه ، على خلاف الحاصل الآن ؛ فقد أضحى الفن الهابط ينسج خيوطه على إرث قديم رائد ..
 إن أخطر ما في الفن الهابط والمسخرة التي نحياها الآن أنه فرض نفسه علينا ، فقد دخل البيوت عنوه ، واقتحم وسائل المواصلات بالقوة ، بل حتى في مناسباتنا المختلفة ..

يبدو لي أن الدولة بمؤسساتها حريصة على انتشار هذا العته ، حين لم تضع حداً لظاهرة تكاثر الطفيليات الغنائية ، وتعاقب الابتذال بدءاً من صانعه مروراً بناشره ، وصولاً للمتعاطفين معه .

يبقى السؤال : كيف نستطيع أن نربي أولادنا في هذا الفضاء السمعي والبصري الملوث ؟

من يتحمل أن تهان الهوية العربية والإسلامية بهذا الشكل على يد حفنة من أصحاب الأمراض النفسية ؟

من يحمي تراثنا من عبث العابثين ، والساعين نحو الشهرة على أكتاف قيمنا ومكتسباتنا الحضارية ؟

أين من يخاطب الحس الإنساني ويعزز مقومات الارتقاء بالذوق ، ويتعامل معنا كآدميين ميزنا الله عن باقي المخلوقات ؟

ما نراه في المجتمع من بذاءات ودعارة فنية لا يعكس إلا الثقافة السائدة والظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يعيشها ، لا يمكن تنشئة جيل عفيف ، لا تتحكم به غرائزه على نحو يؤدي المجتمع في ظل ما يدعوا لإثارة الغرائز ، ويؤجج الكبت الجنسي الدفين .. ولو حصل ذلك فسيكون بصعوبة بالغة ..

عندما نألف النعمة ونتكبر

شعور بالندم يلاحقني دوماً على شيء فعلته على الرغم من مرور أكثر من 17 عاماً على حدوثه .. في صيف عام 2000 م ، بمدينة (زليت) الليبية وأثناء الظهيرة ، حيث تشعر وكأن الشمس قد دنت من الأرض ، فتغلي منها الرؤوس كما تغلي القدور ، كنت جالسا في محل ، وهواء التكييف يضرب في وجهي دخل علينا شاب من (النيجر) واستأذنا في غسل وجهه ورأسه على الماء يطفئ غليان رأسه ، فسمح له صاحب المحل الذي كنت أجلس فيه .. دخل الشاب ولم يفتح الماء من الصنبور أو (الحنفية) كما يطلق عليها في مصر ، بل كان يملأ إبريقا من الماء ثم يغلق الصنبور ، ويشرع في صب الماء من الإبريق على رأسه نقطة نقطة !

رأيت المنظر فضحكت ، وقلت له بأسلوب فيه تجاوز : (ما تفتح الحنفية وضع رأسك تحتها مباشرة بدلا من هذا العذاب) .. ثم دخلت والجالسون في نوبة ضحك من هذا التصرف الذي اعتبرناه دليل غباء !

النيجر .. هو بلد إفريقي ، مسلم ، فقير للغاية ، يقع غرب القارة ويبلغ عدد سكانه أكثر من (18) مليون نسمة ، معظم مساحته غير مأهولة بالسكان لعدم وجود مياه ، وحتى المناطق التي تطل على نهر النيجر لا تستطيع أن تشرب مباشرة من النهر لعدم صلاحية مياهه للشرب ، إلا بعد فلترتها بطرق بدائية للغاية ، ولهذا تكثر هناك الأمراض والأوبئة كالكوليرا وغيرها .. في مجتمع كهذا ينشأ المرء على تقدير المياه تقديرا كبيرا ، فهو سر الحياة لديهم ودينامو استمراريتها بحق !

كم كنت غبيا حينما لم أقدر لهذا الشاب صنيعه واحترامه البالغ للمياه، وكم هي المواقف التي اعتبرنا أنفسنا فيها أذكياء غير أننا في حقيقة الأمر كنا في منتهى الغباء !

الأم البقرة

في صيف عام 2004 تقريبا ، زرت طرابلس ، تلك المدينة المختلفة كثيرا عن بقية المدن الليبية كشأن معظم العواصم .. كثيرة هي الأشياء التي لفتت انتباهي، لكن أكثر ما توقفت عنده ذلك العالم الهندي الذي كان يعمل أستاذا للفيزياء النووية بجامعة الفاتح أو جامعة طرابلس ..

دخل الرجل إلى محل للحلاقة ، فحدثني من كان يعرفه أن هذا الرجل من العلماء الأفذاذ ، الذين استقطبتهم ليبيا للعمل بجامعاتها . تجرأ صديقنا وسأله : كيف تعبد البقرة ، وأنت العالم التحرير ، ولديك عقل ذكي تستطيع من خلاله أن تدرك أن اتحاد البقرة إلهها من دون الله ضلال وأمر يدعو إلى السخرية ..

في الحقيقة لم يظهر على وجه الرجل علامات غضب ، أو استفزاز بل شرع في شرح مميزات البقر وضرورة أن يقدها الناس فهي كما يقول عنها غاندي : البقرة هي أم الملايين من الهنود، وحماتها تعني حماية كل المخلوقات ...

إن الأم البقرة أفضل من الأم التي ولدتنا من عدة طرق! كدت أجن من هول ما يتردد أمامي ، وأقول في نفسي كيف لعقل مثل هذا أن ينحدر كل هذا الانحدار؟! لم أكن أدرك حينها أن الله قد جعل القلب محل الإيمان ، وليس العقل !

بعدها بسنوات وفي مكان غير المكان ، جلس صديقي الذي يعمل بشركة أمريكية عريقة متخصصة في مجال صناعة المولدات العملاقة ، وحي لي عن حادثة حصلت معه فكاد يجن منها ! بدأت القصة عندما تعطل مولد عملاق في مصر- ، وكان صديقي مضطر للذهاب للشركة التي تعطل فيها المولد للوقوف على أصل المشكلة ومن ثم يستدعي المهندس المختص لحلها ..

قرر صديقي الاستعانة بمهندس مصري لتصليح العطل ، فلم يستطع ، فقرر اللجوء إلى الشركة الأم في أمريكا لإرسال مختص لعلاج المشكلة قبل أن تتفاقم الأوضاع داخل المصنع ! اتصلت الشركة الأم بفرعها في الهند ، وأخبرتهم بضرورة إرسال مهندس من مهندسيها إلى مصر لإصلاح العطل ؛ فقررت الشركة في الهند إرسال مهندس شاب ، وسيم تبدو عليه ملامح العبقريّة ! يقول لي صديقي رافقت الرجل من الهند إلى مصر في رحلة استمرت أياما وكنت أقول في نفسي أمعقول أن تحل المشكلة على يد هذا الشاب ؟!

ذهب المهندس الهندي إلى المصنع في مصر ووقف أمام المولد العملاق ، والجميع من حوله ينظرون ، وينتظرون .. دقائق ووضع الرجل يده على المشكلة ، الأمر الذي أثار دهشة جميع الحاضرين ، كيف تمكن هذا المهندس الشاب من معرفة المشكلة التي عجز عنها كبار المهندسين في وقت قصير للغاية ! انتهت مهمة الرجل في مصر ، وفي رحلة العودة كان هناك حوار شبه متواصل بين صديقي وبين المهندس الهندي ، تطرق إلى الحديث عن الأهل والأسرة والعادات والتقاليد ، والعمل وغيرها من الأمور ، وبينما صديقي يتحدث إليه في إعجاب بعقليته ، وثقافته ، نظر إلى صدره فوجد ميدالية عليها صورة لشيخ وقور تبدو عليه ملامح الشيب ، فسأله من هذا ؟ أهو والدك ؟! قال لا بل إلهي ! اندهش صديقي : أهذا إلهك ؟

يبدو رجل مثلي ومثلك !

قال لا بل هو إلهي الذي أعبدته وأقدسّه !

دخلا في نقاش مطول خلص صديقي منه إلى أن هذا الذي بدا رجلا هو إله ضمن الآلهة المعبودة في الهند من دون الله ، ولا يرى المهندس العبقري أن هناك من يستحق العبادة سواه ! سبحان الله ! انظر إلى جرأة الإنسان على ربه ، وتأمل في

الجناية العظيمة التي ارتكبها في حق المولى عز وجل ، ومع ذلك يستره ربه ، ويكرمه ويرزقه .. وانظر إلى مستوى العقل عندما يهبط إلى الحضيض ، فيعبد بقرة ، وشجرة ، وحيوانا ، وإنسانا لا يقدر أن يطعم نفسه أو ينجيها من المخاطر . وانظر إلى الإنسان المسلم الذي لا يقدر حجم النعم التي تفضل بها المولى عليه وأعظمها نعمة الإسلام ، ومع ذلك لا يؤدي شكرها ، وأقل درجات هذا الشكر إيصال رسالة الله إلى العالم الغافل ، اللاهي الغارق في ظلمات الجهل والكفر !

نعمة الإسلام

وكان للزواج قبل الإسلام في جزيرة العرب صور شتى ، أشهرها زواج البعولة وهي صورة مشابهة لما نحن عليه الآن حيث المهر والصداق والإيجاب والقبول بحضور ولي المرأة ..

وكان هناك زواج الاستبضاع ، وفيه يقوم الرجل باختيار رجل آخر لزوجته ، لكنه ليس كأى رجل ، فقد كان الاختيار على وجهاء القبائل والفرسان وكبار الشعراء ، وينتظر بغلها حتى إذا انتهت زوجته أخذها وعاد بها إلى بيته فرحا مسرورا .
كما انتشر زواج المُخادنة بمعنى مصاحبة الرجل لمرأة غير التي يعيش معها والعكس ، إلى جانب انتشار زواج البدل ، بحيث يحصل تبادل زوجات بين الأزواج لفترة معلومة ..

على أن أسوأ صورة ممكن أن يتخيلها الإنسان سوي الفطرة صورة نكاح الرهط ؛ حيث يجتمع عشرة من الرجال على امرأة واحدة ، وللمرأة وحدها تحديد أي من هؤلاء الرجال سيكون والد الطفل المتوقع قدومه ! أقول هذا الكلام لسببين مهمين ..
الأول نستشعر عظمة هذا الدين الذي أكرمنا الله به حيث وهبنا زواجا أساسا لنظام هذا الكون وعمارته وسبيلا مثاليا لإفراز بنين وحفدة .

الثاني : إلى أي مدى يحرص القرآن على تعليمنا قيمة الإنصاف .. فسورة المسد التي نقرأها كل يوم ربما في صلواتنا ، ويحفظها الجميع صغارا وكبار جاءت مؤكدة على تلك القيمة التي نفتقدها بشكل كبير في أيامنا هذه ، برز ذلك في قوله تعالى (وامراته) ، فرغم موقف القرآن العنيف من أبي لهب وأم جميل ، إلا أنه نسب المرأة له ، ولم يدع لأي عقل أي مساحة لتصور صورة من صور الزواج التي كانت سائدة في جزيرة العرب ، بل أنصفهما وأقر بصحة العلاقة التي تربط بينهما !

مشكلة الـ 50% بمجتمعنا المصري

لو كان لي من الأمر شيء لأعدت هيكلية الكليات الشرعية بالأزهر الشريف ، فلا يدخلها إلا من استوفى شروطا قاسية ، ولا يتخرج منها إلا النجباء ؛ الذين تأهلوا تأهيلا علميا وشرعيا يفي بحاجة أماكن العبادة ، وتأهيلا عاليا في العلوم الإنسانية ، وعلى رأسها علم السياسة بدراسة معمقة يحسن معها صاحبها معالجة القضية من جوانبها الدينية والدنيوية ، ويحسن تنزيل النص على الواقع وفق المقاصد الكلية ..

أعتقد أن دراسة العلوم السياسية تساعد المختص بالحديث في أمور الدين في ضبط عملية فهم النصوص وفق مقاصديتها، وتقيه مغبة الوقوع في الإفراط أو التفريط ، بما يحمي المجتمع من كوارث محققة . فنحن في حقيقة الأمر محشورون بين ثلة من الدراويش - إلا من رحم الله - الذين حرموا الشريعة عن استيعاب كل جديد والتعامل معه بآلية منضبطة ، وبين ثلة من السياسيين الذين توسعوا في الأمر دون توفر حد أدنى من الضوابط المنهجية ، الأمر الذي انعكس في بروز حالة من التحلل التام من أحكام الشرع أو تعطيلها كليا تحت مسميات مختلفة .. لطالما تساءلت وأنا ابن كلية التربية بالأزهر الشريف : لماذا لا تحتاج كلية أصول الدين إلا إلى درجة النجاح في الثانوية الأزهرية ، أي 50 ٪ فقط ، في حين أن المتخرجين منها مناط بهم معالجة قضايا الروح والجسد والفكر ، وتحتاج كلية مثل الطب إلى درجات تكاد تقترب من السقف في حين أن الطبيب لا يعالج إلا الجسد دون الروح والفكر في غالب تخصصاته !

لا يصبه حر جهنم!

كبر صديقي في نظري ، وعظمت مكانته في قلبي وهو يحدثني عن حياته مع أمه التي لا تقوى على أعمال البيت من نظافة ، وطهي ، وغسيل ، وخلافه ..
 على أن أجمل ما لفت انتباهي في حديثه عن بره بأمه أنه كان (يعجن) لها ، و (يخبز) لها ، فتصورت هيئته وهو جالس أمام الفرن يخرج الخبز المحروق الذي لا يزعج أمه بقدر ما يسرها أن رأته تفانيه في برها !
 وددت أن أذكره وهو يحكي بموقف النبي صلى الله عليه وسلم وقد مر برجل (يعجن) لأصحابه ، وقد أصابه العرق والجهد فقال (لا يصبه حر جهنم) !
 اللهم بارك لنا في أمهاتنا وآبائنا ، وارحم من مات منهم ..

الجمال الإفريقي العاصف بقناعاتي

قبل أكثر من 18 عاما ، كنت مسافرا من مدينة لمدينة أخرى داخل حدود دولة عربية ، وقبل أن تتحرك السيارة جاءت فتاة إفريقية ذات بشرة سوداء فركبت معنا ذات السيارة .. كان عمري حينها لا يبعد عن الثامنة عشر- ، وكانت هي في العشرينات من عمرها تقريبا ، وفي تلك الرحلة حدثت نقلة نوعية عصفت بقناعة من أرسخ القناعات في ذهني ، ففي النظرة الأولى رأيت عيوننا زرقاء كالمحيط النقي ، ووجها مستديرا كالقمر يوم تمامه ، فحاولت صرف انتباهي على غير رغبة من النفس المصدومة من هذا الجمال !

طيلة الطريق الممتد لساعتين ونصف وأنا أختلس النظر مرة بعد مرة ، وفي كل مرة كان يتبدى لي جزء لم أعانيه ، فبدا الأمر كما لو أنني واقف أمام لوحة فنية رسمتها أنا ملئكة الرقة تحت إشراف ملائكة الجمال !

قلت في نفسي ما هذا الجمال الفاتن ، وما الذي رسخ في أذهاننا أن للجمال مقاييس ومواصفات ، وعلى أي أساس ننعت هذا بالقبيح وهذا بالجميل ..

لقد كانت هذه المرة من المرات التي اضطرب قلبي اضطراب من فتنه الجمال .. غفر الله لي .. هذا الموقف ولّد عندي أسئلة لازمتني ولم تفارقني حتى الآن ، أجاب الأدب عن جزء كبير منها ، وأدركت النفس كذلك جزءا منها ، ولم تنزل هناك أجوبة يقينا علمها عند الله الذي خلق كل شيء فأحسن خلقه .. سبحانه !

جاء كل عصر حاملا معه مقاييس للجمال والقبح ، وما كان في عصر- قبيحا كان للعصر الذي يليه جمالا ، والعكس ، علاوة على أن الجمال تختلف نظرة الناس إليه

باختلاف المكان ، وتناوب الحضارات .. وما يتفنن فيه نساء اليوم قد يكون غدا من مواصفات القبح ..

ففي فترة من فترات التاريخ كانت الغمازات عنصر الجمال الأهم لدى المرأة ، لدرجة أن بعض العلماء اخترع جهازا لحفر غمازات في وجه النساء :

وفي أوروبا وتحديدًا في مرحلة ما بعد العصور المظلمة ، كانت الأجسام الممتلئة أحد معايير الجمال الأساسية ، وكان ينظر للمرأة النحيفة نظرة احتقار ، حتى تبدل الأمر في العصور الحديثة وصار العكس ، حتى عند الرجال كان أغلب الرجال في العصور المظلمة يعمدون إلى إظهار الساقين بحجم أكبر مما هي عليه إذ كان ذلك مقياساً أوحّد للجمال عند الرجل . وهناك دول تتخذ من الأساليب والأنماط الغذائية والعلاجية ليبدو جسد المرأة نحيفا ، بينما تتفنن دول أخرى لزيادة الوزن ، ذلك أن السمنة تعكس في ثقافتهم قدرا كبيرا من الجمال المادي والمعنوي .. كما في المجتمع الموريتاني !

قرأت ذات مرة أن بعض المجتمعات الإفريقية يفتنون بالمرأة شديدة سواد البشرة ، ولهذا فمهرها أغلى من غيرها ، كما تحرص هذه المجتمعات على اختيار صاحبة الشعر القصير لا الطويل ، ولهذا تكثر فيهم حلاقة الصغيرات بمكائن الحلاقة .. والعرب قديما كما يبدو في تراثهم الأدبي كانوا يأنفون من المرأة النحيفة ويتعوذون من رؤيتها ، ولهذا أنشد بعضهم يقول : أعوذ بالله من زلاء ضاوية كأن ثوبها علقا على عود .

والزلاء يعني النحيفة ، وذلك بالطبع مغاير لوضعنا الحالي عند كثير من العرب ..

أقول هذا الكلام اعتراضا على كلام سمعته مؤخرا ويسمعه كثير من الناس ، فقد قالت إحداهن لأخرى بجمال استفزازية ولغة جسمها تؤيدها : إيه الى عاجبه فيها ؟ دي شبه الفخمة ، ولا شكل ولا لون !

أولا تدري المسكينة أن الجمال جمال الروح والطبع ، والحب والإعجاب والميل قد يأتي مدفوعا بشيء مستقر في النفس غير معلوم .. وإلا .. لماذا يرى كل أحد أمه حسناء حتى لو كانت شوهاء !

إن (ليل) حبيبة (قيس) التي جُن من أجلها كانت سوداء حبشية لا ترى في الليل من شدة سوادها .. وذلك على عكس ما يتصور كثير من الناس أنها كانت شقراء يافعة ، هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكي منها قصر ولا طول ..

الجمال نسبي بحت ، يتطور مع الوقت ويختلف من شخص لآخر ومن عمر إلى عمر .. ولا يكون في الجسم فقط بل هو ممتد إلى الفعل والخلق !

شجاعة شاعر تجاوز عمره الـ(135) سنة

وقع بين قبيلة (بكر) وقبيلة (تغلب) خلاف شديد كاد أن يفتك بالقبيلتين ، فاحتكما إلى ملك الحيرة (عمرو بن هند) فأصلح بينهما ، وبعد فترة عادت المناوشات ، فوقف وفد من كل قبيلة أمام الملك يقدم مبرراته ، وكان من تبعات ذلك أن الملك أو شك أن يحكم لبني تغلب ..

هنا انبرى الحارث بن حلزة الشاعر الجاهلي من خلف صفوف الوفد وقال معلقته الشهيرة ، مرتجلا والملك يسمع ويتأثر ، فما جاء البيت الأخير إلا والحارث جالسا بجوار الملك شأنه شأن الملوك والأمراء بعد أن كان ملفوظا يقول القصيدة من وراء حجب ، كعادة المصابين بالبرص !

بعيدا عن كون القصيدة من أمهات القصائد الشعرية على مر العصور لدرجة أنها طبعت في إكسفورد عام 1820 م ثم في بونا سنة 1827 م. ترجمت إلى العديد من اللغات على رأسها اللاتينية والفرنسية .. بعيدا عن كل ذلك ، خرج الرجل من وفد قومه أمام الملك ليدافع عن قومه بحجة وحسن بيان ، فأنصف قومه وأعجب به الملك الذي كان على وشك الحكم لأعدائه وقربه منه وانتهت المشكلة التي كادت أن تفتك بقبيلتين كبيرتين ! لم يمنعه مرضه الذي كان يفر منه عامة الناس فضلا عن الملوك والأمراء ، ولم يمنعه سنه الذي تجاوز 135 سنة أن يفند أقوال خصمه الشاعر البليغ عمرو بن كلثوم ، ويتفاني في الدفاع عن أهله وقبيلته وما يعتقد أنه الصواب !

تذكرت ذلك وأنا أرى رجالا في مواقع مؤثرة لم يمنعه من قول كلمة الحق إلا أسبابا واهية ، وحججا فارغة !

وبعد الرمي لم ينطق بكلمة !

بتنازلها عن أرستقراطيتها أثرت الإعلامية سامية الإتربي تأثيرا كبيرا في شريحة واسعة من الشعب المصري من خلال برنامجها (حكاوي القهاوي) الذي استمر طيلة ربع قرن تقريبا .. حيث كان البرنامج الذي كان شعاره "القهوة.. عالم بحاله قايم .. فيه الي قاعد جنب الي هايم .. وفيه تلاهي وفيه عبر .. وفيه تلاقي كل البشر" يتميز بالبساطة والتواضع الشديد ، يبدو ذلك من خلال القضايا التي كان يعالجها ، ونوعية الضيوف المستضافة ، علاوة على نمط لبس الإتربي ، وطريقة حديثها، فضلا عن توثيقها لحكايات الطبقة الكادحة من الشعب !

من الحلقات التي لا تنسى ؛ تلك التي استضافت فيها الفنان محمد الشويحي ، ابن محافظة الدقهلية وتحديدا قرية (أودش الحجر) التي تقع على مقربة من قريتي .. فكانت هذه الحلقة مليئة بالمناقضات ؛ فالشويحي حفظ القرآن وهو في سن صغير شأنه كشأن كثير من أبناء تلك القرية العامرة ، ودرس وتخرج من جامعة الأزهر ، وبدلا من أن يصبح داعية أصبح أشهر صبي عالمة في مدينة المنصورة ، إذ كان من الصبيان النجباء لسيدة الرقص الأولى (أم زيتون) والتي خرَّجت لمدينة المنصورة وما حولها من المدن أشهر الراقصين والراقصات أبرزهم سهير ذكي !

غفر الله للجميع .. المهم ؛ من المواقف التي ذكرها الرجل في الحلقة أنه لم يجلس على القهوة طيلة حياته إلا مرتين ، واحدة منهما المرة التي التقى فيها سامية الإتربي لغرض تسجيل الحلقة ، وبسؤاله عن المرة الأولى ولماذا امتنع عن الجلوس على القهاوي طيلة حياته أجاب قائلا : كنت ألعب طاولة مع أحد الأصدقاء ، في عز شبابه ، ورمي الزهر قائلا : شيش بيش ، وبعد الرمي لم ينطق بكلمة ، حيث

فاضت روحه إلى خالقها بدون أي مقدمات ، فمثلت له القهوة مكان شؤم ، بل كان يشمئز حين يسمع كلمة شيش أو بيش أو يك حين كان يسير في الشارع . كان لكلامه وقع شديد علي ، غير أن ما استوقفني في هذا الحوار فكرة تمبيع قضية الموت في نفوس الناس ؛ فقد عرض الرجل الحادثة في إطار كوميدي استخرج الضحكات من أعماق المشاهدين في حين أن الموقف كان يلزمه هيبة تخضع لها الرؤوس ورهبة تخشع منها النفوس وترجف من أجلها القلوب ..

تذكرت ذلك وأنا أرى تعاطفا كبيرا مع المنتحر _ أي منتحر _ بشكل يعكس تساهل الناس في التعاطي مع ظاهرة الانتحار بما يقلل من بشاعة الجريمة في نفوس الآخرين ، فيجعل الإقدام على الانتحار فكرة تراودهم كلما حل بهم ضيق ، لاسيما وأن الانتحار في مصر بدأ يأخذ منحى مرعب فهو من الأمور الدخيلة على ثقافة المصريين وهو في تطور وازدياد !

فالأصل أن نحذر من الإقدام على الانتحار ، وتبيين عاقبة أمره في الآخرة ، بما لا يجعلنا أوصياء أو حكام على الناس ، في إطار تقديم حلول وقائية لظاهرة من أخطر الظواهر الاجتماعية ، سيما وقد انعدمت الحلول العملية ، حيث شيوع اليأس وفقدان الأمل في غد مشرق ..

قراءة حول ظاهرة الانتحار

ليس شرطاً أن يكون ضعف الإيمان سبباً في حدوث الانتحار ، فقد يقرر إنسان متدين أن ينهي حياته به !

الاكتئاب وجملة أخرى من الأمراض النفسية شأنها شأن أي مرض عضوي ، يسطو على الجسد فينهكه ، غير أنه لا يتم التعامل معه كما يتم التعامل مع أقل مرض عضوي شهير بين الناس ، رغم أنه الأخطر ، لأنه يحرم الإنسان من الاستمتاع بملذات الحياة جميعها ..

والأغرب فيه أن يصيب الجميع بما فيهم الطبيب النفسي الذي يعالجه .. كانت ظاهرة الانتحار من الظواهر غير معلومة السبب حتى جاء عالم الاجتماع الشهير (إميل دوركايم) .. الذي يعد واحداً من أشهر تلاميذ (أوغست كونت) ، فلم يهتم بما قاله من سبقوه في تفسير كل ظاهرة ، بل سعى لإيجاد أجوبة علمية خاضعة للقياس والتقويم ..

فقد كان السابقون له يفسرون (الانتحار) على أنه فعل فردي ، يقوم به الشخص تحت ضغوط نفسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو أي سبب آخر ، لكنه قام بزيارة للجهات الحكومية للحصول على وثائق لكل ما يمت بصلة للظاهرة محل الدراسة .. وبتفكيك المعطيات تبين له أن الانتحار يكثر

بين العزاب عن المتزوجين

وبين الأغنياء أكثر من الفقراء

وبين البروتستانت عن الكاثوليك

وفي حالات السلم عن حالات الحرب

وبين الرجال أكثر من النساء

ثم خرج بقاعدة علمية تقول أن (عملية الدمج) كفيلة بتفسير ظاهرة الانتحار على نحو دقيق، أي كلما كان الفرد أكثر اندماجا في المجتمع وتطلعاته وآماله وطموحاته مبررة بحسب قوانين المجتمع كلما ابتعد عن الانتحار، والعكس صحيح.

فالفرد العازب أقل اندماجا في المجتمع من المتزوج المسؤول عن زوجة وأبناء، والكاثوليكي أكثر اندماجا من البروتستانتي الذي يعتقد بالمسؤولية الفردية، وفي حالات الحرب رغم المخاوف التي تحيط بها عن السلم، لأن المجتمع في أوقات الحروب يكون أكثر تعاوناً؛ يقتسم اللقمة مع جيرانه، ويلتحف معهم بلحاف واحد، ولعل هذا ما يفسر تعاقد المصريين في الـ(18) يوما الأولى من عمر ثورة الخامس والعشرين من يناير.. طلع علينا علي الحجار بأغنيته الشهيرة، وقسم الشعب إلى قسمين؛ فأحدث حالة من التفتت الاجتماعي التي لم يألفها المصريون، وشجعت السلطة نمط الوشاية بين المواطنين، فألبت النفوس، وأفسدت القلوب، وترسخت الكراهية وصارت العزلة الخيار الأمثل لكثير من المواطنين!

وحاربت السلطة الدين بكل الطرق عبر تغييب العلماء الناصحين وإبراز المخبولين الذين يشوهون الدين عن عمد، ففتنوا الشباب وصدوهم عن السبيل، فمنهم من انحرف نفسيا ومنهم من انحرف عقليا، وقليل من صمد!

وتفنن الناس في وضع عوائق وتحديات في طريق الشباب الذي يريد الزواج، في ظل ضعف شديد للدور الثقافي والحياتي والحضاري بأهمية تيسير الزواج خاصة في جوانب الذهب والمسكن، فتفشيت الفواحش، وأرهقت نفسيات الشباب والفتيات على حد سواء.

ما الرزق ؟

من الحلقات التي لا أنساها للإعلامية سامية الإترني في برنامج (حكاوي القهاوي) تلك الحلقة التي استضافت فيها (طباخ الملك فؤاد) وتحديدًا عندما سأله قائلة : الملك كان ييفطر إيه ؟فرد عليها قائلاً : كل حاجة !

كانت لغة جسده وهو يقول (كل حاجة) كفيلة بأن يصول عقلي ويجول في طبيعة الأصناف التي كانت توضع أمام الملك ، لكنني حمدت الله لا حقًا وتحديدًا أثناء دراسة علم النفس على أن لعابي وقت أن كان يسيل ، لم أكن في قفص تجارب بافلوف !

على أن أكثر جملة قالها الطباخ وظلت محفورة في ذهني (ورغم أننا بنحط أمامه كل شيء ؛ جبن ومربات ، وفطائر من كل صنف ولون لكنه لم يأكل منها إلا القليل جدا ، ومن يأكل ويشبع هم الخدم وعمال النظافة !

الأمر ببساطة كما تصوره عقلي .. كل هذه اللحوم ، والألبان ، والفواكه ، والخيرات التي تدخل القصر كانت من نصيب الخدم وعمال القصر ، ومن سيحاسب عليها هو حفيد محمد علي !

ولهذا لم أنس ما قاله العلماء في تعريف الرزق (هو ما انتفع به الإنسان بالفعل) !

رزقك لا ما جمعت ، ولا ما ادخرت ، ولا ما بنيت ، بل ما دخل فمك ، وتصدقت به عن نفسك ، ووجهته ليكون في ميزان حسناتك !

على ما في هذه القضية من بساطة إلا أن معظمنا يغفل عنها ، ويجد ويجتهد في كنز الأموال ، وتعظيم الحسابات في البنوك ، وبناء البيوت الفارهة ، وهو في الحقيقة

يشد الوثاق حول عنقه ، ويثقل الحساب على نفسه ، إذ لم يراعي جنب الله فيما يجمع ويدخر ويكنز !

والمسكين الذي يراقب حركة مال الثري ويندب حظه ويقول في نفسه ياليت لي مثل ما أوتي هذا الغني ، ولم يلتفت أن الله ساق له رزقا انتفع به على نحو لم ينتفع به ذلك الثري غير أن حسابه خفيف ، وحساب الثري ثقیل !

قال لي أحدهم يوما إن الأديب العلامة على الطنطاوي رحمه الله جاءتة مهمة عاجلة في طشقند بكازخستان وقت أن كانت تحت الاستعمار السوفيتي ، ولما هم بالسفر طلب من زوجته أن تحضر- له طعاما مذبوحا على الطريقة الإسلامية ، خشية أن يذهب إلى هناك ولا يجد بمكان نزوله طعاما حلالا ، فأعدت له الدجاج وأخذه معه .. فلما ذهب إلى هناك وجد من يستقبله في الفندق وقدم له طعاما مذبوحا على الطريقة الإسلامية ، فلما انتهى الطنطاوي رحمه الله وجد على باب الفندق امرأة فقيرة ومعها أطفالها فأعطاهما الدجاج الذي سافر به من مصر- محل إقامته وقتها !

وبعد ساعة فقط إذ ببرقية تأتیه ارجع فوراً المهمة ألغيت . فعاد إلى الفندق وأخذ شنته ورجع إلى مصر ..

لقد سافر في الجول لساعات طويلة ذهابا وإيابا ، وعاد في نفس اليوم ، والمهمة الوحيدة التي أنجزها ؛ أنه أخذ دجاجا مطبوخا ليعطيه لامرأة مع أطفالها تفترش شوارع طشقند !

لماذا يبدو الناس همج رعاع منساقين كالذباب وراء كل ناعق !

دانيال كانيمان .. أحد عباقرة العصر الحديث .. وبتطويفة سريعة يمكن للقارئ أن يقف على إجابة واضحة للسؤال القديم الحديث : لماذا تقدم العدو وتأخرنا رغم أننا لا نكف عن الدعاء ليل نهار ! دانيال كانيمان ؛ عالم نفس معرفي ، وهو أحد فروع علم النفس المعنية بدراسة الأمور والظواهر المتعلقة بالعقل وطريقه عمله ، وهو المؤسس الحقيقي لنظرية الانحياز المعرفي (Cognitive bias) مع عالم النفس الإسرائيلي أيضا عاموس تفيرسكي ، تلك النظرية التي تشرح لنا باختصار لماذا يختار الناس الاختيار الخطأ رغم وجود جملة من الحقائق الواضحة ، ولماذا يبدو الناس همج ، رعاع ، لاغين لعقولهم ، منساقين كالذباب وراء كل ناعق !

ساهم الرجل في تطوير منظومة الدفاع الإسرائيلية ، بعيدا عن الدبابات ، والطائرات ، والصواريخ ، قريبا من تشريح العقل ، وكيف يعمل ، وكيف يمكن التلاعب به عبر وسائل الإعلام والميديا ، وقدم لوزارة الدفاع العديد من الأبحاث العلمية ، علاوة على قيامه بمهمة تدريب الضباط في جيش الدفاع الإسرائيلي .. واستطاع على مدى 30 سنة من الأبحاث والدراسات أن يضع عصارة فكره في كتابه الفريد العجيب العبقرى التفكير، بسرعة وببطء (Thinking, Fast and Slow) الذي صدر في عام 2011 م، وحقق أعلى نسبة مبيعات في ذلك الوقت .

يشرح في هذا الكتاب طريقة عمل المخ البشري ، وكيف يصير أداة في أيدي الحكومات والأنظمة والشركات والأحزاب بل والأفراد ..

بين في هذا الكتاب أن العقل يعمل بنظامين ؛ النظام الأول : السريع التلقائي ، الذي ينجح إلى العاطفة ، لا عقلائي ومثال ذلك ما حدث معنا ونحن في الصف الأول الإعدادي حين جاء سؤال في مادة اللغة الإنجليزية على هذا النحو

**Sugar in the blood Kind of (Sweets – illness–
(Vegetables**

وكانت معظم الإجابات أن السكر في الدم نوع من الحلويات ، على اعتبار أن السكر في أول الجملة ، والحلويات في الخيار الأول في الإجابات (:) النظام الثاني : بطيء يستهلك جهدا ، يميل إلى المنطق والعقلانية ، وفي هذا النظام تحدث مجموعة من العمليات اللاشعورية حيث تزيد ضربات القلب وتتسع حدقة العين وغيرها من الأمور . ومثال ذلك معادلة رياضية طويلة. والإنسان بطبعته يميل إلى النظام الأول ، فقليلًا ما يفكر ويعمل عقله ، لأن العقل بطبعه كسول ، ويجذب القفز إلى النتائج .

استفاد من هذا الكتاب الأنظمة وأصحاب شركات الدعاية والإعلان ، والأشخاص ذوي المناصب السيادية المكلفين بإدارة المنصات والأجهزة الإعلامية ، والسياسية والإدارة والحكم ، بل وحتى السينمائيين ، حيث اعتمد فيلم (Focus) الذي قام ببطولته ويل سميث على أفكار وردت في هذا الكتاب وحقق الفيلم نجاحا كبيرا في أمريكا وخارجها .

ذكر الرجل في هذا الكتاب أربع نظريات رئيسية

الأولى : نظرية التثبيت .. وتستخدم هذه النظرية على نطاق واسع لاسيما في السياسة والتسويق ، فقد ترى محلا من المحلات واضعا سعراً حد منتجاته 500

جنيه بدلا من ألف جنيه ، فتهرع للشراء ، في حين أن المنتج سعره الأصلي 300 جنيه .

الثانية : نظرية التأسيس .. وفيها تتعرض لأفكار معينة طول الوقت فتنخرط عليك وعلى اختياراتك وأسلوب تفكيرك وتستخدمها بكثرة الأنظمة السياسية والمثال المشهور في ذلك حين طلب الإعلاميون من الناس أن يتوجهوا إلى البنوك لتغيير الدولارات التي بحوزتهم لأن سعره سوف ينزل قريبا ، فيهرع الناس دون إعمال العقل ، ولو أعملوا عقولهم لأدركوا أن ذلك صعب لأسباب منطقية منها : ضعف الإنتاج وتدهور عائدات قناة السويس ، وتدهور المدخولات السياحية ، وتدهور التصدير وغيرها ، وأيقنوا أن ما يقوله الإعلاميون والسياسيون محض كذب !

الثالثة : نظرية تأثير الهالة .. حين ترى أحدهم يبكي في المسجد في صلاة الظهر ، وتراه يكلم الناس بلطف فهو بلا شك ممتاز في العلاقات المالية ، ولكن عند تعاملك قد تفاجأ بكرسي في الكلوب .

الرابعة : نظرية الإطار .. وتستخدم في الدعاية والإعلان حين يضعك المسوق في إطار معين ويلفت انتباهك بشكل يجعلك لا ترى إلا فكرته ومنتجه.

فوضى المعلومات ..

لم تخل فترة من فترات التاريخ كله بدون حقائق وأكاذيب ، غير أن الفجوة سابقا كانت ضيقة للغاية بفعل بدائية الحياة وارتباطها بالطبيعة ، وعدم دخول التقنية ووسائل الاتصال على الخط .. حاليا تتماهى الحدود الفاصلة بين الصدق والكذب بشكل لا معقول ، ويجد حتى المتخصصون صعوبة بالغة في تقييم مصداقية المعلومات الأمر الذي يعكس ضبابية على كامل المشهد السياسي والاجتماعي والاقتصادي ...

(فوضى المعلومات) .. كما درسناها في العلوم السياسية تجعل من مهمة المحلل السياسي مهمة شاقة للغاية ، ومن وجهة نظر اجتماعية نفسية ربما تؤدي إلى الجنون ، فأقل ما يمكن أن تفعله فوضى المعلومات المساهمة في انعدام اليقين وتآكل الثوابت ومن ثم وفي الأخير نصل إلى حالة من انعدام التوقعات .. وكما أثبتت معامل علم النفس أن انعدام التوقعات ربما يفضي- إلى الجنون كما حدث لـ(كلب بافلوف) عالم النفس المشهور ..

والقصة لمن لم يدرس علم نفس هي أنه كان لـ(بافلوف) كلب يجري عليه أبحاثه ، وكان قبل تقديم الطعام له يعتمد إصدار صوت جرس مقداره (500) ذبذبة واستمر على هذا الحال فترة ، ثم صار الكلب عند سماع الصوت المصاحب لذبذبة بمقدار (500) يسيل لعابه لأنه يعلم أن الأكل سيقدم له بعد الصوت مباشرة .. اللافت أن الكلب كان لا يستجيب إلا للصوت الذي يصدر ذبذبه مقداره 500 فقط، بما يعني أن أي صوت آخر لا يتسبب في إسالة لعابه..

وبعد فترة عمد بافلوف إلى تخفيض صوت الجرس بدرجة بسيطة جدا عن المقدار المعروف (500) فكان أن تشتت الكلب ولم يعرف لأي صوت يستجيب حتى انهارت قواه العصبية .. وأصيب بالجنون.
يعني بالبلدي لما تكون في حالة (مش عارف أيه اللي يحصل) .. ستصاب بالجنون!!

تجدر الإشارة إلى أن نظريات بافلوف وغيره استعملت في الحروب وأتت ثمارها كسلاح فتاك تفوق على كثير من الأسلحة التقليدية من دبابات وطائرات وصواريخ ، وهذه الإشارة للذين يقللون دوما من العلوم الإنسانية في مقابل الاهتمام الكبير بالعلوم التطبيقية .

تجربتي في السجن مع عمي حسن

كان اسمه حسن .. لا أدري حتى ما اسم أبيه ، شاء القدر أن نترافق سويا في "الكلابشات" ، أثناء الترحيل من قسم مطروح ، لقسم كوم الدكة بالإسكندرية .. كنا لا نفترق إلا عند دخول أحدنا دورة المياه ، فنشأت بيننا علاقة رغم فارق السن ، وقصر المدة التي قضيتها معه .. فقط خمسة أيام !

سألني إنت ليه في السجن ؟

قلت له : لا أدري .. أنا طالب جامعي وأسافر في الإجازة الصيفية ، وأثناء سفري أمر الضابط أن يتم القبض علي ، فسافرت حقيقتي وحدها بينما أنا قابع في تلك الزنزانة التي تشبه القبر !

وجدتها فرصة لأسأله : وأنت ؟

قال : قتلت ضابطا !

واستطرد قائلا : نشأت في أسرة مفككة ، تركنا الأب صغارا وراح يبحث عن نزواته ، وبعد فترة تركتنا الأم وتزوجت من رجل آخر ، لا نجد من مأوى لنا سوى الشارع ، بطبيعة الحال مارست أعمالا محرمة وغير مشروعة لأكسب قوت يومي ، وبعد فترة شيء ما بداخلي دفعني لطلب رزقي بالحلال ، وأكف عن فعل الحرام .. فاشترت عربة وعليها كمية من الفاكهة والخضروات ، وسرت أبيع بين الناس في الشوارع ، ففتح الله علي ، وورزقني من حيث لا أحسب ..

ثم بعد فترة وجدت أن شرطة المرافق تلاحقني وتطلب مني بعض المال وإلا ... فكنت في البداية أعطيهم ، ثم امتنعت ، فأمر الضابط أن يهيلوا بضاعتي التي تمثل رأس مالي من الدنيا في الشارع ، فترصدت له وقتلته !

أتذكر هذه القصة التي حدثت معي قبل ما يقرب من (16) عاما ، حين كنت طالبا ، وتم القبض علي وتم التعامل معي كمجرم خطير في حين أن الأمر كان مجرد اشتباه في الاسم ، لما رأيت صورة المرأة المسكينة التي تفترش الأرض غير مبالية بحر الصيف وبرد الشتاء كي تطعم أطفالها ومن تعول ، وقد مزق فرشتها الأوغاد وفي رواية (شرطة المرافق) ..

لماذا تدفعون الناس دفعا إلى الجريمة ، ولماذا لا تتركوهم وشأنهم بعد أن فشلتم في تأمين حياة كريمة لهم ؟

فرحت وفرح غيري بثورة يناير لأنها قامت لمحاربة الأعداء الحقيقيين وعلى رأسهم الظلم والفقر والإقصاء والتهميش والتفاوت الطبقي المخل ، بنمط سلمي بعيدا عن أسلوب القوة الخشن .. لكن أعداء الوطن يدفعون الناس دفعا كي يستخدموا معهم أسلوب عبي حسن !

عندما تحسس المصلون أقدامهم !

يا لها من لحظة تلك التي أكد فيها إمام المسجد على ضرورة ارتداء (شراب) نظيف ؛ لأن رائحة كريهة منبعثة في عموم المسجد ، ولعلها أرقت المصلين !
اللافت بعد أن انتهى الإمام من نصيحته ، تحسس كل واحد من المصلين رجليه ليرى مصدر تلك الرائحة الكريهة ..بعد هذا الموقف خطر ببالي أفكار تتعلق بنمط تعاطينا نحن كمسلمين مع نصوص الدين ، وقلت في نفسي- لماذا لا نرى تجاوبا كبيرا مع نص يقول (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) على غرار التجاوب الكبير مع نص آخر يقول (وأقيموا الصلاة) ؟

من يتأمل سلوكنا كعرب تجاه قضية النظافة على سبيل المثال يدرك كم الفجوة بين ما ينبغي أن يكون وبين الواقع . في تصوري الخطاب الديني مسؤول مسؤولية مباشرة عن حدوث مثل هذه الفجوات ، حين ركز على قضايا بعينها على حساب قضايا أخرى لا تقل أهمية .. إن انتشار المدرسة الوعظية التي تميل إلى الفكر المتصوف المعتزل للحياة الذي لا ينطلق من منطلقات منهجية تراعي جانب الدين وجانب الدنيا ، ساهم في ترسيخ مفاهيم وقيم مغلوطة ، كتعظيم قيمة الاستضعاف أمام قيمة التمكين ..

لقد بات معيار السبق بين المسلمين التفوق في الصلاة وقيام الليل وكثرة الصيام وكثرة البكاء وما إلى ذلك من أمور تعبدية محضة ..

انظر مثلا إلى سيدنا داود على سبيل المثال حين يذكر فأغلبنا لا يذكر معه إلا أنه كان يصوم يوما ويفطر يوما ، في شح واضح للخطاب الديني حول ريادته في صناعة الأسلحة ؛ تلك الصناعة المهمة التي تعتمد عليها الدول الكبرى اليوم في التحكم

والسيطرة على الدول المتأخرة .. وكذلك يتناول الخطاب الديني في قصة سيدنا يوسف بعدا يتعلق بفتنة النساء مع إغفال واضح للجوانب التي تتعلق بنمط تعاطيه مع الحلول الذكية للمشاكل الاستراتيجية..

وكذا الحال مع ذي القرنين ذلك الرجل العظيم الذي استطاع أن يقيم سدا عظيما بين جبلين بواسطة النحاس والحديد المذاب ليقدم للبشرية درسا في العبقرية العلمية ذاك أن العلم الحديث اكتشف أن إضافة مقدار من النحاس إلى الحديد يزيد في مقاومته .. والأمثلة كثيرة !

لن نضع أرجلنا على طريق الإسلام الحضاري الذي يراعي كافة الجوانب التي جاء من أجلها هذا الدين إلا بإعادة ترتيب الخطاب الديني فلا نعطي الضوء الذي ورد مرتين فقط في القرآن ألف خطبة على حساب خطبة واحدة تعالج قيمة العدل التي يعج القرآن بها ، وألف خطبة عن الزهد والورع في مقابل خطبة عن قيمة العمل !

إنت مش عارف إنت بتكلم مين؟!

من المواقف التي لم أنساها ما حصل أمامي قبل ما يقرب من 15 عاما ، فأثناء سيري بأحد شوارع مدينة المنصورة المزدحمة للغاية لاحظت أصواتا مرتفعة ، ولما اقتربت منها وجدت أن أحدهم يريد أن يوقف سيارته أمام أحد المحلات ، فنهاه صاحب المحل أن يقف أمام محله ، فأصر الآخر أن يقف قائلا : (إنت مش عارف انت بتكلم مين ؟)

هنا قفز صاحب المحل على صاحبنا وانهاه عليه بالضرب المبرح ، وأثناء عملية الضرب كان يردد : (هو أنا كل ما أتكلم مع حد يقولني انت مش عارف انت بتكلم مين ؟)

(انت مش عارف انت بتكلم مين) ؛ جملة من الجمل التي إن انتشرت بين مجتمع ما برهنت على مدى تخلف ذلك المجتمع ..

في الهرم الذي يشكل بيئة المجتمع يبرز مصطلحان مهمان للغاية ، لا يخلو كتاب من كتب علم الاجتماع دون التطرق لهما ، وهما مصلح المكانة (Status) ومصطلح الدور (role) .. والمقصود بالمكانة الحيز الذي يشغله الفرد في المجتمع ؛ فمكانة الرئيس أو الوزير أو ضابط الشرطة جعلها المجتمع في مقدمة المكانات ، ومقابل كل مكانة هناك دور يجب أن يقوم به الشخص ، وإذا قصر- الشخص فيما يجب أن يقوم به من أدوار انتزعت مكانته ، ولا مجال هنا للحديث عن إرثه الاجتماعي الذي اكتسبه حتى لو كان ابن عمدة كفر المعيز !

هذا التقسيم البسيط الذي تراه في أي مقدمة لعلم الاجتماع هو الذي يوضح الفرق بين المجتمعات المتقدمة والمجتمعات المتخلفة ؛ فالمجتمعات المتقدمة يتم

اكتساب المكانة والدور بمجهود الفرد ، ولا مجال لحسبه ونسبه أو ما تحصل عليه من إرث ..

والمجتمعات المتخلفة يتحصل فيها الفرد على المكانة والدور من إرثه الاجتماعي كأن يكون ابن مسؤول كبير أو صاحب أملاك ورثها عن أجداده وهكذا ..
السؤال هنا : ماذا تنتظر من مجتمعات يصل فيها الشخص لمكانة ما ، ويلعب أدوارا معينة ليس اعتمادا على الكفاءة الشخصية والجهد الفردي ، والمهارة الذاتية ، وإنما بسبب انتمائه الأسري ، أو وضعه المادي والوظيفي ؟
لأشك سترى فسادا في شتى مناحي الحياة ..

ماذا تنتظر من مخرجات كليات حساسة لا يدخلها إلا ابن مسؤول كبير في الدولة ، أو صاحب واسطة ، أو معتمد على مرتشي- ، وكل ذلك يتم على حساب تهميش الكفاءات وأصحاب المهارات الفعلية ؟!

وكيف تنتظر أن ترى كرة قدم مشرفة وصاحب المهارة لن يتمكن من اللعب في نادي كروي مشهور إلا إذا كان ابن مسؤول أو صاحب واسطة ، على حساب المهاري المتألق غير أنه ابن رجل بسيط غير نافذ !

بعيدا عن الأسباب الظاهرة لتفكك وانهيار الاتحاد السوفيتي من ضعف الاقتصاد ، وتضخم ثروة رجال الحزب ، وقادته، وفساد فكر المكتب السياسي للحزب الشيوعي المسيطر وقتها إلا أن السبب الأهم تدرج غير ذوى الكفاءات ؛ فقد استعملت الولايات المتحدة الأمريكية أحد رجالاتها في روسيا وتجلت مهمته في وضع الرجل المناسب في المكان غير المناسب ، فأفسد أي بادرة للبناء والتقدم .

الإشكالية التي لا ينتبه إليها الكثيرون هي أن تولي غير الكفاءات في عمل ما فإن أول مهمة لهم ستكون منصبة على محاربة الكفاءات ، حتى لا يفقدون بريقتهم ،

ويبدو الأمر كما لو أن بكتريا ضارة تجتهد في قتل البكتريا النافعة وبعد فترة يموت الشخص ..

في الحقيقة وضع الرجل المناسب في المكان المناسب من القيم المهمة للغاية التي حرص عليها الدين الإسلامي ، ويبدو ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم (إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظروا الساعة) ، ويبدو ذلك من اعتذار النبي لأبي ذر رضي الله حين طلب الولاية ، ويبدو ذلك من فعل الصالحين والمصلحين من مختلف الأزمان والأديان ..لو كان الأمر بيدي لفعلت بكل من ولى شخصا غير مناسب مثل ما فعل صاحب المحل !

كيف نهضت اليابان ؟

احتلت اليابان تلك الدولة صغيرة الحجم كلا من الصين عظمة الحجم ، وكوريا الجنوبية ، وكوريا الشمالية ، والفلبين ، وتميز جنودها بل وأفراد شعبها بالعنف والوحشية والهمجية ، إذ كانت دولة عاطلة ، لا مهمة لها إلا السطو على مكتسبات الدول المجاورة ، على غرار ما كانت تفعله بعض القبائل العربية قديما ..

وكانت الحرب العالمية الثانية التي دُمرت فيها اليابان تدميرا كبيرا ، نقطة انطلاق كبيرة لها ، ذلك أنه لما سقطت القنبلة النووية على اليابان لم يجد الشعب الياباني أي تعاطف من قبل جيرانهم ، على عكس المعروف والمألوف بين الشعوب .. فالطبيعي حين يمر شعب بأزمة يسارع الجيران بنجدته والوقوف معه في محنته ، فمثل هذا الأمر صدمة كبيرة جعلتهم على إثرها يتناقشون ويتباحثون ، وفي الأخير خرجوا بثلاثة أسئلة كبيرة على حد تعبير الدكتور جاسم سلطان .. فلم يكن لديهم وقت للشجب والتنديد ، والعويل والبكاء على اللبن المسكوب بل شرعوا في طرح الأسئلة التالية كما يقول الدكتور جاسم سلطان في إحدى محاضراته :

السؤال الأول : ما الذي وجد في عادتنا وتقاليدنا وعقائدنا وتصوراتنا وجعل العالم يكرهنا بهذا الشكل ؟

السؤال الثاني : لماذا لم ننتبه إلى جملة الأخطاء التي أودت بنا إلى هذا المنحدر ، وهل تعمل مؤسساتنا بشكل صحيح ؟ لاشك أن عطبا في المنظومة الثقافية ولم يتوفر لدينا من الأدوات ما يكشف عنه ..

السؤال الثالث : أين كنا حين كان الغرب يتفنن في صنع أسلحة فتاكة ؟ ما الذي شغلنا عن إحراز تقدم تقني يجعلنا في وضع المنافسة مع الغرب ؟
اليوم نرى اليابان في مقدمة الدول الاقتصادية والعلمية والتقنية علاوة على أنهم شعب من ألطف الشعوب وأكثرها سماحة واحتراما .. فقط نجحوا في تغيير الثقافة التي كانت مهيمنة عليهم وبدأوا عملية التقويم والتقييم لجملة التصورات التي سادت فيهم طويلا ..

المجتمعات التي لا تتجدد تتبدد ، ومن لا يتقدم يتقادم ، ومن لم يسع للتقويم ينتهي ويتلاشى ، ومن لا يتعلم يتألم ، والوصول إلى الغاية المنشودة يلزمه اقتناص الفرص ؛ فأمريكا بقيادة جيمس مونرو اختارت ألا تتدخل في شأن العالم ، وتعتزل الجميع كي تبني نفسها ، لكن قادة أمريكا أثناء الحرب العالمية ارتأوا أن المبدأ يخل بمصالح الولايات المتحدة الأمريكية التي أضحت قوية ، في ظل ضعف الدول التي كانت أقوى في السابق ؛ فانتهكوا المبدأ الذي وضعه مونرو وبالفعل باتت لهم السيطرة والتحكم في العالم إلى اليوم .

التجديد والتأقلم طبيعة كامنة في بني البشر ، وركن ركين من التركيب النفسي- للإنسان ، وحاجة ملحة من حاجيات ضمان وجوده ..

لم أر للمتحابين غير النكاح

كان العرب قديما لاسيما في جاهليتهم إذا اشتهر بينهم قصة حب بين رجل وامرأة سعوا في التفريق بينهما ، حيث يصير والد البنت أن يزوجها من غير حبيبها ، معتبرا أن الزواج ممن كانت تحبه فضيحة تلازمه طوال حياته !

ورغم أن الإسلام لم ير للمتحابين إلا النكاح ؛ يصير البعض أن ينحو نحو التفكير الجاهلي ، ويذهب مذهب الجهلاء ، ويعد المتحابين من مرتكبي الكبائر ..

ورغم أن الواقع يشهد بفشل زواج المكروه والمكرهه ؛ إلا أن بعض الآباء والأمهات لديهم إصرار عجيب على مخالفة هوى أبنائهم وبناتهم ، ولا أدري لمصلحة من ؟

كثير من الفتيات اللاتي تزوجن بالإكراه وقلوبهن متعلقة بأحدهم ، ينحرفن انحرافا سلوكيا ونفسيا ، وتجلب لأهلها الحزي والعار من حيث أراد الأهل تجنبه ، وهذا الأمر مثبت قديما وحديثا ، ومن أشهر القصص في ذلك قصة عفراء وعروة ، وفيها وعد والد عفراء عروة بأن يزوجه من بنته ، وبعد عودته من سفر وجد حبيبته عفراء متزوجة من رجل ثري ، فمرض ، ولما قرر زيارتها حيث مقر سكنتها ورآها ضنى حبا ، ومات في طريق العودة ، وفي هذا قال سيدنا عمر بن الخطاب : لو أدركت عفراء وعروة لجمعت بينهما !

ومن ذلك أيضا ما حدث لتوبة بن الحمير عاشق ليلي الأخيلية ، فقد أحب بنت عمه وتقدم لخطبتها لكن أباهما رفض لاشتهار قصة حبهما ، فالرجل شاعر ومن أحبها شاعرة لم يتفوق عليها في الشعر إلا الخنساء ، ونسجا الاثنان أبياتا غاية في الرقة فسمع بهما وعن قصتهما القريب والبعيد ..

اللافت أن أباها زوجها من رجل لا تحبه ظنا منه أنه بذلك يحافظ على ابنته ، لكن توبة استمر في لقاء ليل حتى ضجر زوجها فتقدم بشكوى إلى الخليفة الأموي فقتله !

الحب ليس قرارا كالقرارات ، بل شعور فطري يعتري الإنسان ، خاليا من المجاملات ، إذ لا يختزل في كلمات ، فإذا نزل بساحة القلب أشرق واضطرب فرحا وسرورا ، ومن ثم فلا يجب أن يسعى أحدهم تحت أي مبرر للحيلولة دون التقاء حبيبين ..

تجدر الإشارة إلى أن كثيرا مما نراه الآن تحت راية الحب لا يمت له بصلة ، بل تسكع وانحطاط ، ومحض أوهام ..

الحب العذري العفيف هو الذي يميل الطرفان فيه إلى بعضهما البعض دون أن تكون هناك علاقة قبل اتخاذ خطوات الزواج .

وتجدر الإشارة أيضا إلى الدور الكبير والهام الذي تضطلع به الأسرة ، والأم تحديدا ، فالأصل أن تنتبه إلى تثقيف بناتها عن الحب ، وتنصح وتوجه وتدقق في تصرفات البنت ، وتتقرب منها وتصحبها ، وقبل ذلك كله سعيها لتقوية الوازع الديني بما يحفظ النفس من الوقوع في الحرام والمنهي عنه ، علاوة على تعزيز الحب داخل البيت وبين أفراد الأسرة ، إذ أن الفراغ العاطفي سبب في انتكاسة كثير من الفتيات اللاتي حسبن السراب ماء !

قدم حسن الظن على سيئته

أثناء خروجي من إحدى المستشفيات لغرض ما ، لاحظت أن سيارة قادمة نحوي بأقصى سرعة ثم ارتطمت بحاجز أسمنتي فتهشمت مقدمتها ..
على الفور أسرعرت ومعى بعض الذين شاهدوا المنظر فوجدت رجلا من الجنسية الفلبينية بعمر الخمسين تقريبا ومعه زوجته ، وبسرعة فهمنا من الزوجة أن زوجها أصيب بنوبة قلبية وأصر أن يقود السيارة بنفسه إلى المستشفى ولا يتحمل على أحد من معارفه ، فاشتدت عليه الأزمة قبل الوصول إلى المستشفى بثواني ، أي قبل أن يصطدم بالحاجز الأسمنتي فلم يتمكن من السيطرة على السيارة فأرأينا ما رأينا ثم طلبت من الواقفين سرعة إدخاله إلى الطوارئ .. على الجانب الآخر كان بعض الذين شاهدوا المنظر من الجهة الأخرى يلعنون الرجل لأنه يقود بسرعة عالية أدت إلى إصابته وتهشيم سيارته !

قلت في نفسي سبحان الله ماذا لو لم أكن في قلب الحدث ووقفت على تفاصيله ؟
ربما كنت ضمن الذين لم يقدموا التماس العذر للرجل .. وغضبوا من فعله !
معظمنا بشكل أو بآخر تعرض منذ ولادته لحزمة من العوامل والمؤثرات البيئية كطريقة تعاطي الأب والأم والأهل والجيران ونمط الحياة ونمط الثقافة السائد والتي أدت إلى تشكيل مجمل خصائصه النفسية والسلوكية والإبداعية كالتفكير الناقد ، والإدراك السوي ، ولأن كل إنسان ولد وعاش في بيئة مغايرة ، فيبدو الناس متفاوتون في الأفهام والإدراكات ، فيجب على الإنسان الذي يدعي الثقافة والإنصاف أن يجعل التماس العذر مقدما على كل ظن !

ولهذا ما الشقاق والكراهية التي انتشرت بيننا إلا بسوء الظن ، فهو فعل قلبي يمزق أحشاء المحبة ، ويقطع أوصال الأخوة والصداقة ، ويزرع البغضاء بين الزملاء والأهل والجيران .

الذين يسيئون الظن بالآخرين عليهم أن ينجلوا من أنفسهم ؛ لأن نملة التمسث العذر لنبي الله سليمان حين خشيت أن يدوس هو وجنوده النمل دون أن يشعروا حيث قالت (ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) !

والصديق الصدوق هو الذي لا يقر بسوء ظن الآخرين بك ، بل يدفعه حبه لك إن كان صادقا في حبه أن يزود عنك ، ولقد أحببت سيدنا معاذ رضي الله عنه ودام موقفه في غزوة تبوك محفورا في ذهني ، حين سمع النبي يسأل عن سبب غياب سيدنا كعب بن مالك ، فأنبرى أحد الصحابة وأجاب قائلا : منعه من المشاركة في الغزوة إعجابه بنفسه ولباسه ، فهنا قاطعه سيدنا معاذ وقال بئس ما قلت ، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا !

لماذا يشوه بعض الآباء والأمهات الطفولة البريئة بصخب النميمة

ينتابني قلق ممزوج بالغضب كلما أبصرت أما تتكلم بسوء عن صديقاتها أمام طفلها أو بنتها الممتلئة بوقود الفضول ، وكذلك كلما تحدث أب بسوء عن صديقه أو قريبه أمام طفله ، الذي يشد الخطى نحو حياة خالية من العقد النفسية !

لماذا يشوه بعض الآباء والأمهات الطفولة البريئة بصخب النميمة ، ويغرسون فيهم سلوكا عدوانيا تجاه الأقارب والأصدقاء ، ويجعلونهم بدون قصد وسيلة لإشاعة البغضاء لاحقا حينما ينقل الطفل بعضا من حديثهما للطرف المغتاب ، ذلك أن الطفل بعفوية يصاحبها عدم إدراك لعواقب الأمور قد ينقل كلاما على لسان الأب أو الأم مما يسبب لهما حرجا بالغا ، وتحدث مشاكل أكبر من قدرة الجميع على حلها !

قراءة في فقه المآلات

في القرن الثالث الميلادي سجل التاريخ أول مظاهرة نسائية قام بها مجموعة من الرومانيات ، وذلك حينما حاولن اقتحام تل (الكايتول) وأغلقتن الطريق أمام رجال الحكم على خلفية رفض قانون يحظر استخدام المرأة في السلع الثمينة ! هنا صرخ (ماركوس) المستشار الروماني العنيد في وجه المحيطين به من رجال الحكم قائلاً : إذا ما انتصرن الآن، ما الذي سوف لن يفعلنه غدا ؟

أحداث مثيرة جرت في تلك الحادثة لكن ما استوقفني فيها نظرة الرجل ذات الطابع المآلي التي يستشرف من خلالها ملامح المستقبل ، إذ لا يهيمه هنا أي شيء سوى التفكير في تبعات الفعل الذي يقمن به هؤلاء النسوة في المستقبل ! انتصر هتلى كثيرا ، وفي المرة التي أعماه غروره عن النظر في مآلات دخول روسيا في ذلك التوقيت وتلك الظروف حصلت الهزيمة النكراء ..

ما أروع الشعب البريطاني حين قرر استبعاد الزعيم ونستون تشرشل وتنحيته عن المشهد السياسي في أول انتخابات تجريها بريطانيا بعد الحرب ، وذلك لأنه أدرك أن تشرشل داهية حرب وحقق للشعب انتصارات ساحقة على دول المحور في الحرب العالمية الثانية ، لكنه مع ذلك لم يكن رجل السلام المناسب فقرّر إبعاده عن المشهد !

وما أروع الإمام الشافعي وهو ينجي عاطفته جانبا ويتأمل في تبعات اختياره لمن يخلفه في حلقة العلم ، فمع حبه البالغ لصديقه محمد بن الحكم الذي قال فيه ما يقيمني بمصر غيره ، حتى ظن كثير من طلبة العلم أن الإمام سيستخلف من بعده صديقه ابن الحكم ، لكنه قرر أن تكون الخلافة لأبي يعقوب المصري وذلك

لإدراكه أن الأكثر علما وفقها هو محمد بن الحكم ، لكنه كان يعرف أن البويطي هو الأقرب إلى الزهد والورع .. فلم يتردد أن ينصح لله وللمسلمين ، ولم يؤثر رضا صاحبه المقرب على رضا الله سبحانه وتعالى !

إن أكثر ما يميز الأب تفكره في المآلات ؛ فلا يربي ابنه تربية منغلقة فيها من الضغط والتحويط على الطفل ما يرهق كاهله ، ثم يعود ويشكو مر الشكوى لأنه لاحظ أن ابنه تغيير تغييرا كبيرا حين وصل إلى عمر السادسة عشر- ، ولم يدر المسكين أن ابنه كان طوال تلك السنوات يختزل بداخله ومع أول فرصة للانفجار .. انفجر !

ولعل أكثر ما يميز النساء لاسيما الحديثات عهد بالزواج ، تأنيها وعدم تعجلها في اتخاذ القرارات ، والتدبر في مآلات قراراتهن خصوصا تلك المتعلقة بالانفصال دون منح الفرصة كاملة !

رحم الله عمر بن الخطاب ، فقد عزل خالد بن الوليد وهو في أوج انتصاراته ، لأنه رأى في خالد أنه يقدر المسؤولية لكن يغامر في المآلات ، يرهق الناس ، ولا يمشي بمشي الضعفاء ، فهو في نظر عمر مغامر فوق الحد المسموح به !

ورحم الله عمر الذي رفض الصلاة في كنيسة القيامة رغم أن المسيحيين قالوا له : شرفنا بالصلاة يا عمر ، فقال لهم لو صليت هنا لربما قال المسلمون نصلي فيها كما صلى عمر فيأتون إليكم يأخذون الكنيسة منكم ويجولونها إلى مسجد ، ولهذا فإن عمر بن الخطاب صلى في مكان آخر غير الكنيسة وفيه أقيم مسجده الحالي !

أتصور أن نصح النبي للرجل الذي أتاه طالبا النصيحة بقوله : (لا تغضب - لا تغضب - لا تغضب) من أجل النصائح على الإطلاق لأن فيها معالجة للفعل وقت حدوثه ووقاية للإنسان في المستقبل من شر قد يقع ، وذلك لأن الإنسان لحظة

الغضب يدخل في حالة نفسية تبعث على الهياج يتبعها تصرف لا شعوري يخرج
عن جادة الصواب ، وحتما سيكون لأفعاله وتصرفاته وقت الغضب تبعات ثقيلة في
المستقبل من المؤكد أنه سيندم عليها ولات ساعة مندم !

فصل أطفال الملاجئ

كما هو معلوم لطلبة كليات التربية يتوجب على كل طالب بالفرقة الثالثة والرابعة أن يتوجه إلى إحدى المدارس من أجل إنجاز ما يعرف (بالتربية العملية) في إطار تنمية مهاراته على أرض الواقع !

ولأن قسم (تكنولوجيا التعليم) الذي كنت أدرس به كان جديدا على جامعة الأزهر ، ولا علاقة له مباشرة بالمواد الدراسية تصورت في بداية التحاق بكلية التربية أنه لن تكون لي مشاركات وجدول حصص كما بقية الطلاب في الأقسام الأخرى .. لكن وكما هو معروف يحدث أن يتغيب أحد المدرسين ؛ فتدجأ إدارة المدرسة للاستعانة بأحدنا كي يشغل الفراغ الذي أحدثه المدرس المتغيب !

وفي صبيحة يوم لن تغادر أحداثه ذاكرتي الضعيفة ، طلبت مني مديرة مدرسة إعدادية أن أقضي حصة مع فصل من الفصول ، دون أية تفاصيل ، فاستجبت على الفور ، وقررت أن أعطيهم بعض المراجعات الخفيفة في مادتي اللغة العربية والدين ..

دخلت الفصل فلمحت وجوها عجيبة ، متشردة ، عبوسة ، فتعجبت ، كيف يبدو هؤلاء الطلاب بهذه الهيئة الرثة والثياب المهلهلة والمدرسة في حي من الأحياء المتوسطة بقلب مدينة المنصورة !

وعلى الرغم من ملامح وجهي الجادة ، إلا أن الطلاب استقبلوني بزفة بلدي ، توقف معها عقلي عن التفكير ، لكن بالحزم تارة والتشويق تارة ، هدا الطلاب نسبيا ، ومع الشروع في بعض القصص التربوي هدا كثير منهم ولم يبق إلا مجموعة

صغيرة لا تكف عن الحركة والشغب ، وعمل حركات بهلوانية كانت لبقية الطلاب كمسرحية هزلية تخرج الضحكات الشريرة من أعماقهم !
قررت التعامل على طريقة عنتره بن شداد في حروبه ، نظرت في أكبرهم حجما ، وأكثرتهم شقاوة ، وانهلت عليه بالضرب المبرح ، وبذلك تمكنت من السيطرة على بقية الطلاب !

ولما انتهيت من الحصة ، بادرنى أحد المعلمين قائلا : ما شاء الله .. كيف تمكنت من التعامل مع هذا الفصل ؟!

قلت له : وهل كل الفصول مثل هذا الفصل ؟

أجاب : لا بالطبع .. هذا فصل أطفال الملاجئ !

شعرت بعد كلمة (ملاجئ) أن سهما اخترق قلبي ولا أبالغ ..

معقول ضربت طفلا بهذه القسوة ، وهو بلا أب يعلمه التعامل مع مدرسه ، وبلا أم ينام قري العين متوسدا على صدرها ؟!

لماذا لم يخطر ببالي أن هذه الهيئات البائسة ، والقانطة ، ونظرات التحدي المستفزة الأصل أن تكون دافعة لي للسؤال عن أحوالهم قبل التعامل معهم بهذه الغلظة !

حوار بيني وبين نفسي استمر لدقائق ثم توجهت إلى الفصل ، وعبثا حاولت حبس دموعي لكنها أبت أن تنزل بينما كنت أقبل رأس ذلك الطفل !

مؤخرا ، رأيت أحد الآباء يشكو مر الشكوى من أولاده ، فتذكرت هذا الموقف الذي أثر كثيرا في حياتي ، قلت سبحان الله ، طفل وجد أبا لا ييخل عليه بالمال والحنان والتوجيه ، ووجد أما تعتني به ، تسقيه من حنانها ، ومع ذلك لا يجد الأهل إلا كل نفور وعناد ..

إذن كيف بمن خرجوا إلى الدنيا ولم يجدوا أمامهم إلا الشارع الذي زرع فيهم شخصية غير سوية ، تعاني نفسيا كما تعاني من الحرمان وعدم الإشباع العاطفي كرد فعل طبيعي للخوف وانعدام الثقة في الآخرين والميل ناحية العدوانية وإثارة المشاكل .. وضعف الانتماء الذي يولد بدوره مجموعة من القيم السلبية في حياة الطفل !

زوروا الملاجئ ، وسدوا الشغرات التي أحدثتها مؤسسات التنشئة من أسرة ، ومسجد ، وكنيسة ، ونادي ، وإعلام ، ومؤسسات اجتماعية مختلفة ، وارسموا البسمة على وجوههم ، ففي ذلك وقاية للمجتمعات من شر متوقع ، وامسحوا على رؤوس الأيتام فإن ذلك يرقق القلب .. وكلنا بحاجة إلى ترقيق القلب !

متى استقامت حياة تايسون ومتى انتكست ؟

قرأت صباح يوم مبارك عن حياة رجل حقق مكانة عالية في مجاله من لا شيء ، فعادت بي الذاكرة إلى أحداث وأمور مر عليها سنوات طويلة وكان لها تأثير بالغ على حياتي ..

(مايك تايسون) ، أو (مالك تايسون) .. ثاني أشهر لاعب ملاكمة في تاريخ اللعبة بعد محمد علي كلاي ، ذلك الرجل الذي ولد وعاش في حي شعبي لا يعرف إلا السطو المسلح والسرقة والاعتصاب وسائر الموبقات ، لم ينشأ كما نشأ الصغار؛ لأنه لم يجد أسرة سوية يعيش في كفنها ، ولا مدرسة تفتح أبوابها له ، فاتجه لأعمال البلطجة حتى أودع في السجن وهو ابن الاثنا عشر- عاما ، حتى وهو في السجن تعدى على أحد المسجونين فتم نقله إلى مكان آخر .. يصف هذه الفترة بأنها كانت جحيما يتمنى أن يخرج منه .. وفي تلك الأثناء تعرف عليه رجل من أصول إيطالية فآمن بموهبته ، فتبناه وصنع منه أسطورة الملاكمة في القرن العشرين ..

تبناه الرجل ، وجعله يسكن مع عائلته بعد خروجه من الإصلاحية ، وشرع يعلمه ما لم يتعلمه في ظل أسرته ، فكان له أب كأحسن ما يكون الآباء !

يقول تايسون : كنت حريصا على ألا أخسر أمام منافسي حتى لا أغضبه ، وأحاول ألا أتلقى ضربة من خصمي لأني كنت أشعر أنه هو الذي تلقى الضربة وليس أنا ، لقد أحببته حبا ملك علي قلبي ، ولم أحترم أحدا مثلما احترمته !

أتدرون متى تبدلت حياة تايسون وعاد إلى أعمال السرقة والشغب بل وحتى الاعتصاب ؟

عندما مات الرجل الذي تبناه !

فتايسون لم يجد من يملأ الفراغ الذي أحدثه الرجل برحيله ، فانكسر قلبه وغاب
وعيه فترة من الزمن .. حتى ردعته حزمة القيم التي غرسها الرجل فيما بعد ..

داري يا قلبي ..

أن يصل عدد من شاهدوا أغنية حمزة نمرة - داري يا قلبي المفعمة بالحزن إلى أكثر من 100 مليون شخص فإن ذلك يعني لي أمرين مهمين ..

الأول : إلى أي مدى يخيم الحزن على جيل الثمانينات تحديدا وربما ما تلاه من أجيال ، ومن يتأمل عيون الشباب يدرك كم قضى الحزن وطره منهم ، وأضحى مؤهلا لأن يجبل باليأس ، ذلك أن الحزن يرافقه دوما ، والفرح يهجره في الغالب ويرمقه الآخرون بنظرات تؤله ، ذلك أنهم يريدون من الشباب أمورا أكبر من أن تتولد من تلك النفسية المتعبة ..

إلى الآن لم يورث جيل الفرح لجيل بعده ؛ صار الحزن مغروسا في الجينات ، وبات الفرح مؤجلا كالثأر من جيل لآخر ولا أدري من يعلم الأجيال القادمة معنى الفرح ويغرس فيهم الأمل !

المؤلم أن الذين قرروا أن يمارسوا بعض الفرح بشكل مختصر ، فذكرياتهم تشدهم شدا إلى عالم سفلي مملوء بالحزن والفقد ، حتى إنهم لم يعودوا يشعرون بأن أرواحهم تتفتت أو تفتت بالفعل !

لقد بلغ الحزن بهم كل مبلغ وهامهم يفتشون عنه في أغنية عابرة أو قصيدة باكية ! الأمر الثاني : لا زال هناك من يقدر الفن الهادف ، فكما أن المهرجانات ذات الكلمات القبيحة والأفعال المشينة لها جمهورها ، فللأغاني الجميلة التي تخاطب الذوق والإحساس حضور واسع جدا ..

المطرب أو الفنان أو المنتج غالبا يبحث عن الريح والجمهور هو الذي يحدد أي قالب غنائي سيكون له الغلبة ، فلا تكاد ترى فترة زمنية بدون إسفاف في كل

شيء حتى في نمط الغناء والفن .. فأم كلثوم على سبيل المثال غنت (الخلاعة والدلاعة مذهبي) بعدما أقنعها البعض بضرورة التخلي عن التواشيح والأغاني ذات الطابع الديني، لكنها عادت عن هذا الطريق لأن أذواق غالبية الجمهور رفضت هذا النوع من الابتذال وكذلك كان الأمر مع محمد عبد الوهاب الذي غنى (عشرة كوتشينة)، وكذلك سيد درويش الذي كتب (وأنا مالي هي اللي قالتلي .. روح اشرب وتعالى على البهلي)، وكذلك مع منافسة أم كلثوم منيرة المهدية حينما غنت (انسى اللي فات، وتعالى بات، ليلة التلات) !

والست رتيبة ابنة الشيخ أحمد الحمزاوي المنشد والمبتهل قررت ألا تعيش في جلباب أبيها وغنت تقول (الحب دح دح والهجر كخ كخ) بخلاف (هات الإزاة واقعد لا عني)، و(على سرير النوم دلعني) لحبيبة مسيكة والتي غنتها في تونس لكنها لم تجد رواجاً إلا في مصر !

والأمثلة كثيرة لكن الشاهد : الفن كغيره من الأدوات التي تعكس قبح الواقع أو جماله والجمهور هو الذي في يده قلب الموازين ، بالبحث عن الفن الذي يحمل قيمة ، ومقاطعة العمل الرديء ..

ماذا تفعل لو قيل لك إن ابنك يحب ؟

قيل لأحد الحكماء : إن ابنك يحب !

فرد عليهم : إذا يراعي لبسه ، ويمشط شعره ، وينظف نفسه ، ويعطر بدنه !
والحب إن تخلله مراقبة الله ، لا يأت إلا بخير ..

ينزعج الأب حين يعلم أن ابنه قد وقع في حب فتاة ، وتنزعج الأم حين يتبين لها أنها ابنتها واقعة في حب أحدهم ، ويضعف عزمهما عن متابعة الأمر وحلحلتها ، فضلا عن توجيهه ، فغالبا لا يكون إلا الصفع ، والسب والشتم واللطم والتجريح ، وتبقى قلوب (المحبين) معلقة كريشة في مهب الريح !

كان العرب قديما في مجالسهم التربوية يحثون الشباب على الحب ، على اعتبار أنه الدافع الأكبر نحو تحقيق المروءة ، ذلك أن المرأة إن أحبها أحد تجعله كريم الأخلاق ، حسن الطباع ، لأنه يحاول أن يكون كاملا في عينها ، والمرأة العربية الأصيلة لم تكن ترضى أبدا أن يحبها إنسان وضع ، ضعيف الهمة ، قليل العزم ..

ومن الأمثلة المشهورة على ذلك جميل بثينة ، فقد قُدر له أن يدخل في مصارعة حرة مع رجل آخر والقوم ينظرون ، غير أن المصارع المنافس كان أقوى منه عشرات المرات ، لكن جميلا هزمه شر هزيمة ، وذلك لأنه لمح بطرف عينه بثينة تطل عليه من أعلى التل ، فلم يكن ليرضى أن يهزم أمام حبيبته ، إذ كان يستمد منها قوته ، ومن بريق عينيها سر عزيمته ، فاستغرب القوم من القوة التي بثت في الرجل !

فطن لذلك المصارع المنافس فطلب منه أن يصارعه في مكان بعيد عن أعين الناس ، فتهور جميل ووافق ، فهزمه المصارع ثماني مرات أو أكثر !

لولم يغرق مصطفى صادق الرافعي في حب مي زيادة ، ما خرجت لنا تلك الكنوز الأدبية التي تنمي الإحساس ، وترقق الطباع ، وتطبطب على القلب ، وتحنو على العقل !

ولولم يقع العقاد في حب مي أيضا ، ما خرجت إلينا روايته الرومانسية الماتعة التي استعار لها اسم (هند) وكان يقصد (مي) ، وكذلك الحال مع جبران خليل جبران وغيرهما !

لي أحد الأصدقاء ، وقع في حب جارته ، غير أنها كانت أعلى منه تعليما ، فذاكر وجد واجتهد حتى حصل على الدكتوراة في تخصصه ، فاستويا ، بل تفوق عليها فاستحقها ، وكانت من نصيبه ، لقد كان حبه لها دافعا له كي ينحو نحو القمة في أخلاقه ، وعلمه ، ليكون جديرا بها !

هذا هو الحب الذي أعرفه ، والذي لا يأت إلا بخير !

ما نراه الآن ويعتقده كثير من الشباب والبنات ليس حبا ، ولا يمت للحب بصلة ، فالحب الصادق هو الذي يراعي جنب الله ابتداء ، ويدفع صاحبه لأن يكون واقعيا ، يراعي المتطلبات الحالية ، ويستشرف من خلاله ملامح المستقبل ، حتى لا يكسر قلب فتاة وثقت به ، كما يدفعه لنيل أعلى الدرجات وأرفع المكانات ، ولا يتخلل العلاقة منكر ، أو محرم !

إن جميلا عاشق بثينة وهو على فراش الموت قال لمن يجلس معه : ما رأيك في رجل بلغ الخمسين من عمره ، يشهد أن لا إله إلا الله ، ولم يزي ، ولم يسفك دما حراما ، وهو مع ذلك يصلي ؟!

فرد عليه صاحبه : هو ناج بإذن الله !

فقال جميل : هذا أنا .. فرد عليه صاحبه : أنت ؟؟؟ وتقول كذا وكذا في بثينة ؟!

فرد جميل : والله منذ عرفتھا وأحببتها ، ما بدر مني شيء ، وأعظم ما كان مني لها أن وضعت يديها مرة على قلبي حتى يستريح !

تقبلوا أبناءكم ، بصدر رحب ، وعقل متفهم لطبيعة المرحلة العمرية ، وطبيعة العلاقات الإنسانية ، وطبيعة العصر وظروفه وملابساته ، واحنوا على بناتكم ، ولا تجلوا أن تتحدثوا معهم في أمور أهم من الأكل والشرب والمذاكرة ، واعلموا أن الصدا لا يأتي بخير ، بل الحب الصادر منكم إليهم !

امتص غضب الآخرين

قبل فترة توجه صديقي الذي يسكن بجواري إلى سيارته صباحا ذاهبا إلى العمل ، وما أن فتح باب السيارة إلا ووجد أمامه رجلا خمسينيا ضخما يوجه إليه كلاما حادا ، ويلومه بالفاظ لا تليق لأنه تجرأ وأبعد برميلا بلاستيكيًا من أمام محله كان قد اتخذ علامة لتمنع الآخرين من الوقوف ..فما كان من صاحبنا إلا أن تبسم في وجهه ، وقال له : حقك علي أنا آسف لكني لم أر برميلا وأقسم على ذلك ، فراجع صاحب المحل نفسه وقد هدأ فورانه وقال له : لعل أحدا غيرك قد أزاحه ، ثم سأله عن بلدته وتعرف عليه ، فما مضى- الاثنان في طريقهما إلا والبسمة تعلو محياهما ..

مشهد كهذا كان كفيلا بأن أبقى سعيدا طيلة يومي ..ومن أجمل ما فتئت ذاكرتي الضعيفة تذكره ؛ موقف الإمام أبو حنيفة مع جاره الإسكافي بالكوفة ، فلقد كان جاره هذا لا هم له إلا الأكل وشرب الخمر ، يأتي الليل فينتهي من الأكل ويشرع في الشرب ، حتى إذا ذهب عقله ؛ ردد بعضا من أبيات الشعر التي يندب فيها حظه إذ كيف يعمل في تصليح الأحذية رغم أنه يرى نفسه في مكانة أعلى ، بصوت عالي كان يزعم الإمام وهو يصلي من الليل ..

نصحه الإمام مرارا لكنه لم يكف عن الشرب والصياح ، وذات ليلة فقد الإمام ذلك الصوت الذي كان يأتيه ، فسأل عنه فعلم أن الشرطة قد أخذته ، فصلى الفجر وتوجه ببغلتة إلى مقر الشرطة وطلب من الوالي إطلاق سراح ذلك الإسكافي ، فأفرج الوالي عن جميع من اعتقلوا في ذلك اليوم إكراما لأبي حنيفة ..

فركب الإمام بغلته، وتبعه جاره الإسكافي، فلما وصل إلى داره، قال له الإمام أبوحنيفة : أترانا أضعنك يا فتى؟

قال : لا.. بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن صحبة الجوار ورعايته.
ثم أقسم قائلاً: والله لا أشرب بعدها خمرًا، فتاب من يومه، ولم يعد إلى ما كان عليه !

ليس كل شيء في هذه الحياة يستحق أن تقف معه ، وتتعصب من أجله ، أو تغضب بسببه ، فصحتك أهم ، وراحتك النفسية قد تجدها في قليل من التجاهل ..
والتغافل !

أشفق على الذين يثورون ويتعصبون في كل موقف وتجاه كل شخص مهما بدا سيئًا ،
ولست من الذين يتجراؤون ويصفون من يتجاهل كثيرًا بالبرود ، أو الغرور ، بل
ربما عددته من زمرة الذين أتاهم الله عقلا راجحا ، ونفسا سوية لاسيما في هذه
الأيام ..

تدين مغشوش

من المعارك الشهيرة التي هُزم فيها المصريون القدماء هزيمة نكراء رغم تفوقهم في العدة والعتاد ؛ معركة (بلوزيوم) ، تلك المعركة التي جرت بين الملك (بسماتيك الثالث) حاكم مصر ، والملك (قمبيز) ملك الفرس ..

وبالرجوع لأهم أسباب الهزيمة تبين أن الفرس بدهائهم كانوا قد اطلعوا على ثقافة المصريين اطلاعا جيدا ، وعرفوا عاداتهم وتقاليدهم ، ووصلوا إلى أسرار ضعفهم ، فقد عرف الفرس أن المصريين يعظمون القطط ويعدونها من الحيوانات المقدسة ولهذا فإن (باستيت) إحدى آلهة قدماء المصريين ؛ كانت على هيئة قطة وديعة ..

المهم عمد الفرس حين التقى الجيشان إلى رسم القطط على دروع الجنود ، وخصصوا الصف الأول من الجيش للقطط وبقية الحيوانات التي يعظمها المصريون ، فلما رأى جنود مصر ذلك الأمر ، لم يتمكنوا من مهاجمة قوات العدو ، فشرع الفرس في حصد الرقاب وإبادة الجيش ..

ولما قدم نابليون بونابرت إلى مصر- عام 1798 أظهر احترامه للدين الإسلامي ووزع علي المصريين منشورا كان قد كتبه فور خروجه من ميناء تولون على مطبعة سرقها من بابا الفاتيكان لهذا الغرض ، ولم يشرع في كتابة المنشور إلا بعد قراءة واطلاع مكثف بهدف التعرف على طبائع الشعب المصري ، ومن خلال القراءة أدرك أن سر ضعف المصريين يكمن في العاطفة الدينية ، فكتب إليهم يظهر حبه للإسلام ، وشاركهم في الأعياد والمناسبات الدينية ، وأخذ يمدح في نصوص القرآن ، وأنه ما جاء إلا ليخلصهم من الطغاة المتجبرين الذين لا يلتفتون إلى معاناة الناس ، بل زاد على ذلك وأمر بالمبالغة في الاحتفال بقدوم شهر رمضان

الذي كان يعظمه المصريون تعظيماً ، وخرج بنفسه يستطلع هلال الشهر ، وفي أثناء الشهر كان يعد الولائم للعلماء والأعيان ويحضر القراء للاستماع إلى كتاب الله عز وجل ..

في مصر عادات قديمة وحديثة ظاهرها احترام الدين كتعديل (الشبشب) المقلوب ، وتقبيل المصحف إذا سقط على الأرض ، والتسمية والتوكل على الله عند كل فعل حتى لو كان سرقة أو قتل ، والتمسح في قبور الصالحين أو من يعتقدون فيهم الصلاح ، وغيرها الكثير من الأفعال المنتشرة في ربوع مصر .. غير أنه في الحقيقة تدين كاذب يظهر فيه الفصام النكد بين ما هو واقع وما هو مأمول ومنشود .. لا تصلح العاطفة الدينية أن تكون دافعا نحو التقدم والبناء الذاتي والمجتمعي والحضاري إلا إذا لازمها ورافقها إرادة المعرفة وتطورها ، فإنها - أي العاطفة - إذا طغت على المجتمعات أصابتها بالعمى الفكري ، وحولت الفرد فيها إلى خطر داهم على نفسه وعلى المحيطين به ذلك أنه طُمس عقله ، وأُسر مشاعره في اتجاه لا يليق ، ولهذا لم يقل الله (فاذكر أو تأكد ، أو غيرها من المفردات الأخرى ، بل قال : (فاعلم أنه لا إله إلا الله) ..

قصة الأطلال وعبقريّة السنباطي ورقة ناجي

لم تصف أم كلثوم أحدا من الذين لحنوا لها بـ (العبقري) غير رياض السنباطي ، على ما كان فيهم من عظمة وشموخ بدءا من الشيخ أبو العلا محمد ، وعبد الحمولي (الذي لم تدركه لكنها غنت أراك عصي الدمع من ألحانه) ، وزكريا أحمد ، والقصبجي ، مرورا بمحمد الموجي ، ومحمد عبد الوهاب ، وصولا لبليغ حمدي .. وعلى كثرة الذين لحن لهم السنباطي إلا أنه لخص قصة حياته في قوله (قصة حياتي هي أم كلثوم) !

معرفة السنباطي بأم كلثوم قديمة بقدم العلاقة التي كانت تجمع بين والد أم كلثوم الشيخ إبراهيم البلتاجي بوالد السنباطي الشيخ محمد ، حيث كانا ينشدان ويغنيان في الموالد والأفراح والمناسبات المختلفة ، فتعرف الصبي على الفتاة مبكرا وهما المتقاربان في العمر !!

عملا معا (الأطلال) والتي تعد تاج الأغنية العربية ، فقد امتزج فيها جمال الكلمات مع روعة اللحن ، وحسن الأداء ؛ فنالت لقب أفضل أغنية في القرن العشرين ..

قال كلمات الأغنية الشاعر الطبيب إبراهيم ناجي في حب ملك عليه قلبه في فترة صباه ، قبل أن يغادر مصر لدراسة الطب في الخارج ، ولما عاد وجد أن من كان يحبها قد تزوجت من رجل آخر ، وذات ليلة سمع من يطرق باب منزله طرقا شديدا ، في استدعاء عاجل لحالة أوشكت على الولادة ، ولما ذهب إلى البيت الفخيم وجد أن الحالة المتعسرة هي ذاتها من كان يحبها !!

انتهى من الولادة ، وعاد إلى بيته ليشرع في كتابة (الأطلال) بقلم مجروح ، وقلب موجوع !

عرضت القصيدة على أم كلثوم بعد (13) عاما من وفاة كاتبها فاستحسنتها ، وقررت غنائها ، وقبل الغناء تدخل أحمد رامي لإجراء بعد التعديلات على القصيدة ، فقبلت منه ذلك التعديل ..

في ذلك الوقت كان السنباطي قد تفرد بأسلوبه الخاص المعتمد على مزج المدرسة التقليدية بالمدرسة الحديثة التي كان من روادها محمد عبد الوهاب ، وبرع في طرح الإيقاعات الرزينة ، ودمج العود لأول مرة مع الأوركسترا !

اطلع الرجل على الكلمات فشرع في إعداد اللحن معتمدا على عدة مقامات تخللها مقام الصبا منفردا فجمع اللحن بين كافة المشاعر المتناقضة كالتي رافقت إبراهيم ناجي حين رأى حبيبته ملقاة على السرير في وضع متعسر ببيت رجل آخر !

وفي نهاية اللحن قرر السنباطي أن يجعل القفل عاليا ، فاعتزضت أم كلثوم ، وطلبت أن يكون القفل منخفضا وتحديدا في جملة (فإن الحظ شاء) ، ناقشها السنباطي طويلا محاولا إقناعها بأن الأداء منسجم مع القفلة العالية ، إلا أنها أصرت على موقفها ، فتركها ومضى- ، وظن كل طرف أن الآخر سيأتيه معذرا ، ودخلا الاثنان في مرحلة عض الأصابع !

استمرت مرحلة عض الأصابع أربع سنوات ، لم ينس السنباطي ربما رفض أم كلثوم له في أحد الأعمال القديمة ليكون مكانه الملحن عبده السروجي ، ولم تنس أم كلثوم أن الفتى الذي كان يذكرها بالأيام الخوالي ؛ أيام الموالد وحفلات الإنشاد أصبح ملحنا كبيرا ، لا يقل مكانة عن القامات الكبيرة في المجال .. وعليها أن تحترمه الاحترام اللازم !

وبين إصرار الطرفين تراجعت أم كلثوم ووافقت على القفلة العالية كما أراد السنباطي الذي لم ير سببا منطقيا ، ولا فنيا للتعديل نزولا على رغبة (الست) التي ترعب الجميع ، والتي تعودت على الأمر والطلب ، والجميع يسمع وينفذ !
اللافت أن إصرار السنباطي هو إصرار المهني المتمكن ، وإصرار أم كلثوم لا يخلو من رغبة عاطفية لا أساس لها في علم المهنة ..

ولو طبق هذه القاعدة ؛ كل في مهنته ، في غير تطويل ولا نفاق لسادت القيم الحميدة التي تؤصل لحياة جميلة ..

العجيب أن حالة الخصام المهني لم تجعل أم كلثوم تستغني عن السنباطي باعتباره (كفاءة) لا يجب خسارتها ، بل على العكس طلبته في جل أغانيها التي جاءت بعد الخلاف ، فلقد لحن لها خلال سنوات الخصام (18) أغنية لا تقل جمالا عن (الأطلال) ، فهي تدرك أنها تتعامل مع صاحب موهبة قل نظيرها ، فكانت نموذجا في تنزيل مقولة (الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية) على أرض الواقع مجسدة ، بينما يحلو لكثيرين ، أن يتغنوا بها دوما وعند التطبيق لا يبدو إلا الخصام والفشل !

الميراث الذي لا يقدر بثمن

إن أفضل ما يمكن أن يقدمه الأب لولده في حياته وبعد مماته ، سيرة حسنة يفتخر بها ، والأهم من ذلك ألا يكون وضعيا في نفسه ، يحسب لنفسية ابنه حسابا ، فلا يأتي خلقا ذميما ، ولا يشتهر بين الناس بنقيصة ، أو سلوك مشين .. أبدا لم يكن فقر الوالد عيبا ، يطال أولاده ، أو مناط تعيير من إنسان سوي ، وأبدا لم تكن المهنة والحرفة سببا في انتقاص قدر الأب ، طالما كانت مهنة شريفة تدر دخلا على صاحبها ، ولا أدرى منطق الأبناء الذين تحمر وجوههم خجلا حين تذكر مهنة أبيهم أمام الجالسين ، أو حين يرون آبائهم في مواطن العمل ، والعرق يتصبب من جباههم ، والتراب يعلو رؤوسهم ، والوسخ مطبوع على ثيابهم ، وكان الأصل أن يفتخروا بأن لديهم أبا مجيد ويتعب من أجل تربيتهم بالحلال ، في زمن انتشار الفحش والنصب والرشوة والضلal !

معلوم لدى المهتمين بالأدب العربي ، مدى العداء الشديد الذي كان بين جرير والفرزدق وكلاهما من شعراء الدولة الأموية ، وإلى بني تميم ينسب الشاعران ! غير أن الفرزدق كان له أب متحلي بصفات العرب الأساسية من شجاعة وكرم وإقدام ، على عكس جرير ؛ إذ كان أباه الذي يدعى (عطية) وضعيا ، بخيلا ، يفعل المنكر من الأفعال ، والمشين من السلوكيات ، التي تأنف الفطرة السوية منها ، كشأن الوضعاء من الناس الذين يأكلون في الشارع ، ويجلسون في الطرقات يراقبون الناس في غدوهم ورواحهم ، ويأكلون بنهم كأنهم محرمون من الأكل دهرا ، ويشربون على عجل كأنهم منعوا الماء شهرا !

وكان بين الفرزدق وجريز مناوشات لا تحف ، وحرب لا تكف ، يقول هذا قصيدة محكمة ، فيرد الآخر عليه بقصيدة ، أكثر إحكاما ، غير أن الفرزدق توجه إلى موطن الضعف الحقيقي عند جريز ، فهجاه عبر بوابة أبيه ، ولهذا قال جريز يوما :
ما قال لي الفرزدق بيتا إلا وقد قلبته عليه إلا قوله :

لَيْسَ الْكِرَامُ بِنَاحِلِكَ أَبَاهُمْ، حَتَّى تُرَدَّ إِلَى عَطِيَّةٍ تُعْتَلُّ

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ قَدْ رَضِيتَ بِمَا بَنَى فَاصْبِرْ فَمَا لَكَ، عَنْ أَبِيكَ، مُحَوَّلٌ

والمعنى : مهما اجتهدت أنت يا جريز ، وتصدقت وأكرمت ، وفعلت من الأفعال الحسنة فلن ينسبك الناس إلا إلى أبيك عطية ذلك الرجل الوضيع ، وأراك تكذب على الناس حينما تدعي أنك فخور بأن عطية والدك ، وإن كنت صادقا فاصبر !

أشعر الناس من قارع بهذا الأب ثمانين شاعرا فغلبهم جميعا !

كتبت منشورا حول جرير والفرزدق ، وهما من أشهر شعراء الدولة الأموية ، وقلت إن الشاعر جرير ما ترك بيتا للفرزدق يهجو فيه إلا رد عليه بيت آخر ، باستثناء بيت واحد ، لم يستطع أن يرد عليه فيه ، حيث توجه الفرزدق إلى موطن الضعف الحقيقي عند جرير ، فهجاه من بوابة أبيه الذي يدعى (عطية) قائلا :

لَيْسَ الْكَرَامُ بِنَا حَلِيكَ أَبَاهُمْ، حَتَّى تُرَدَّ إِلَى عَطِيَّةٍ تُعْتَلُّ

وَرَزَعَمْتَ أَتَّكَ قَدْ رَضِيَتْ بِمَا بَنَى فَاصْبِرْ فَمَا لَكَ، عَنْ أَبِيكَ، مُحَوَّلٌ

والمعنى : مهما اجتهدت أنت يا جرير ، وتصدقت وأكرمت ، وفعلت من الأفعال الحسنة فلن ينسبك الناس إلا إلى أبيك عطية ذلك الرجل الوضع ، وأراك تكذب على الناس حينما تدعي أنك فخور بأن عطية والدك ، وإن كنت صادقا فاصبر ! ومعلوم أن عطية كان رجلا وضعيا ، بخيلا ، مشتملا على صفات تأنف منها البشر ..

صحيح لا تزر وازرة وزر أخرى في دين الإسلام ، غير أنه من الجميل أن ينسب الشخص إلى أب كريم شجاع نبيل ، والأجمل أن يكون الشخص نفسه جميلا خلوقا ، ناجحا ، حتى لو كان والده وضعيا ، ذميما ، يشتهر بين الناس بالنقائص .. فوالد سيدنا عكرمة رأس الكفر ، ووالد سيدنا خالد عمود الشرك ، ووالد سيدنا عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول رأس النفاق ، ووالد سيدنا أبو عبيدة بن الجراح ، من صنديد الكفر ، وغيرهم كثير على مر العصور والأزمان ، ولا يعيب الشخص نسبه ، إنما يعيبه ضعف خلقه ، وقصور عزمه ، ووضاعة اهتماماته ، وانحراف ميوله !

بالعودة إلى جرير ، رغم أن الفرزدق أرهقه نفسيا بتعييره بوالده عطيه ، إلا أن جرير استطاع بعد فترة أن يحول كارت ضعفه إلى كارت قوة ، فقد سئل يوما : من أشعر الناس ؟

فأخذه جرير من يده وذهب به إلى منزله ، وأوقفه عند رجل دميم ، قد جثي على ركبتيه بين رجلي عنز يرضع منها ، فقال له أو تعرف هذا ؟
قال : لا

قال : هل تعلم لماذا يشرب اللبن من الضرع مباشرة ؟
فقال لا

فقال له جرير : هذا أبي ويشرب من الضرع مباشرة مخافة أن يسمع الناس صوت شخب اللبن إن هو شربه من إناء فيذهبون إليه يطلبون اللبن ، فلشدة بخله كان يشرب من الضرع على اعتبار أنها وسيلة الشرب التي لا تحدث صوتا ..
ثم قال جرير : أشعر الناس من قارع بهذا الأب ثمانين شاعرا فغلبهم جميعا !

حاول !

عِنْدَمَا تَقْرَأُ فِي شَخْصِيَّةٍ مِثْلَ شَخْصِيَّةِ الشَّاعِرِ وَالْأَدِيبِ الْأَمْرِيكِيِّ (تشارلز بوكوفسكي) الَّتِي تَطْرُقُ إِلَيْهَا مُؤَلَّفُ كِتَابِ (فَنَ اللامبالاة) سَتَتَضَارَبُ الْمَشَاعِرُ وَتَتَدَاخَلُ ؛ فَتَارَةً تَشْعُرُ بِالْحُزَنِ ، وَأُخْرَى بِالْفَرَحِ ، وَغَالِبًا لَا تَسْتَطِيعُ التَّمْيِيزَ بَيْنَ مَشَاعِرِكَ !

شَخْصِيَّةٌ عَجِيبَةٌ ، مِنْ خِلَالِ الْعَوْصِ فِي مَلَامِحِهَا ، وَتَجَارِبِهَا ، سَتَفُفُ إِبْتِدَاءً مَعَ قِيَمَةِ الْأُسْرَةِ السُّوِيَّةِ الَّتِي تَجْتَهِدُ فِي تَرْبِيَةِ الْأَبْنَاءِ تَرْبِيَةً مُتَوَازِنَةً غَيْرَ مُعَقَّدَةٍ ، خَالِيَةٍ مِنَ الْعِقَابِ الْبَدَنِيِّ وَالنَّفْسِيِّ ، وَمَا الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ تُقَدِّمَهُ الْأُسْرَةُ الْمُنْحَرِفَةُ سُلُوكِيًا لِلْمُجْتَمَعِ ؛ مِنْ عَاهَاتٍ لَا تَنفَكُ عَنْ إِحْدَاثِ الْمَشَاكِلِ وَالْمَصَائِبِ ..

وَسَتَتَوَقَّفُ حَتْمًا عِنْدَ شَخْصِيَّةٍ نُمُودَجِيَّةٍ فِي قَضِيَّةِ الْإِيمَانِ بِالنَّفْسِ ، وَحُجَابَةِ التَّحَدِّيَّاتِ لِلْوُصُولِ إِلَى الْهَدَفِ مَهْمَا طَالَ الزَّمَنُ !

وَسَتُدْرِكُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَدَيْهِ طَاقَةٌ جَبَّارَةٌ ، وَمَوَاهِبٌ مَذْفُونَةٌ ، وَإِمْكَانَاتٌ لَا يَدْرِي عَنْهَا شَيْئًا ، سَتَخْرُجُ لِلنُّورِ لَوْ آمَنَ بِنَفْسِهِ إِبْتِدَاءً ، وَسَعَى وَاجْتَهَدَ وَكَافَحَ ، وَسَتَأْكُدُ مِنْ أَهْمِيَّةِ أَنْ يُسَخَّرَ اللَّهُ لَكَ أَوْ لغيرِكَ مَنْ يُعِينُكَ ، وَيُدْعِمُكَ بِكَلِمَةٍ حَاضِيَةٍ ، وَبَسْمَةِ شَافِيَةٍ !

المهم أن الإنسان وهو في طريقه هذا لم يكثر ث كثيرًا بما يقوله الآخرون عنه ممن جعلوا أنفسهم مغاليق للخير ، مفاتيح للشر ، وهبوا أنفسهم لتثبيط الناس ..
وُلِدَ (بوكوفسكي) لِأَبٍ ثَرِيٍّ فِي أَلْمَانِيَا ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْأَبَ خَسَرَ ثَرَوَتَهُ بِسَبَبِ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الْأُولَى ، وَمَا نَتَجَ عَنْهَا مِنْ تَضَخُّمِ قُلُوبِ نَظِيرِهِ ، فَهَاجَرَ مَعَ أُسْرَتِهِ لِأَمْرِيكَا ، وَمَعَ هِجْرَتِهِ تَحَوَّلَتْ نَفْسِيَّتُهُ ، وَسَاءَتْ أَخْلَاقُهُ ، فَكَانَ دَائِمَ السَّبِّ وَاللَعْنِ

فِي زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ، كَحَالِ الرِّجَالِ الَّذِينَ مَلَكَوا مَالًا كَثِيرًا ثُمَّ فَقَدُوهُ فَجَاءَ،
فَيَتَحَوَّلُونَ إِلَى عَاطِلِينَ، مُدْمِنِينَ، يُعَانُونَ مِنْ اضطراباتِ نَفْسِيَّةٍ لَا تَخْرُجُ إِلَّا عَلَى
الرَّوَجَةِ وَالْأَوْلَادِ، لِدَرَجَةٍ أَنْ بُوْكوفيسكي كَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ طِفْلٌ غَيْرُ شَرْعِيٍّ لِكَثْرَةِ مَا
كَانَ يَتَعَرَّضُ لَهُ مِنْ إِهَانَةٍ، وَتَحْقِيرٍ!

فِي الْعَالِبِ لَا تَخْرُجُ بِيئَةٌ تَرْبِيَّةٌ كَهَذِهِ إِلَّا أَطْفَالًا بِأَسْسِينَ، يَلَازِمُهُمُ الْحَجَلُ دَوْمًا،
وَلَا يُفَارِقُهُمُ الْإِنْعِرَالُ الاجتماعي، لَا تَعْرِفُ الثَّقَّةَ لِأَنَّفُسِهِمْ بَابًا، وَلَا تَعْرِفُ الْمَوَاهِبَ
لِعُقُولِهِمْ طَرِيقًا!

وَمِنْ تَقْدِيرِ اللَّهِ لِلرَّجُلِ أَنْ وَهَبَهُ بَشَرَةً دُهْنِيَّةً كَانَتْ بِيئَةٌ خَصْبَةٌ لِمُؤَوِّحِ الشَّبَابِ،
وَمَعَ تَوَثُّرِهِ وَقَلْقِهِ وَاضْطِرَابِ نَفْسِهِ تَفَشَّتِ الْحُبُوبُ فِي وَجْهِهِ بِطَرِيقَةٍ نَفَرَتْ مِنْهُ
أَقْرَانُهُ، فَرَادَ مَعَ عَزَلَتِهِ اعْتِرَازًا، وَمَعَ حَجَلِهِ ضَعْفًا وَاسْتِيَاءً ..

كَبُرَ الْفَتَى بَيْنَ أَحْضَانِ الْفَتَيَاتِ السَّاقِطَاتِ، مُتَشَابِهَةً لَدَيْهِ كُلِّ الصَّبَاحَاتِ، مُدْمِنًا لَا
تُفَارِقُ يَدَهُ الْكَاسَاتِ، مُتَهَرِّبًا مِنَ الْمَدْيُونَاتِ، أَيْقَنَ مِنْ حَوْلِهِ أَنَّ لَا نَصِيحَةَ سَتَجِدِي
مَعَهُ، لَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ امْتَلَكَ مَوْهَبَةً شِعْرِيَّةً، اكْتَشَفَهَا أَثْنَاءَ حُصُولِهِ عَلَى دَوَرَاتٍ فِي
الصَّحَافَةِ وَالْفَنِّ وَالْأَدَبِ، وَكَانَ يَمْتَنِي نَفْسَهُ بِأَنْ يُصْبِحَ كَاتِبًا مَرْمُوقًا، لَكِنَّهُ لَمْ يُسَاعِدْ
نَفْسَهُ، وَلَمْ يُسَاعِدْهُ أَحَدٌ فِي وَضْعِ أَقْدَامِهِ عَلَى أَوَّلِ الطَّرِيقِ ..

كَانَ كُلَّمَا أَفَاقَ أَرْسَلَ رِسَالَةً إِلَى دَارِ ذُشْرِ- أَوْ صَحِيفَةٍ، أَوْ مَجَلَّةٍ لِيَعْمَلَ بِهَا مُحَرَّرًا،
فَكَانَتْ جَمِيعُ الرِّسَائِلِ تَعُودُ بِالرَّفْضِ. وَمَعَ تَرَاكُمِ الرِّسَائِلِ عَلَيْهِ كَانَ ثِقُلَ الْفَشَلِ
الْمُتَزَايِدِ يَدْفَعُهُ إِلَى هَاوِيَةِ اكْتِنَابِ حَادٍ يَتَعَدَّى عَلَى كَأْسِ الْخَمْرِ الَّذِي لَا يُفَارِقُ
يَدَهُ!. وَلِإِحْتِيَاجِهِ الشَّدِيدِ لِلْمَالِ قَرَّرَ أَنْ يَعْمَلَ فِي مَكْتَبٍ لِلْبَرِيدِ بِأَجْرِ زَهِيدٍ، وَفِي كُلِّ
أَحْوَالِهِ لَا يَنْفَكُ عَنِ كِتَابَةِ الشَّعْرِ وَلَمْ يَفْقِدِ الثَّقَّةَ فِي مَوْهَبَتِهِ، وَظَلَّ عَلَى هَذَا الْحَالِ
أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ عَامًا، حَتَّى وَصَلَ سَنَهُ (50) سَنَةً!

وَذَاتَ يَوْمٍ قَرَّرَ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلَى دَارِ نَشْرِ صَغِيرَةٍ طَلَبَا لِلوُظَيْفَةِ، وَخَيَّرَ صَاحِبَ الدَّارِ بَيْنَ أَمْرَيْنِ؛ إِمَّا أَنْ يَرْفُضَهُ فَيَعُودَ إِلَى مَكْتَبِ الْبَرِيدِ حَتَّى يُجِنَّ، وَيَذْهَبَ عَقْلُهُ بِالْكَلِيَّةِ، أَوْ أَنْ يَبْقَى خَارِجَ دَارِ النِّشْرِ يُمَثِّلُ دَوْرَ الْكَاتِبِ وَالتَّضَوُّرَ جُوعًا، ثُمَّ أَرَدَفَ قَائِلًا: وَلَقَدْ قَرَّرْتُ أَنْ أَتَضَوَّرَ جُوعًا !

لَا أَدْرِي لِمَاذَا قَرَّرَ صَاحِبُ الدَّارِ أَنْ يُرَاهِنَ عَلَى مُحَرَّرٍ فِي عُمْرِ الْحَمْسِينَ، لَكِنَّهَا أَقْدَارُ اللَّهِ حِينَ يَسُوقُ إِلَى النَّاسِ رَحْمَاتِهِ، وَيَنْزِلُ عَلَيْهِمْ عَطْفُهُ وَامْتِنَانُهُ، أَيْقَنَ بوكوفيسكي أَنَّ الْفُرْصَةَ قَدْ جَاءَتْهُ وَعَلَيْهِ اسْتِغْلَالُهَا أَحْسَنَ اسْتِغْلَالٍ قَرَّبَهَا إِنْ ذَهَبَتْ لَا تَأْتِي مَرَّةً أُخْرَى..

لَقَدْ أُنْجَزَ الرَّجُلُ أَوَّلَ رِوَايَةٍ لَهُ فِي ثَلَاثَةِ أَسَابِيعَ فَقَطْ، اسْمَاهَا (مَكْتَبُ الْبَرِيدِ) وَكَتَبَ فِي الْمَسَاحَةِ الْمُخَصَّصَةِ لِلْإِهْدَاءِ (إِلَى لَا أَحَدٍ)، وَبَعْدَهَا تَوَالَتْ الْأَعْمَالُ وَاسْتَطَاعَ أَنْ يُنْجِزَ رِوَايَاتٍ وَأَعْمَالَ أَدَبِيَّةَ عَدِيدَةٍ فِي وَقْتِ ضَيْلٍ وَصَلَ عَدْدُهَا إِلَى (2) مَلِئُونَ نُسْخَةً غَيْرَ أَنْ أَشْهَرَ أَعْمَالَهُ (لَا تُحَاوَلُ!) وَهِيَ ذَاتُ الْكَلِمَةِ الَّتِي أَوْصَى أَنْ تُنْقَشَ عَلَى قَبْرِهِ، رَغْمَ أَنَّهُ حَاوَلَ كَثِيرًا وَلَمْ يَسْتَسْلِمَ، لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ مَاتَ وَلَمْ يَمُضَ عَلَى الْإِنْتِهَاءِ مِنْ رِوَايَتِهِ الْأَخِيرَةِ (اللُّبُّ) إِلَّا أَيَّامًا !

عن نظرتنا السلبية للناس وللمجتمع !

جلس بجواري في أحد الأماكن رجل خمسيني ، وأخرج من جيبه علبة السجائر وشرع في التدخين ، فعم الدخان المكان ، وقبل أن تبدأ الأفكار المشبعة بسوء الظن في العمل ، كان موعد صلاة المغرب قد اقترب ، فإذا بالرجل الذي انتهى من التدخين يأخذ زاوية من المكان ويشرع في أذكار المساء بصوت خافت يعكس ما في القلب من رقة واستحضار لجلال الله وقدره !

وبفعله هذا جعلني أردد الأذكار ، وفي ظني أنه لو لم يفعل ما فعلت لانشغالي بانتهاء أمر مهم !

فتأكدت أنه مهما تعثرت أقدام المسلمين في وحل المعاصي إلا أن الخير دفين في نفوسهم ، ومن ضمن أكبر المشكلات التي نعاني منها نظرتنا السلبية للناس وللمجتمع !

التمس العذر للآخرين

في موقف ما قد يتحدث عليك صديق أو زميل ، وتكون ردة فعله معك عنيفة للغاية ، وتبحث في الأمر فلا تجد مبررا لتصرفه ، فلو كانت فورة الغضب هذه طارئة ، ولم تعهد فيه هذه الحدة من قبل ، فاعلم أن لديه مشكلات عويصة أخرجته عن هدوئه المعهود .. ومن ثم فهو بحاجة إلى (طبطة) واحتواء لا ردة فعل منك أعنف !

لن تظهر شخصا ضعيفا ، بل ستكبر في عينيه ، وأعين الآخرين !

قراءة في كتاب (فن اللامبالاة)

تجولت في كتاب (فن اللامبالاة) لمؤلفه مارك مانسون ، فوجدت به بعض الأفكار المهمة في الحياة والتي تساعدنا على تجاوز كثير من العقبات في مسيرتنا نحو الموت .. ولقاء الله .

غير أنه تجدر الإشارة في البداية إلى عدم صلاحية الكتاب لصغار السن ، ومن لم تدهسهم الحياة بعد ، فالكتاب مفيد ربما للذين امتلكوا خبرات متنوعة في الحياة ، ويتوهون في زحمة الدنيا ، يأخذون كل شيء على أعصابهم ، ودائما ما يظهروا للناس مرهقين ، متعبين ، بائسين ، يائسين !

يعتبر (فن اللامبالاة) من الكتب التي صدرت مؤخرا ، ونالت شهرة واسعة للعديد من الأسباب أبرزها في تصوري ، ما يشهده العالم من معاناة ، وكثرة ما يأخذ الناس على أعصابهم ؛ فتنموا أن لو كانوا باردين غير آبهين ما يحدث حولهم في هذا العالم الموحش !

وعربيا .. لأن كثيرا من الشباب رأوا اللاعب المصري محمد صلاح ممسكا الكتاب بيده ، يطالعه !

يسلط الكتاب الضوء على العديد من الأفكار المهمة لعل أبرزها ؛ تهميش بعض ما يقوله ويدعيه المتخصصون في (التنمية البشرية) فليس كل ما يقال على ألسنتهم صحيح ، لاسيما وأن الأمر أخذ منحى تجاريا بعض الشيء ، فالتطور في الحياة والنمو والارتقاء لا يعتمد فقط على كلمات التحفيز ، وبرامج تعزيز الإيجابية ، فربما تساهم هذه الأمور في حلول على المدى القصير لكن محال على المدى البعيد .

هذا العالم الموحش الذي نعيش فيه لا يمكن أن نكون فيه باردين تماما ، ولا يجب أن نكون أيضا منفعلين بشدة ، بل يجب أن نعرف حدود إمكانياتنا وأن نتقبلها ابتداء ، ثم بعد ذلك نحاول تنمية ما يمكن تنميته بالعلم والدراسة والكفاح .. إذ يستحيل أن يكون المرء منا متميزا في كل مجالات الحياة ، وسعيدا في كل أحواله ...

فبعضنا يعاني من زوجته سيئة الطباع ، والبعض يعاني من قلة المال ، وبعضنا يعاني من مرض مزمن ، ولد عاق ، فضلا عن كثير من الأمور الأخرى ، فمن المهم حيال هذه المعاناة وهذه المشتتات الغزيرة التي حولنا أن نحسن اختيار المعاناة التي نريدها ، ونركز عليها ونتجاهل ما سواها .. ذلك أن محاولتنا الدءوبة لأن نكون إيجابيين في كل شيء يعكس السلبية في أبهى صورها !

تجاهل ما يؤذيكَ ؛ كصاحبك الذي يقابلك مبتسما ضحوكا ، وهو الذي لا ينفك عن الحديث عنك بسوء من وراء ظهرك كلما سنحت الفرصة ، ولا يعلم أنك تعلم أنه يفعل ذلك !

تجاهل زميلك الذي يدس لك الدسائس عند مديرك طمعا في منزلة علم أنه لن ينالها بجهد فقرر أن ينالها بمكره !

تجاهل تصرفات أطفالك السيئة ، وزوجتك ، وجيرانك ، ولا تقف عند كل صغيرة وكبيرة ، فقط اهتم بالأمر الكبير التي تخدش القيم الأساسية !

تجاهل كل هؤلاء ولكن لا تخرجهم من دائرة حبك لاسيما إن كانوا من أصحاب الفضل يوما ما !

كذلك من الأمور المهمة التي سلط الكتاب الضوء عليها قضية (القيم) ولعل من أجمل الجمل التي قالها حول تلك القضية (لا معنى للمعاناة لو كانت بدون هدف)

، وقد أشار إلى أن القيم التي يختارها المرء لنفسه ستساعده بشكل جيد على اللامبالاة ، والتركيز ، والشعور بالسعادة ، فمن يختار قيمة القناعة لن يكون حاله كحال من اختار قيمة الجري وراء المال ، ومن اختار قيمة الكذب لن يستوي حاله مع من اختار قيمة الصدق ، ومن اختار قيمة الوقوف في صف الظالم ، لن يشعر بالطمأنينة التي يتمتع بها الواقف في صف الحق !
وأخيرا ركز الكتاب على قيمة الموت ، معتبرا أن تفكر المرء الدائم في الموت سيجعله مركزا في اختيار القيم التي تجعله يموت الموتة السوية التي يرضاها لنفسه ، وربما لهذا السبب أمرنا رسولنا الكريم أن نكثر من ذكر الموت !

متى أخفي العلم ومتى أظهره ؟

لا أعلم في السنة حديثا يقول (خيركم من تعلم العلم وعلمه) لكني أعلم عشرات النصوص الدينية التي تحث على تعلم العلم وتعليمه للناس ومنها (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الثَّمَلَةُ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحَوْتَ، لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ) و (من علم علما فله أجر من عمل به ، لا ينقص من أجر العامل) .

تعليم الناس العلم من أفضل الأعمال في الإسلام ، وأجر ذلك لا يخص الدار الآخرة وحدها ، بل يجد معلم الناس الخير والعلم فضلا وخيرا كثيرا في نفسه وعقله وبركة على جسده ، وتسديدا في أقواله ، ورشدا في أفعاله ، وحكمة في تصرفاته ، على عكس الذين يكتمون العلم لا يبينونه للناس ..

إن مما تعلمته أننا نتعلم 10% مما نقرأ، و 20% مما نسمع، و 30% مما نرى، و 50% مما نسمع ونرى، و 70% مما نناقش مع الآخرين، و 80% مما ننجزه، و 95% مما نعلمه لشخص آخر !

ذلك أن البركة تنهال على معلمي الناس الخير ، على عكس ما يتصور البعض ، من أن كتمان العلم يجعله دائما مطلوبا ، متميزا بين زملائه في العمل ، غير أنه في الحقيقة قد يكون ضمن زمرة الذين توعدهم الله بلجام من نار يوم القيامة !

تجدد هنا الإشارة إلى التمييز بين العلم الذي يجب تبينه للناس ، والعلم الذي يجب منعه عن الناس ، إذ ليس كل علم صالح لأن يعرض على الناس ابتغاء الأجر والمثوبة ، ومن عينة ذلك إذا كان نشر- هذا العلم سيؤدي إلى مفسد عظيمة

تتعدى المصلحة ، فيقتصر فيه ، ومن هنا بوب العلماء بابا تحت عنوان (باب جواز كتمان العلم) !

ومن هذا لما صلى الصحابة خلف عثمان بن عفان رضي الله عنهم في منى أربع ركعات فجيء لابن مسعود وقيل له إن عثمان صلى بالناس أربعاً ، فاسترجع ثم قال : صليت مع رسول الله بمنى ركعتين وصليت مع أبي بكر - رضي الله عنه - بمنى ركعتين ، وصليت مع عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - بمنى ركعتين ، فليت حظي من أربع ركعات ، ركعتان متقبلتان !

هنا اضطر عبد الله بن مسعود أن يكتم العلم منعاً للجدال ، ومنعاً للفتنة والخلاف ، إذ كان الأصل أن يصلي سيدنا عثمان ركعتين بدلاً من أربع ! غير أن ذلك الكتمان لا يجوز في الشهادة ، بل يجوز في علوم المهنة ، إذ يباح لصاحب فن من الفنون وحرفة من الحرف أن يكتم بعضاً من علمه لحاجة في نفسه كأن يكتم بحثاً علمياً للاستثمار والتربح المالي من ورائه ، لأن ذلك ضمن علوم الكمال والتمام ، بخلاف علم الضرورة فلا يجوز بأي حال كتمانها ! على المستوى الشخصي تناوب علي زملاء كثر على مدار 11 عاماً في مكتبي ، فلم أبخل على أحدهم بمعلومة تعلمتها ، وذهبوا جميعاً وبقيتي في مناصبي بل ترقيت فيه ..

لا أقول ذلك من باب المفاخرة والتباهي بل رداً على أولئك الذين يتصورون أن كتم المعلومة في العمل المهني يضمن لهم بقاءً أطول ، وتميزاً مهنيًا بين الزملاء ..

عاداتنا المقيتة

ما رأيت مجتمعا يظلم نفسه كمجتمع المصريين ، يرهقون أنفسهم في اجتماعياتهم ومناسباتهم المختلفة، ثم يبكون ويتباكون بعد ذلك !

الأعراف التي اعتاد عليها الناس كالذهاب بأكياس محملة بالفواكه والمنتجات الغذائية لمن يرغبون في زيارتهم وصارت دينا ، والهدايا التي صارت إجبارية في الأعياد الدخيلة على هويتنا كمن تأتي بخاتم من ذهب لأُم خطيبها أو زوجها وغيرها من الافتكاسات الأخرى أثرت سلبا على تعزيز معاني المحبة والوئام بين الأقارب والجيران والزملاء؛ إذ ليس في استطاعة كل واحد أن يرد الزيارة بمثلها ، فشاع الحرج بين الناس ، وتلاشت البساطة التي كانت تميزنا كشعوب عن غيرنا .

الآن ومع ارتفاع الأسعار صارت الزيارة تتكلف ما بين 150 إلى 200 جنيه في المتوسط..ما الذي يمنع الناس أن يتزاورا دون تكلفة، لرفع الحرج عن الجميع؟

(إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون) .

نعم الله تعم الجميع

كنت أقرأ عن قضية الطاقة ومستقبلها في العالم لاسيما مع زيادة الطلب عليها ، فلاحظت أمرا عجيبا يدل على عظمة الله سبحانه وتعالى ، ومدى النعم التي تفضل بها على خلقه ، في كل مكان وزمان .. ولاحظت أيضا مدى كسل الإنسان في استعمال عقله ، وبذل جهده ، فتصور أن الله أعطى لغيره ما لم يعطه !

يوجد دول باردة مثل روسيا والسويد وبعض المناطق في الولايات المتحدة الأمريكية ، أيسلندا ، نيوزيلندا واليابان ، وبعض مناطق الصين وجورجيا وكثير من دول العالم التي لا تنعم بدفء الشمس كثيرا ، أكرمها الله بوقوعها فوق براكين ، فاعتمدت على الطاقة الحرارية الجوفية كمصدر طاقة بديل ونظيف ومتجدد ..

وهناك دول كالألمانيا ومختلف الدول الأوروبية تعتمد على طاقة الرياح في جزء كبير من احتياجاتها من الطاقة النظيفة .. وهناك دول لا تقع فوق البراكين ويصعب استخراج الطاقة الحرارية الجوفية لأن ذلك يتطلب حفر أنابيب لأعماق سحيقة ، لكن الله وهبها أنهارا وبحيرات استطاعت ان تنشئ السدود لتوليد الطاقة المتجددة النظيفة ..

وهناك دول لا تملك أنهارا ويصعب فيها استخراج الطاقة الحرارية وهبها الله شمسا قوية كدول الخليج ، وبعض الدول الأخرى وبإمكانها استخراج طاقتها باستخدام الألواح الشمسية ..

كل رقعة على ظهر هذا الكوكب مليئة بالخيرات ، يبقى على الإنسان أن يستعمل قانون الوسيلة الذهبية ، المنبثق من نظرية التحدي والاستجابة .

إن الله لا يبتلينا ليعذبنا بل ليربينا

سيأتي على هؤلاء المتألمين لمرض ينغص عليهم عيشتهم، أو فقر ينكد عليهم أيامهم، أو سجن ظالم يقيد أيديهم، ويحرمهم أهلهم، وأولادهم، أو عذاب مستمر من جبار آثم يغاديههم به، ويماسيهم، سيأتي على هؤلاء يوم يكون فيه هذا كله ذكرى، أي: ذكرى في النفس، وحديثاً في المجالس.

من خلال هذه الكلمات البسيطة يستعرض لنا أديب الفقهاء وفقه الأدياء علي الطنطاوي رحمه الله بعضاً من جراحاته وما اعتري نفسه في فترات مضت من عمره، فيقرر من خلالها حال الدنيا، وما يجب أن تكون عليه النفس البشرية المتصلة بالله في نمط تعاطيها مع الأحداث المؤلمة قلت أو كثرت ..

قدر ابن آدم أن يعيش في هذه الحياة، يعتريه الألم، والكدر والمصائب، فتصاب نفسه بالعلل والهموم والغموم والأحزان التي تكسر فؤاده، وعلى ما في حياتنا من تسهيلات أفرزتها الحضارة في شقها التقني والمعلوماتي تبقى الروح في خواء مرير، ما لم تنتبه إلى الغاية الكبرى التي من أجلها أنشئت .

يبتلى هذا في ماله، ويبتلى هذا في صحته، ويبتلى هذا في ولده، وآخر في زوجه، وآخر يبتلى بخسارة حبيب، أو فقد عزيز، وهكذا هي الدنيا، لا تصفوا دوماً لأحد ..

بعضهم يحاول الخروج من حالة الحزن فينجح، وبعضهم يظل حبيس النفس، أسيراً، تتابع على قلبه الأحزان فتضعفه، وتهجم الهموم على جسده فتتهكه، غير أنه لو أعمل عقله وأدرك مراد الله منه لفقه أن الحزن على أمور قد ولت ومضت لا ينفع بل يضر، ذلك أن قلبه صار معطلاً، وعقله بات مشتتاً، وجهده وسعيه

أضحى قاصراً ، لا يقوى إلا على الدموع ، في غير خشوع ، تنثني عزائمه ، ويصير أمضى سلاحه الحرب !

لا غرو أن نحزن على فقدان حبيب ، ونغتم لخسارة مال أو ولد أو شيء من متاع الدنيا ، فنحن في الأخير بشر ، لكن الأصل أن يتبع ذلك الحزن رضا بقضاء الله وقدره ، فالله هو الذي اختار لنا ما نظنه بلاء فحق علينا أن نرضى ، ذلك أن الرضا من مقتضيات العبودية ..

والله لقد رأيت نماذج شتى في البلاء ، أحدهم وهو صديق لي فقد كل ماله في لحظة فلم أر منه إلا كل رضا وقناعة ، وتذكير منه برحمة الله وحكمته ، وأن في المصيبة دواء قد ذاق طعمه فحمد الله أن ساقه إليه ، ورأيت من فقد جزءا يسيرا من ماله فجزع وسخط وكادت المصيبة أن تقتله !

إن الله لا يبتلينا ليعذبنا ، بل ليربيننا ، على السراء والضراء والسعادة والشقاء ، فيستخرج العبودية في كل حال ، كما يبتلينا ليرفع قدرنا ، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما من أحد من المسلمين يصاب ببلاء في جسده إلا أمر الله تعالى الحفظة الذين يحفظونه ، قال : اكتبوا لعبي في كل يوم ، وليلة مثل ما كان يعمل من الخير ما دام محبوساً في ، وثاقي ، يعني ما دام في المرض . وفي حديث ثان من يرد الله به خيراً يُصب منه ، وفي حديث ثالث إذا أحب الله قوماً ابتلاهم والأحاديث في ذلك كثيرة .

ولقد أدركت في مسيرة عمري أن المصائب هي القابلة القانونية التي تولد العبقرية كما كان يقول نابليون بوناپرت لأحد جلسائه ، وأيقنت صدق قول المثل العربي القديم (المصائب محك الرجال ، المصائب مهماز الشجاعة ، عند الشدائد يعرف الإخوان) وآمنت بقول الله تعالى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) !

من الفقراء في البرد !

قابلت مجموعة من الأصدقاء في مكان مفتوح ، وبينما نحن جلوس إذ دخل في وسط الجلسة قط صغير ، يرتعش من شدة البرد ، فاختار أكثرنا طيبة وحنانا ، وكأنه تفحص عيوننا قبل أن يقرر لمن يذهب ويختبئ فيه من شدة البرد ، فأثر المشهد فينا جميعا ، وحرار الجميع في البحث عن وسيلة تدفئة مناسبة له ، في مشهد لا يخلو من حزن على حال هذه الكائنات اللطيفة الضعيفة !

على إثر هذا المشهد المؤلم تذكرت الحديث النبوي الشريف الذي جاء فيه (إن الملائكة تفرح بذهاب الشتاء) ، وذلك لما يدخل فيه على الفقراء من الشدة ، وتذكرت رغم ضعف الحديث حال المستضعفين في المخيمات ، وحال من ضاقت به الدنيا ، ثم تذكرت رقة أمير المؤمنين عمر حين يجل فصل الشتاء إذ كان يوصي أصحابه قائلا : إِنَّ الشتاء قد حضر، وهو عدو فتأهبوا له أهبطه من الصوف والخفاف والجوارب، واتخذوا الصوف شعاراً و دثاراً، فَإِنَّ البرد عدوٌ سريعٌ دخوله بعيداً خروجه.

ثم تذكرت جزاء الله سبحانه وتعالى لمن ينفق ويعطي في أوقات الشدة ، والمحنة ، (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) ، وتذكرت سباق الصالحين على مر العصور والأزمان في ستر الناس وشراء كسوتهم ومنهم ابن سعيد المنيعي مؤسس الجامع المنيعي إذ كان له نوع من الإحسان عجيب ، فكان يكسوا في كل شتاء نحواً من ألف نفس.

مجمعنا في حاجة ماسة لمن يستنهض الهمم ويبث روح الأخوة والتآزر حتى يقوم المقتدر بتأدية حقوق المحتاجين والمساكين ، كما أننا بحاجة ماسة لترتيب

الأولويات فليس بناء المساجد ودور العبادة فضلا عن سائر العبادات التي تكلف الشخص مالا كثيرا في غير فرض كالحج والعمرة ونحوهما بأفضل من كسوة فقير، وإشباعه، وتعليمه وعلاجه !

لا تجالس هذا الصنف من الناس !

بَعْضُ الْبَشَرِ لَا تُقَابِلُهُ إِلَّا عُبُوسًا، يَعْمَدُ أَوْ لَا يَعْمَدُ عِنْدَ حَدِيثِهِ إِلَى تَعْزِيزِ التَّكْدِيرِ، وَصَارَتْ طَرِيقَتُهُ إِشَاعَةَ رُوحِ الْحُزْنِ وَالْهَمِّ وَالْغَمِّ بَيْنَ النَّاسِ، مَشْمُورٌ عَلَى الدَّوَامِ.. وَبَعْضُهُمْ يَقِيسُ النَّاسَ عَلَى مِسْطَرَّتِهِ هُوَ، وَنَفْسِيَّتِهِ هُوَ، فَيَتَعَجَّبُ إِنْ رَأَى أَحَدَهُمْ فَرَحًا وَهُوَ مَغْمُومٌ! ابْتَعِدْ عَنِ هَؤُلَاءِ، وَلَا تَجَالِسْهُمْ!

فِي الْإِجْمَالِ الْأَصْلُ فِي الْمُسْلِمِ أَنْ يَغْلِبَ جَدُّهُ مَرْحِه، مُرَاعِيًا لِلْمَقَامَاتِ، لِمَا حَا، فَطَنًا، يُرَاعِي ظُرُوفَ الْآخَرِينَ وَيَتَفَهَّمُهَا، يَعْرِفُ مَتَى يَضْحَكُ وَيَمْزَحُ، وَمَتَى يَجِدُ.. تَمُرُّ أُمَّتُنَا الْعَرَبِيَّةُ وَالْإِسْلَامِيَّةُ بِظُرُوفٍ صَعْبَةٍ لِلْغَايَةِ، وَتَمُرُّ مَجْتَمَعَاتُنَا بِمَشَاكِلَ لَا حَصْرَ لَهَا، وَالنَّاسُ فِي ضَيْقٍ عَلَى اخْتِلَافِ مَشَارِبِهِمْ، وَالْجُرُوحُ عَمِيقَةٌ، غَيْرَ أَنَّ إِشَاعَةَ رُوحِ الْحُزْنِ رَبَّمَا تُؤَلِّدُ يَأْسًا، وَتُضْعِفُ عَزْمًا، وَتُوَخِّرُ نَصْرًا.. لَا عَمَلَ فِي الْإِسْلَامِ أَفْضَلَ مِنْ سُرُورٍ يَدْخُلُهُ الْمَرْءُ عَلَى قَلْبِ أَخِيهِ.. وَلِمَا سُئِلَ إِمَامُ أَهْلِ اللُّغَةِ الْحَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الْفَرَاهِيدِي عَنْ مَزَاجِهِ لِلنَّاسِ فَقَالَ: النَّاسُ فِي سَجْنٍ مَا لَمْ يَتِمَّازَحُوا!

الكمال لله وحده

قد يعجبنا في شخص صفة ما أو حزمة من الصفات ، غير أن هذه الصفة التي نحبها في أحدهم لا معنى لها على الإطلاق في المواقف الأخلاقية والفكرية ..

فالمتنبي على سبيل المثال شاعر عربي من الوزن الثقيل ، أكاد أسحر من فرط جمال نظمه ، أجل فيه صنعة الشعرية ، وأقدر له توبته من ادعائه للنبوة ، وأجدي مطالب بالفصل بين حبي لشعره وما أخذي عليه في نفاقه الأمراء والحكام أشهرهم سيف الدولة الحمداني ، بغرض التكسب وجني المال !

ولما قرأت ما كتبه الشاعر العراقي الكبير معروف الرصافي في حق المتنبي في كتابه (نظرة إجمالية في حياة المتنبي) وما وصفه به من سوء لم تنقلب نفسي- على شعر الرجل ، ولم أغير رأيي في أنه الشاعر الأول في العربية !

تنازل لغيرك ليتنازل لك !

تفشى في المجتمع نموذجان ؛ نموذج يصر على أخذ ما يعتقد أنه حقه بأسلوب قتالي عنيف ، ولا يبدي ترجعا مهما جلب الطرف الآخر في الخصومة من وسطاء ووجهاء لحل المشكلة ورأب الصدع ، ونموذج يبدو متساهلا أبدا ، متنازلا عن حق من حقوقه الشخصية حتى لو ترتب عليها تبعات ستحدث خلافا في بنية المجتمع بسبب عدم اكتمال النموذج الحقوقي الذي يحفظ على المجتمعات أمنها وسلامها ..

وما بين النموذج الأول والنموذج الثاني تنصهر المجتمعات في بوتقة التمييع ، وتتقلب على نار الحقد والقسوة ، ويغيب الحد الأدنى من تأمين الحياة المؤهلة للعيش المشترك ، فيشعر الإنسان أنه في غابة يأكل القوي فيها الضعيف .. هناك أمور لا يصح من الفرد التنازل فيها عن حقه ، فلا يضعف أمام هيبة الوسطاء والوجهاء ، ولا تأخذه الرحمة والشفقة بالطرف الثاني إن ترتب عليها مفسدة ستطول الآخرين ، وهناك أمور بتسامح الشخص فيها وتنازله عن حقه أو بعضه يضمن لنفسه السلامة النفسية وربما الجسدية ، ويضمن لمجتمعه قوة ومتانة ذلك أن التسامح في أصله ينعكس في بناء مجتمع صحي ، مفعم بالحب والتعاون .

جميل أن يسامح الشخص ويطوي صفحة الماضي لكن لا يكون ذلك على حساب ثوابت لا يصلح معها تسامح ؛ فتوفر مجتمع منتج يتمتع أفراداه بنفسية سوية ، يحمل بعضه هم بعض ، لن يكون إلا باستعداد كل شخص فيه للتضحية ومن

لوازمها التنازل عن الحق الشخصي بغية كسب القلوب ونشر المحبة والرحمة بين الناس !

مجتمعنا الذي يئن من مشكلات توشك أن تنفض غزله ، بحاجة ماسة إلى تعزيز مفاهيم كمفهوم التسامح المنضبط الذي يبدو من خلاله الشخص مسالما متحليا بقيمة الصفح الجميل لكنه في ذات الوقت مراعيًا لتبعات التسامح ، ضامنا إلا ينعكس تنازله عن حقه في التفريط في حقوق الآخرين ، ولا يعزز قيمة سلبية في المجتمع ..

كم من أسر تتفكك يوما بسبب العند وعدم استعداد كل شخص أن يتنازل ولو بالقليل ؟

وكيف ستمضي الحياة إن أصر كل شخص على رأيه ؟

وما شكل المجتمع أن ظلت صفحات الماضي مفتوحة دوما ، ولم تصل الرسالة واضحة للطرف الآخر أنك قد ساحت بالفعل ؟

لقد قرأت يوما أن سيدنا يوسف عليه السلام لاحظ في عيون إخوانه الذين ألقوه في الحب ندما ، الأمر الذي انعكس في معاناته لاسيما حين كان يجلس على مائدة الطعام معهم ، فقرر أن ينهي تلك المعاناة وذلك الندم وقالها لهم صريحة : لو أنكم لم تلقوا بي في البئر ما تمكنت من الوصول إلى ما وصلت إليه من نجاح ، فأنتم إذن السبب في سعادتي وعزتي !

وفي الأخير من منا معصوم ، تنازل لغيرك ، ليتنازل غيرك لك !

القيمة المفقودة

أغضب من نفسي أحيانا حين يأتي كلامي مشبعا بالتشاؤم ، أو كتاباتي مصحوبة بشيء من اليأس ، رغم الواقع الصعب الذي نعيشه ، فالأصل في مسارات المحن والابتلاءات التي تمر بها بلادنا ، ألا يغيب عنا قيمة بث الأمل وغرسها في النفوس ، حتى وإن كنا عاجزين عن الوصول إلى ما نصبو إليه فلا أقل من ألا نحرم الآخرين من الأمل في غد أكثر إشراقا ..

إننا بحاجة ماسة لمن ينثر الحب والسعادة والبشر والتفاؤل بين الناس لأن الواقع أضحي كئيبا للغاية .

أتأمل واقع الدول الكبرى وخطابها السياسي المشبع بالتفاؤل ، فأنزعج كلما تهادى علينا خطاب سياسي واجتماعي وإعلامي محبط يبعث على التشاؤم ، فمع كل أزمة كان يمر بها الغرب كان هناك خطاب تفاؤلي يعزز الانتماء الوطني ، ويستعلي على المشاكل والتحديات ، برز ذلك جليا في تجربة هتلر ، وجل التجارب الأمريكية والبريطانية ..

ولعل أهم ما يميز الرئيس الأمريكي رونالد ريغان أنه عزز الأمل وغرس التفاؤل وأعاد ثقة الشعب الأمريكي في نفسه وإمكاناته ، لاسيما بعد سلسلة الهزائم النفسية التي لاقاها الشعب في فضيحة ووترغيت ، وفي حرب فيتنام ، وفي أزمة اختطاف الرهائن الأمريكيين في إيران ، واغتيال كينيدي ، والتوتر الاقتصادي الذي طال البلاد في فترة الستينات والسبعينات بفعل أزمة الطاقة والتضخم ! كنت أقرأ مؤخرا عن منظومة القيم في المجتمع الأمريكي قديما وحديثا ، وتوقفت في الحقيقة على كثير من الأمور التي استرعت انتباهي ، وقلت في نفسي-

يحق لهذا البلد أن يسود العالم ، ويتحكم في مقدراته ، فجل المؤسسات الصلبة والمرنة هناك تعمل في تناغم عجيب لإحداث قيم ما في المجتمع ، السياسي يخدم على الإعلامي والدرامي يخدم على الاجتماعي ، والفني يخدم على السياسي ، والعكس !،

فظاهرة كظاهرة التششت الأسري ، يجتمع الإعلام والدراما والخطاب السياسي في آن واحد لمعالجتها ، وقيمة سلبية كقيمة اليأس أو ضعف الانتماء الوطني يتصدى لها الخطاب السياسي الأول برعاية الرئيس الأمريكي نفسه ، ويخدم عليه في ذلك الدراما والسينما وإلا كيف تولد في أذهان الشعب الأمريكي فكرة أنهم جنس مختلف عن أجناس البشر إلا بأقوال الساسة ورجال الدين ونجوم السينما ، ولعل من أبرز الكلمات التي تغلغلت في وجدان الشعب الأمريكي عامة وأهل ماساتشوست على وجه الخصوص كلمة الأب جون وينتروب الذي حكم المنطقة لاحقا ، والتي قال فيها (مدينة على مرتفع.. تشخص إليها عيون العالم كله) التي أجرى الرئيس الأمريكي عليها تعديلا فيما بعد لتصبح وصفا للولايات المتحدة الأمريكية كلها ، ولم تعد تعني ماساتشوست وحدها ، وأصبحت فيما بعد شعارا لعموم الأمريكان وصارت جزءا من إيمانهم بتفرد مجتمعاتهم وتميزها عن بقية المجتمعات الأخرى !

أنواع الذكاء

للكاء أنواع من أبرزها الذكاء اللغوي والمنطقي والحركي والاجتماعي والذاتي والبصري والبيئي ، غير أن الواقع يثبت لي يوميا أن الذكاء الاجتماعي والذي من خلاله يستطيع الشخص أن يتعامل بحكمة ورابطة جأش مع الآخرين متفهما لمشاعرهم ، ملما بأفكارهم ، قادرا على التعاطي مع كل نفسية ، لمن أعظم أنواع الذكاء ..

ذلك أن التعامل مع الآخرين في بيئات ملغمة بالأفكار المتباينة ، وأجواء مفعمة بالكراهية والحقد والقسوة فن من أعظم الفنون ، وقليل من الناس من يدركه ، بل إنه بحاجة إلى تربية طويلة ومهارات ذاتية بعضها موروث وبعضها مكتسب .. أشفق كثيرا على الأولاد فضلا عن الرجال الذين ينجلون أشد الخجل إذا ما وجدوا في أي تجمع بشري ، بشكل يفقدهم السيطرة على مشاعرهم !

لا أدري لماذا يبهزنا في الشخص ذكاؤه العلمي ، في حين أنه قد يكون عالما في فن من الفنون ، لكنه غير قادر على التواصل مع الآخرين لضعف في شخصيته ، وقصور في مهارات التواصل والتعامل مع الناس ، وكثيرا ما يصاب بإحباطات متواصلة ، وغالبا ما يخرج منهزما في كل علاقة ، وحقيبتة لا تخلو من الإيدروناكس ، والسيتالوجين !

ولا أدري من الذي غرس في عقول الناس أن المثالية مطلب في أي علاقة ، فيتركون من يقبع تحت مسؤولياتهم التربوية فريسة للتعب النفسي حين يقبلون على الآخرين متصورين أنهم ملائكة ، لا على أن بداخل كل واحد منهم خيرا يطلبه ، وشرا يبتعد عنه مع النصح والتوجيه اللازم !

سارع صديقي لخطبة فتاة ، وكان كل تركيزه على تحصيلها العلمي الذي أثبتت فيه كفاءة عالية ، فلما تزوجها وجدها لا تحسن معاملة أهله ، متصورة أن كل البيوت كبيت أبيها ، وكل النساء كأماها ، ولا تملك المقدرة على تفهم ظروفه النفسية ، فتضحك وقت غضبه ، وتحزن وقت فرحه ، فضجر ومل !

وحدثني أحدهم عن ابنته الجامعية التي تربت في بيئة شبه مغلقة ، وتعاني نفسيا أشد المعاناة لأنها تؤمل خيرا كثيرا في الآخرين ، وسقف طموحاتها يكاد يعانق السماء في قضية الصداقة ، ولطالما أحبطت كلما اكتشفت عيبا في إحداهن !

قلت : العيب ليس فيها ؛ إنما العيب فيك ، فلم تعلمها أن الألوان غير مقتصرة على الأبيض والأسود ؛ بل هناك ألوان أخرى ، منها الفاتح ومنها الغامق ، ولم تعلمها أن المثالية في الصداقة فضلا عن بقية العلاقات ممتعة ، بل يكفيننا في أي علاقة وجود قدر من الحب والوفاء والإخلاص ، وعدم النفاق ، في زمن تعاظمت فيه الأنانية وحب النفس !

في تصوري والواقع يشهد أن الشخص الذي يتحلى بالذكاء الاجتماعي قادر على كسب قوته ومضاعفة أرباحه بشكل يفوق كثيرا من يتحلى بذكاء علمي ، فالطبيب الذي يقطر من لسانه عسلا ، ويفيض بمشاعره على المريض يحظى بسمعة طيبة أفضل بكثير من الطبيب المتمكن المهاري لكنه غليظ في القول وفي الفعل ، وصاحب (ناصبة الفلافل) الذي يبدو بشوشا في وجهه زبائنه ، متحليا بملكة إظهار الاهتمام بالآخرين ، متحملا لإيذائهم ببيع أضعاف ما يبيعه الآخرون أصحاب الوجوه البائسة !

الصين .. العملاق القادم بقوة !

منذ ما يقرب من (8) سنوات قررت الحكومة البريطانية إرسال أول وفودها الابتغائية إلى الصين ، كانت هذه البعثة مكونة من ألف من خيرة الشباب لتعلم اللغة الصينية ، والاطلاع على الثقافة الصينية عن قرب ، ليس لأنها اللغة التي يتحدث بها أكبر عدد من البشر ، بل لأنها اللغة التي ينصح الخبراء بضرورة تعلمها ، فهي لغة المستقبل !

على عكس كثير من التوقعات برز النجم الصيني معلنا عن نفسه كقوة عظمى على حساب الاتحاد السوفيتي ، والقطب الأوري الذي يعاني من أزمت اقتصادية متعاقبة ، رغم أن الجميع برز متكئا على الرأسمالية بعد توديع الشيوعية وغيرها من الأيدولوجيات الاقتصادية .. يبدو أن نبوءة نابليون بونابرت بارتجاج العالم إذا استيقظ الصين قد تحققت وهاهو العملاق الصيني جاء مكشرا عن أنيابه كاسحا بعرقه الأصفر ، ولون علمه الأحمر ، وقامة رجالة الأقصر ..

أمريكا التي وصلت ديونها في عام 2010 إلى ما يقرب من 15 مليار دولار ، تعاني اليوم من وصول الدين إلى ما يقرب من (20) تريليون دولار ، وبينما كان جهابذة الاقتصاد في السابق يجتمعون يوما في الشهر أو في الأسبوع لتخدير الدين أضحو اليوم جالسين منهمكين على مدار الساعة لعلاج ما يمكن علاجه ، ومع كل ما يتخذ من إجراءات ومسكنات إلا أن لحظة الانهيار قادمة لا محالة !

حتى العملاق الياباني الذي كان يراهن عليه البعض يشهد ضعفا متزايدا بفعل الانكماش الكبير في أعداد شريحة الشباب بسبب الإعراض عن الزواج والإنجاب

، ويبدو أن الساحة العالمية تتأهب حالياً لقائد جديد ، لكنه بلا شك سيكون أكثر قوة وبطشا وفتكا من غيره ..

وفيما يتعلق بمنطقتنا العربية فقد دخل العملاق الصيني على غير استحياء معلنا عن نفسه كقوة ناعمة منافسة للعملاق الأمريكي والدب الروسي ، ولعل المتابع لمنتدى التعاون الصيني العربي ، وحجم القروض المرسلة للدول العربية ، والأرقام المعلنة في إطار العلاقات الاقتصادية بين الصين ودولنا العربية يدرك حجم التغلغل الصيني في العمق العربي بما ينجي الاحتكار السياسي والاقتصادي الغربي جانبا ..

يؤسفني ونحن نحتفل هذه الأيام باللغة العربية أن يشهد العالم صعود نجم وأفول نجم ، وأمتنا العربية والإسلامية نائمة ، مشتتة ، تنهش حياضها أطماع الغرب والشرق ، وينزع ضيع أنيابه من لحمها ليستعد ضيع آخر لغرس أنيابه ، ويهرول الحاقدون الطامعون من كل حذب وصوب ينهلون ما طاب لهم من خيراتها ، ولا زال الروبيضة يتصدرون المشهد ويتربع الأقزام على صدورنا جاثمين غير آبهين بما يحاك لأمة وهبها الله كل مقومات النهوض والمنعة والرفعة ، وبين أيديها لغة عزيزة ، ودين قويم فيه صلاح البشرية ، وخيري الدنيا والآخرة !

قصة نجاح فيتنام

أهداني أحدهم قميصا ، بدت عليه الفخامة ، فأخذني الفضول لمعرفة دولة الصنع ، فوجدتها (فيتنام) !

صال عقلي وجال في هذا البلد العجيب الذي تصح تجربته أن تكون نموذجا يحتذى به ، لاسيما ونحن أمام دولة كانت الأفقر من بين شعوب الأرض ، دولة بلا موارد تذكر ، أمية منتشرة في ربوع البلاد ، تسابق كل احتلال في تدميرها ، وإعمال آلة القتل في أهلها ، فصارت في سنوات معدودة نمرا آسيويا يحقق معدلات نمو سنوية هي الأعلى في العالم بعد الصين !

(فيتنام) دولة تعدل ثلث مساحة مصر تقريبا ، تشبه مصر في كونها دولة تعتمد على القطاع الزراعي بشكل كبير ، بها حضارة ضاربة في عمق التاريخ ، عدد سكان يقترب من 100 مليون نسمة ، نظرا لموقعها الجغرافي كانت قبلة يفد إليها المستعمر من كل حذب و صوب ، ولعل أشهر الدول التي احتلت فيتنام اليابان ، فرنسا ، الولايات المتحدة الأمريكية .

كيف استطاعت هذه الدولة أن تبني نفسها في ظل الظروف الصعبة التي أحاطت بها ، وتنافس أعنى الدول المتقدمة ؟

بدأ تقييم الحالة الفيتنامية بعد دخول المحتل الفرنسي بشكل علمي مدروس ، حيث برزت نخبة مثقفة للإجابة على التساؤلات الملحة .. كيف استطاع الجيش الفرنسي- أن يعبر كل هذه المسافات ويسيطر علينا بهذا الشكل ؟ هل لفارق القوة العسكرية ؟ كانت الإجابة بالطبع لا ، إذ ليست الإشكالية في القوة العسكرية بقدر ما أن الإشكالية في الثقافة المسيطرة على عموم التفكير الاجتماعي ، لاحظوا أن الاتجاه الديني هو المسبب الأول لحالة الضعف الشديد ، حيث كان الخطاب الديني يدعو تهميش

المرأة تماما ، بالإضافة إلى دعوته إلى السكون وتحمل الابتلاء ، والصبر على الأذى ، والسمع والطاعة للملك والكهنة ، فدعوا إلى ثورة على المفاهيم الدينية التي سادت ردحا من الزمن ، وكان من نتائج ذلك أن حدث تغيير كبير على الأرض ، ففي السابق كان الكاهن والمقاتل يواجه المحتل الفرنسي ولسان حاله يقول : كل ما علي أن اخرج بصدر عاري لمواجهة المحتل ولا علاقة لي بالنتائج ، لكن بعد تعزيز الخطاب الإصلاحى الدينى تبدلت نبرة المقاتل فضلا عن الكاهن وأصبحت : سأسحق الفرنسي- ولن ينال مني بسهولة !

أدركت النخبة الفيتنامية أن حالة الانزواء والانطواء على النفس، وضعف الاطلاع على التجارب الأخرى سبب كفيل للهزيمة ، فانطلقوا باحثين عن العلم والتجارب الثورية في الدول المحيطة ، لدرجة أنهم أرسلوا طلابا لدراسة تجربة اليابان في حربها وانتصارها على روسيا ، كما قرروا مقاطعة فرنسا العسكرية ، والتقارب مع فرنسا العلمية والفلسفية ، فترجموا كتب رنيه ديكرت فضلا عن غيره من المفكرين الفرنسيين ، على عكس التجربة السورية في هذا الصدد ، فقد قام شاعر سوري من دير الزور بعد خروج المحتل الفرنسي بعمل مسابقة يكون الفائز فيها من يأتي بأكبر قدر من الكتب الفرنسية إلى محرقة مقامة في ميدان عام !

وقبل ذلك كله أدركوا أن التعليم هو الوسيلة الناجعة التي تختصر- الوقت والجهد ، فقرروا ابتداء تغيير الحرف الفيتنامي شديد الصعوبة والذي كان يستغرق الطالب في تعلمه سنتين بالحرف اللاتيني السهل ، فاستطاعوا أن يقضوا على الأمية ..

وأدركوا أن التغلب على محاولات الانشقاق وتفتيت اللحمة الوطنية سيجعلهم لقمة سائغة للمحتل ، فعلى الرغم من وجود أكثر من 60 قومية مختلفة وعلى الرغم من سعي المحتل لعمل نموذج مكرر من التجربة الكورية ، شمال وجنوب إلا أنهم أصروا

بكل السبل على توحيد الصف والاستعلاء على كل محاولات تفتيت وحدة الشعب الفيتنامي ، لدرجة أن الأمريكيان استقروا في الجنوب ونصحوا أهل الشمال بمغادرة مواقعهم إلى الجنوب لأنهم سيضربون الشمال بالنووي إلا أن قائد الشمال أرسل 100 ألف على أنهم مواطنين عاديين مهاجرين خوفا على أرواحهم في حين أنهم كانوا مليشيات مدربة استعان بهم أهل الجنوب لاحقا في عملية التحرير وتكبيد المحتل الأمريكي افدح الخسائر !

أدركت النخبة الفيتنامية أن السياسة لا يصلح معها عدااء دائم ، ولا محبة خالصة ، فتعلموا من الفرنسيين ، وأرسلوا بعثات تعليمية إلى المحتل الأول اليابان ، وأقامت علاقات اقتصادية قوية للغاية من أمريكا ، وتأصلت لديهم فكرة أن قوة الدولة تكمن في قدرتها على تجاوز الآلام ومراجعة الفكر والنقد الذاتي .

اتبعت الدولة ذات الحزب الواحد سياسة الإنصاف في ترقى الكوادر داخل الحزب ، فلا يصعد إلا من استوفى شروطا ومعايير محددة ، ولا اعتبار لتقديم أهل الثقة على أهل الكفاءة ، مع الاهتمام الشديد بالشباب وتعزيز فكرة المشاريع متناهية الصغر على غرار فكرة الاقتصادي البنغالي الكبير محمد يونس الحاصل على جائزة نوبل للسلام سنة 2006، مناصفةً مع بنك غرامين .

اتبعت فيتنام نظرية (التحدي والاستجابة) بحثا عن قانون (الوسيلة الذهبية) ، فحربت الشيوعية والاشتراكية واقتربت من الليبرالية وفتحت الاستثمار الأجنبي بناء على النظرية الرأسمالية ، مع الحفاظ على مكتسبات الدولة الحضارية وبهذا تحولت من دولة زراعية فقيرة محدودة الإمكانيات إلى دولة ذات تعليم متطور ، وتصدر منتجاتها الصناعية إلى مختلف دول العالم بمعدلات نمو اقتصادي تصل إلى 7 ٪ سنويا .

العجيب أن الجمهور يضحك !

لا غرو أن يواجه أي عمل في نقدا يتعلق ببنية النص ، وأداء الفنانين ، والإخراج ، والإضاءة ، والمؤثرات الصوتية وغيرها من مفردات العمل المسرحي ، فهو بالأخير عمل فني بشري يحالفه الصواب ، ويقترب من الخطأ ، غير أن ما يعرف بـ(مسرح مصر) الذي هبط علينا من كوكب الرخامة لا يحتوي من الأصل على أي مفردات تتعلق بالعمل الفني فضلا عن المسرحي ، إذ لا يوجد نص حامل لأي قيمة إلا السلبي والمنحط منها ، ولا أداء فني في حده الأدنى ، في ظل غياب شبه تام لأفكار اجتماعية أو للمسات ديكورية تعزز فكرة العمل ، ولمسات إخراجية تعكس عملا مسرحيا جادا .

العجيب أن الجمهور يضحك !

أستطيع أن أتفهم سبب ضحك الجمهور ، فهو بالأخير قد دفع مالا لأجل أن يضحك ، ومن ثم عليه أن يضحك حتى لو كان الواقف أمامه برميل غلاسة ، كما أن الواقف على المسرح ربما يعلم شيئا عن ظاهرة (عدوى الضحك) في بيئة معززة بموجات المرح التي تنتشر بسهولة بين أكبر قدر من الناس في مكان واحد ! لكن ما لا أستطيع أن أفهمه كيف تغلغل في مصر كل هذا القبح ، وكيف يتلقاه المصريون بصدر رحب !

كان من أبرز إنجازات الثورة الفرنسية الكبرى منع احتكار المسرح ، الأمر الذي انعكس في انتشار ظاهرة المقاهي التي تقدم عروضاً مسرحية ، وصل عددها في باريس وحدها في فترة من الفترات إلى أكثر من 800 مسرح ، يقوم عليها شباب

قليل الإمكانيات ، غزير المواهب ، مفعم بالأفكار الإيجابية ، الثورية والاجتماعية ، وكانت هذه المسارح بمثابة الموجه للقيم التي يريد كل اتجاه أن يغذيها في المجتمع ! والمتأمل يرى كيف ساهم المسرح البريطاني في إحداث نقلة نوعية كبيرة في الثقافة الإنجليزية ، وكيف تمكن كل من برنارد شو ، وأوسكاو ونويل كوارد ، وملهم المسرح الأول شكسبير من تجديد المضمون الفكري ، والمعالجة الاجتماعية ، مع تعزيز وجدان الشعب البريطاني بأفكار مراعية لأصالة الماضي مع استشراف ملامح المستقبل بمضامين جديدة ، بل كيف حصل التحول من الثقافة الإنجليزية المحافظة لحد ما إلى الثقافة الأمريكية بدراماتيكيته المعهودة عبر أطروحات وتينيسي ويليامز ، وارثر ميلر وغيرهما ..

للمسرح دور كبير في غرس القيم بالمجتمع ، ولهذا سادت مقولة (أعطني خبزا ومسرحا أعطيك شعبا واعيا) ، وما التقدم الذي طال أثينا ، والتخلف الذي طال إسبارة إلا بفعل الحضور الواسع للمسرح الأثيني ناهيك عن بقية الأعمال الفنية والأدبية التي برع فيها الأثينيون !

إن تعزيز الانتماء للوطن ، وغرس القيم التربوية والثقافية ، فضلا عن الوطنية ، والمعالجة المبتكرة للظواهر الاجتماعية قد يتم بسهولة إذا توفر المسرح مع الاعتناء به ، وهذا ما تعمل عليه الدول التي ضمنت لنفسها مكانة مرموقة ، فمشكلات مثل الطلاق ، والعنصرية ، والإدمان ، تلاشت في دول أو قلت حدتها بفعل المسرح والدراما ؛ فقد ساهم برنارد شو مثلا في علاج ظاهرة الدعارة التي تفشت في مجتمعه من خلال مسرحية (مهنة السيدة وارن) وساهم نعمان عاشور في معالجة العنصرية التي تفشت في المجتمع المصري في ثلاثينات القرن المنصرم من خلال مسرحية (الناس الي فوق) ومسرحية (الناس الي تحت) !

ولهذا سعى بعض علماء التربية أن يضعوه ضمن عوامل التنشئة الاجتماعية جنباً إلى جنب مع الأسرة والمدرسة والنادي والأصدقاء والشارع .
فالمسرح قادر بفعل عناصره على تحويل الإبداع الفردي المجرد إلى تجربة جماعية مفعلة في الواقع تساهم في جعل الإنسان سوياً ، قادراً على الارتقاء بنفسه ، والتفاني في خدمة مجتمعه ..

كما أنه سلاح فعال للثائرين المبعدين من أوطانهم قسراً ، ولعل تجربة الشاعر والأديب والطبيب والمسرحي الألماني (برتولت بريخت) ملهمة للذين يملكون المهبة ويتحجبون دوماً بالإمكانات ، حيث طرد الرجل من ألمانيا بعد استيلاء هتلر على مقاليد الحكم ، فقرر أن يطرح أفكاره ويثور الناس من خلال مسرحياته التي كانت تعرض في ألمانيا الشرقية . واستعان بالمسرح الخديوي إسماعيل في ترسيخ الثقافة الغربية في مصر وإظهار مصر- على أنها بلد حضاري يستوعب كل الثقافات من خلال جلب الفرق الأجنبية بأجور مرتفعة للغاية لعرض أعمالهم الفنية على مسارح مصر واشهرها مسرح زينينا بالإسكندرية ..
المؤسف في تجربة أشرف عبد الباقي وصبيانه أنه اختار اسم (مسرح مصر-) في حين أنه ليس مسرحاً ؛ لأن المسرح لا يقوم عليه إلا المثقفون الواعون الذين يحملون في صدورهم هما وقيماً ، وفي عقولهم أفكاراً ، ولا يعبر عن مصر- ، لأن مصر أكبر بكثير من المسخرة الدائرة والانحطاط الأخلاقي والقيمي الحاصل !

لا أقيم الأصوات التي تأتي من السماء !

في عز تألقه سئل الموسيقار محمد عبد الوهاب عن رأيه في كثير من الفنانين والفنانات المشهورين على الساحة ، فكان يصف كل واحد منهم بما يراه ، غير أن أحدهم باغته بسؤال ملغم : ولكنك إلى الآن لم تعطنا رأيك في السيدة فيروز ؟ فكانت إجابته : كل الأسئلة التي وجهتموها إليّ مشروعة لأنها متعلقة بأهل الأرض ، أما وإنكم سألتكم عن فيروز فإننا لا أقيم الأصوات التي تأتي من السماء !

فيروز .. صوت محملي شق طريقه وسط وجدان الملايين ، يحمل في طياته أملا لأولئك الذين قتلهم الشوق أو أوشك ، ودفعنا لأصحاب القلوب المعذبة وحنانا تأوي إليه النفوس المؤرقة ، وشباكا خلفيا لتناسي الوجع ، وبابا واسعا لاستقبال البشر والتفائل ..

تجولت بروحي في زوايا مدينة القدس وأنا استمع إليها في رائحة (زهرة المدائن) ، وأرسلت ولا زلت أرسل قبلة إلى مصر من هنا حيث أقبع بعيدا عن مصر- كلما استمعت إلى رائحة (مصر- عادت شمस्क الذهب) ، وتجولت في شوارع الأردن العتيقة كلما استمعت إلى رائحة (أنا والمسا والأردن) ، وهربت مني روجي بعيدا إلى ذلك المكان الذي تهفو إليه النفس دوما كلما استمعت إلى (يا زمان الوصل بالأندلس) ..

تصح السيدة فيروز ببساطتها ، وتواضعها ، في الكلم والملبس والسكون والحركات أن تكون مثالا وقودة لأولئك الذين يحاولون أن يقنعونا بأن الجمال لا ينفك عن التعري والإباحية ، والإطلالة المميزة يلزمها ثياب فخيمة مرصعة بالذهب والألماس كما فعلت فنانة لبنانية مؤخرا وخرجت علينا بفستان مرصع بالألماس بلغت

تكلفته 10 ملايين دولار ، وتصح أن تكون نموذجا لأولئك الذين يتصورون أن الوصول إلى أكبر شريحة من الجمهور مرهون بالتطيل والنفاق ، إذ كانت كلما دعاها ملك أو أمير أو رئيس أو وزير لتغني في قصره كانت إجابة رحباني : لا تغني القيثارة في القصور بل في أماكن فنية محترمة !

لدرجة أن أزمة كبيرة حصلت بين لبنان وتونس إثر امتناع فيروز عن الغناء أمام الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة على ما اعتقد ، الأمر الذي اضطر رئيس الوزراء اللبناني حسين العويني أن يمنع بث أغانيها في الإذاعة ، وبسببها دخلت فيروز في أزمة نفسية كادت أن تقضي عليها ..

فارقني قلبي وولى هاربا يكتب عن قيثارة السماء ، جارة القمر ، في وقت يطل علينا القبح من كل مكان ، في محاولة بائسة لإقناع فاقدي الذوق ، ومعدومي الإحساس أن الشكل الظاهري ليس له علاقة بشهرة الفنان وكفاءته ، لاسيما وأنا نشاهد قصصا سخيفة بطلاتهن أدمن الغناء بصدورهن ، والطرب بسيقانهن ، وانتفاخ مؤخرتهن ..

ومما توقفت معه طويلا ، أثناء قراءتي عن المدرسة الرحبانية التي تمثل فيها فيروز الركن الركين ، لاحظت أن مشكلة كبيرة نشبت بين عاصي زوج فيروز وعائلته ، ذلك أن عائلته كانت تحاول دوما أن تثنيه عن اختياره لفيزوز بسبب شكلها ، وعبويا أخرى في جسدها ، علاوة على أنها غير متعلمة وغير مثقفة !

المؤسف أن كثيرا من أصحاب الأصوات الجميلة فشلوا في الاختبار ، وركبوا الموجة حبا للمال ، واستعجالا للشهرة المتوهمة ، فشاركوا في إفساد الذوق العام ، ورسخوا قيما سلبية ، فضاع الجمال في دهاليز القبح ، وغاب البهاء في غياهب العري ، وبين هذا وذلك يتن العفاف ، وتتوارى الفضيلة !

حزلقوم وتأثره بالإمام الشافعي

في لقاءه مع المذيعة ثقيلة الدم ، مفتعلة المشاعر منى الشاذلي ، سئل أحمد مكي عن أكثر الشخصيات التي أثرت فيه ، فكانت إجابته صادمة لي ، لم أتوقعها ، لقد قال إن الإمام الشافعي كان ولا زال ملهما له في حياته ؛ لأنه - أي الإمام - في تصويره تتطرق إلى قضايا لم يتطرق إليها غيره ..

بل قال : إن فكرة فيلمه الأخير مقتبسة من أبيات شعر للإمام الشافعي قال فيها :

ومن يذق الدنيا فإني طعمتها وسيق إلينا عذبها وعذابها

فلم أرها إلا غرورا وباطلا كما لاح في ظهر الفلاة سرائها

وما هي إلا جيفة مستحيلة عليها كلاب همهن اجتذابها

فإن تجنّبها كنت سلما لأهلها وإن تجذبها نازعتك كلابها

فطوبى لنفسٍ أودعت قعر دارها مُغلّقة الأبوابِ مُرخي حجابها

لا أذكر أنني رأيت أعمالا فنية لأحمد مكي ، اللهم إلا مشاهد عابرة في أوقات

متباعدة ، لكنني أجزم أن هذا اللقاء الذي ظهر فيه مؤخرا من اللقاءات التي

أضحكتني فرحا ، بقدر ما غرس الرجل من قيم ، وحجم ما طرح من علوم

ومعارف .. وتمنيت أن لو وُجد على ساحتنا الفنية والإعلامية كثيرا منه !

في تصوري كان هذا اللقاء أبلغ من مئات الخطب الدينية ، وعشرات المقالات

التوعوية ، ذلك أن جل ما قيل فيه كان صادقا ، صادرا من رمز يحبه الجميع صغارا

وكبارا ، رجالا ونساءً ، موجها لقيم الخير والتحدي والإقدام ، مستعليا على اليأس

الذي اقترب من النفوس ..

تكلم عن مرضه النادر الذي فتك بكبده وطحاله ، لدرجة أنه كان ينام معظم اليوم ، وفقد من وزنه أكثر من 30 كيلو جرام ، على نحو أوشك أن يفقده الأمل في الحياة وشرح كيف تغلب على مرضه ، مستعينا بالله ، وكيف تمكن من العودة إلى رياضته المفضلة (كمال الأجسام) ، ويستعيد وزنه ، وعضلاته ، ليقدم للشباب المغرم باللعبة نموذجا يعكس قدرة الشخص على النجاح والصمود ، والتغلب على الصعاب .. وهو ما جعل شريحة كبيرة من الشباب تتجه إلى هذه اللعبة ليكونوا على شاكلة نجمهم المحبوب ..

لقد أقر الرجل في ثنايا حديثه الصادق بمجمل نعم الله عليه ، وإدراك أن الخير كامن في الشر ، فقد علمه مرضه أن القوة والمال والجاه والشهرة لا تنفع صاحبها إذا وقع قدر الله وتحكم قضاؤه ، وما الابتلاء الذي أصابه إلا ليستشعر جميل نعم الله عليه ، فيغير من عاداته وسلوكياته ، ويعدل من وجهته بعيدا عن الطريق الذي أريد له أن يسير فيه ..

تحدث عن التفكك الأسري ، على اعتبار أنه نشأ في أسرة مفككة ، فالأب في دولة والأم في دولة أخرى ، وتبعات ذلك التفكك على نفسية الأطفال ، حيث تنشأ صراعات داخلية نتيجة لعدم إدراكه للأهداف الكامنة وراء الصراع بين الوالدين ، بطريقة كأحسن ما يكون المتخصصون في الطب النفسي !

من أجمل القيم التي طرحها الرجل فكرة تعزيز نفسية الطفل في حالة انفصال الزوج عن زوجته ، فهو كما ذكر منفصل منذ 5 سنوات لكنه حريص على أن ينشأ الطفل بينه وبين أمه ، لأنه برأيه لا يمكن أن يحل أحدهما مكان الآخر ..

تحدث عن طفولته التي كانت مثالية ، ثم تحولت فترة صباه إلى كابوس ، حيث لا أب ، ولا مال ، مما اضطره للعمل دون خجل لينفق على نفسه ، على عكس كثير من الشباب درس وتخرج من الجامعة ولا زال يأخذ مصروفه من أهله !

تحدث عن هواياته الكثيرة المفيدة ، من تربية الطيور ، وعلاجها ، والإخراج ، والغناء الهادف ، والتمثيل الذي يطرح قيما جديدة ، كما تحدث عن تجربته في الامتناع عن التدخين ، وما يضر بصحة الإنسان ..

وأقر بأن أكبر مشكلة ممكن أن يواجهها الإنسان (أن يألف النعمة) دون حمد الله عليها ، ولهذا لما ابتلاه الله بالمرض النادر ، كان يرى الشلجة ممتلئة بالطعام والشراب لكنه غير قادر أن يشرب الشربة ، وكان يرى ابنه أمامه فلا يستطيع أن يضمه إلى صدره خشية أن ينتقل إليه الفيروس ، ولديه القوة والعضلات لكنه عاجز عن الحركة ، ومن ثم على الإنسان أن يستذكر نعم الله عليه ، ولا يغفل ! وأخيرا .. بحكم خبرتي المتواضعة أعتقد أن الشخص القادر على القيام بعدة أدوار في عمل فني واحد ، وتبدو كل شخصية بما فيها من حركات وإيماءات وتعابير وجه ، وطبقة صوت ، متباينة عن الشخصية الأخرى فإن صاحب هذه الشخصية موهوب فنيا لأقصى درجة ممكنة .. ولهذا فمكي هو الأفضل حاليا على الساحة الفنية ..

الإمام الشافعي عبقرى العلم والأخلاق

وحق لأحمد مكي أن يتخذ من الإمام الشافعي قدوة له ، يستلهم من حكمته أفكار حياته ، ذلك أن الإمام الشافعي رحمه الله كان مدرسة في كل شيء ، ولم تتوقف عبقريته عند باب الفقه الذي يعرفه الناس منه ؛ فكانت ينابيع الحكمة يتفجر عطاؤها من لسانه ، وأشعاره ، وبيانه ، بل لقد وصلت عبقريته لعمق الأخلاق ؛ فكانت مسيرته ترياقا يعالج أمراض البائسين من المسلمين الذين لم يعرفوا إلا العبادات من مجمل الدين ، ونبراسا يهدى قلوب الحائرين ..

تميز رجлан من الرجال الذين كانوا حوله بحب خاص ، قال عن أحدهما وهو محمد بن الحكم : ما يقيمني بمصر غيره !

مرض ابن الحكم يوما فعاده الشافعي وقال :

مرض الحبيب فعدته فمرضت من حذري عليه

وأتى الحبيب يعودني فبرئت من نظري إليه

وقال عن الثاني ، وهو أبو يعقوب البويطي المصري : «ليس أحد أحق بمجلسي من أبي يعقوب، وليس أحد من أصحابي أعلم منه»

ولشديد قربه من ابن الحكم ظن الناس وطلبة العلم أن ابن الحكم هو الأحق بتفويض الإمام الشافعي في حلقة الدروس بعد موته ..

ولما سئل الشافعي إلى من نجلس بعدك يا إمام ؟؟

فاستشرف له محمد بن الحكم وهو عند رأسه ليومئ إليه ، وظن كثير من الجالسين أنه سيأذن لابن الحكم بخلافته ، على اعتبار أن ابن الحكم هو الذي حمل عن الشافعي مذهبه كله ، وكان أفقه تلامذته وأعلمهم !

لكن الشافعي قال في غير تردد : سبحان الله .. ومن لها غير البويطي !
يدرك الإمام الشافعي أن الأكثر علما وفقها هو محمد بن الحكم ، لكنه كان يعرف
أن البويطي هو الأقرب إلى الزهد والورع .. فلم يتردد أن ينصح لله وللمسلمين ،
ولم يؤثر رضا صاحبه المقرب على رضا الله سبحانه وتعالى !
انظر إلى بيوتنا ، ومقرات أعمالنا ، ودنيا الناس ؛ فأجد هذا الخلق العظيم قد غاب
عن بعض الآباء والأمهات ، وعن كثير من المدراء ، وعن كثير من عموميات
التفكير الاجتماعي .. فالأهواء غلبت ، والعواطف تحكمت .. ثم نسأل أين الخلل !

رحم الله الطاهر بن عاشور ..

أكثر ما لفت انتباهي في الغربية ؛ الثقافة العالية التي يتمتع بها الشعب التونسي- ؛
 فالشعب التونسي شعب مثقف وشعب مطلع، وشعب محب للكتاب والمعرفة.
 فمعلومة أنه في فترة من الفترات كان لا يشترط في شيخ الأزهر أن يكون مصرياً ،
 وقد تولاهما الشيخ محمد الخضر الحسين تونسي- الجنسية عرفتها من ميكانيك
 تونسي !

الملاحظ أن هناك فجوة واسعة بين دول المشرق العربي ودول المغرب العربي ،
 للعديد من الأسباب ربما أبرزها اتساع الفجوة الجغرافية ، وميل المشرق نحو
 الثقافة الأنجلوسكسونية ، وميل المغرب نحو الثقافة الفرنسية ، إلا أن أحد أبرز
 تجليات تلك الفجوة الجهل برموز ثقافية واجتماعية وسياسية ودينية جاد بها
 المغرب العربي ..

فكثير من أهل المشرق العربي لا يعرفون كثيراً عن تلك الرموز التي برزت في
 المغرب العربي وكان لها إسهامات كبيرة يفتخر بها العالم كله ، من أمثال محمد
 الطاهر بن عاشور صاحب أروع تفسير لكتاب الله عز وجل ، فالرجل مغمور حقاً
 ، وضاع منا خير كثير بسبب تمرکزنا حول الذات وضعف الاستعداد للانفتاح على
 الآخر للاطلاع على ما في جعبته !

مولانا الشيخ الطاهر بن عاشور رمز من رموز المذهب المالكي ، فقيه أصولي من
 كبار علماء الأمة ، يحسب له أنه أول من خطب باللغة العربية في تونس ، وأول
 شيخ لجامعة الزيتونة ، وكان الصديق الصدوق لشيخ الأزهر محمد الخضر الحسين ..

من المواقف التي سجلها التاريخ لهذا الرجل العبقري ، واسع المعرفة ، كثير الإطلاع ، غزير العلم ، أنه صاحب أقصر خطبة في تاريخ الإسلام ، ذلك أنه صعد يوماً على المنبر ووجه سؤالاً للجالسين أمامه : لمن هذه النساء التي تمشي- في الأسواق ؟

كرر السؤال ثانية فلم يتكلم أحد ، فقال : لا خير في صلاتكم ونساءكم عرايا .. ثم أمر بإقامة الصلاة !

لم يكن درويشاً منعزلاً عن قضايا أمته ، بل كان يقف عليها ، ويعالجها بمشرط الجراح ، في داخل تونس وخارجها ، فرغم أن مصر مكتظة بالعلماء ، إلا أنه تصدر للرد بكتاب على الشيخ علي عبد الرازق في جملة الأفكار التي طرحها في كتابه (الإسلام وأصول الحكم) وكان رده موفقاً . استغل علمه الواسع في علوم اللغة العربية وفقهها ، وطرح لنا تفسير التحرير والتنوير في ثوب مفعم بالجمال اللغوي والبلاغي والبياني ، وقد أتى فيه بمجديد مفيد غاية في الروعة والجمال ، فلم يمض على ما مضى عليه الأولون ، وكان إلهاماً بحق للاحقين ، حيث برز كأسلوب اجتهادي منضبط يقدم أفكاراً أصيلة في ثوب عصري يستهدف الإصلاح على كل المستويات ..

رحم الله الطاهر بن عاشور ..

تفنن في إخفاء عيوب الآخرين !

جلس سيدنا جرير بن عبد الله البجلي يوما في مجلس سيدنا عمر بن الخطاب ومعهما جماعة من الناس ينتظرون الصلاة ، فسمع الجميع صوت ريح ، فخاف عمر أن يحمل الخجلُ صاحبَ الريح على الدخول في الصلاة، فقال: عزمت على صاحب الريح أن يتوضأ فبادر جرير وقال: مُرنا جميعاً أن نتوضأ، فسُرِّي عمر، وقال لجرير: رحمك الله، نعم السيد كنت في الجاهلية، ونعم السيد أنت في الإسلام. انظر كيف تفنن الرجل في ستر أخيه المسلم !

أتعجب من هذا الذي لم تمر عليه لحظة ضعف فيوجه خطابه للناس معنفا إياهم ، كلما رأى خطأ هنا أو معصية هناك ، ومن هذا البطل الذي يوجه نصائحه بغلظة شديدة مستغلا ضعف العاصي وانكسار نفسه ، من أنت يا مسكين حتى تظن أن العصمة متلازمة لكل شخص ؟!

قلق شديد يخيم على روجي كلما رأيت أمامي المثالية بارزة في صوت شخص ، أخذنا في تأنيب الآخرين ، كاشفا لعيوبهم ، فاضحا لأفعالهم ، متصورا نفسه من زمرة الملائكة المقربين ، ولو كانت للذنوب رائحة لكان الآخذ والكاشف والفاضح هذا منبوذا وما جالسه أحد !

إن العصمة التي قدرها الله في الأرض ما كانت ولن تكون لأحد غير الأنبياء ، ومهما تعالى قدر الإنسان في نظرنا أو قل ؛ فهو مكتظ بالمعاصي والذنوب ، غير أن حكمته سبحانه اقتضت أن يكون الستر من نصيب هذا ، والفضح من نصيب ذاك !

وليس التفاوت بين الناس بمقدار الذنوب والمعاصي التي يرتكبونها ؛ وإنما بقدر ما دخلوا على الله من باب الرجاء والإنابة ، فأكثرنا توبة وإنابة أرفعنا قدرا عند الله ، وأعلانا مكانة ، فلا تزايدوا على أحد واسألوا الله السلامة لأنفسكم ولغيركم دوما .

قرأت ذات مرة أن ملكا قد ابتلاه الله بعرج وعور ، وكلما طلب من فنان أو رسام أن يرسمه رفض ، بحجة أنه لا يقدر على رسم الملك دون إظهار عيبه (العرج والعور) ، فانبرى رسام من بين الرسامين وقال للملك بإمكانني أن أرسمك ، فرسمه ويده بندقية الصيد، وقد أغمض عينه العوراء، وثنى قدمه العرجاء، وكأنه مستندٌ لاصطياد هدفه..

الأصل في كل مسلم أن يكون حاله كحال ذلك الرسام الذي تفنن في إخفاء عيوب الآخرين !

أم زيتون وعلم الإحصاء

دار مؤخرا حوار بيني وبين صديقي الذي نال درجة الماجستير في الطب فتذكرت بعده السيدة أم زيتون !

من شارع صيام بمدينة المنصورة انطلقت مسيرة الأم الروحية لمعظم فنانات وراقصات مدينة المنصورة وما حولها من المدن ، حيث حازت شهرة تكاد تضاهي شهرة أم كلثوم ، خصوصا بعد أن لحن لها الشيخ سيد درويش ، ورافقها الموسيقار رياض السنباطي ، وحرص كل من اسماعيل ياسين وشكوكو وعبد المطلب وعبد الغني السيد على زيارتها كلما وطئت أقدامهم المنصورة ..

وفي الواقع لم تحقق أم زيتون شهرة واسعة فقط ، بل حققت أعلى الإيرادات المالية بسبب حفلاتها المتواصلة ، وجعلت من مدينة المنصورة قبلة يفد إليها الراغبين والراغبات في دخول عالم الفن والطرب والرقص !

لم يكن النجاح الساحق الذي حققته المطربة والراقصة أم زيتون نابع من كونها الأفضل من بين كل المطربات والراقصات ، بل لأنها عمدت إلى فكرة إبداعية ضمنت لها رسوخ قدميها على طريق الشهرة ، فقد عكفت في بداية مشوارها على رأس فريق عمل صغير من أجل إحصاء المناسبات المختلفة من أعياد ميلاد ، وزواج ، وطهور ، وخلافه لكبريات العائلات في مدينة المنصورة وما حولها ، كعائلة الشناوي ، والإتري ، والقهوجي ، والقيعي ، وطوبار وعنان وغيرهم من العائلات الكبرى ، فصار لديها قائمة طويلة ، قامت فيما بعد بفرزها فرزا يحتوي تلخيص وتمثيل وإيجاد استنتاجات من المعلومات المتوفرة حول كل شخصية وردت في القائمة لتقرر في الأخير من أولى بالزيارة !

وبينما يجلس الرجل من الأعيان في فيلته أو قصره يفاجأ باقتحام أزم زيتون منزله عنوة ومعها صبيانها وقبل أن يفيق من الصدمة تباعته بأغاني عيد الميلاد التي يعجز أمامها الرجل عن الكلام ، وساعة بعد ساعة يهدأ ويتفاعل مع الحفلة مسبقة الصنع ! تعبت كثيرا في بداياتها ، لكنها بفعل الإحصاء الدقيق استطاعت أن تجامل جل العائلات وتكزن كثيرا من الأموال ، وتضمن لمؤسستها الشهرة الواسعة ..

ما الذي يمكن أن نتعلمه من السيدة أم زيتون ؟ بعيدا عن الرقص والطليل والزمر نستطيع أن نقف على أهمية علم الإحصاء للأفراد والشركات والمؤسسات والدول .

والملاحظ أن تسمية (الإحصاء) باللغة الأجنبية " **Statistics** " مشتق من كلمة " **State** " أي الدولة . وهو أي الإحصاء من أهم علوم الدولة ، فلا تنمية ولا استقرار ولا علاج لمشكلات وظواهر اجتماعية وسياسية بدون هذا العلم ..

يقول صديقي الطبيب محال أن تستشهد في رسالة الماجستير بحالات مصرية ، إذ أن الدولة شبه خالية من المعلومات والبيانات والمؤشرات الإحصائية التي توفر الحد الأدنى من المعطيات التي تمكن الباحث من القيام بالأعمال والمهام والواجبات المنوطة بها على الوجه المطلوب .

لقد خرج علينا المسؤولون في الدولة وقالوا : إن مصر- بحاجة إلى 250 ألف فصل تعليمي بتكلفة 130 مليار جنيه ، ولا أدري إلى أي معطيات استند الرجل ، ويكفي أن تقسم المبلغ المطلوب على عدد الفصول لتقف على كارثة حقيقية تهدد كيان الدولة الفارغة من أية معلومات ما يجعلنا نترحم على السيدة أم زيتون ، ونتساءل : الراقصة أم السياسي !

النعيم لا يدرك بالنعيم

البيئات الحادة ذات الطبيعة القاسية تولد لدى الأفراد الذين يعيشون فيها نوعا من الحماسة والتحدي الذي يساهم في إقامة النهضة والحضارة ، أما البيئات ذات المناظر الخلابة والموارد السهلة المتاحة فإنها تنبت أفرادا غير متحمسين ، سقف طموحاتهم محدد سلفا .. ولهذا نجحت الولايات المتحدة الأمريكية ذات المساحات الشاسعة ، والغابات الكثيفة ، والصحاري القاحلة في التفوق على نفسها ، وكذلك نجحت اليابان ذات البيئة غير المستقرة بفعل الزلازل المتواصلة ، أن تسجل رقما صعبا في خارطة الاقتصادات المتقدمة !

لو قارنت بين الطبيعة والبيئة في الأمريكيتين ؛ الشمالية والجنوبية لوجدت أن الأخيرة تحظى بمناظر خلابة ، موارد سهلة متاحة ، بينما الشمالية موارد مدفونة ، لم تجعل شعبها يركن إلى الراحة فنجح وصعد وارتقى وأسس دولة عظمى تفرض سطوتها على العالم !

قس هذا الكلام على الفرد ، فغالبا من ينهض من البشر من وجد في بيئة خشنة ، تدعوه مفرداتها إلى الحركة والنشاط لإثبات الذات .. ألا ترى أن كثير من العظماء عبر التاريخ قد نشأوا في بيئة صلبة ، فقراء تعساء ، كتوماس أديسون ، نيوتن ، والت ديزني ، ونيلسون مانديلا اليتيم !

ليست القراءة وحدها هي التي تصنع نماذج ناجحة فمن ذكرت من أمثلة وسموا بالفشل في مراحل متقدمة من أعمارهم ، ليست وحدها .. لكنها مهمة !
اخشوشوا وربوا أولادكم على الخشونة !

لا تبخل على الناس بالنصيحة

أثناء الدراسة الجامعية ، وفي السنة الأولى وتحديدًا في نهاية الترم الثاني حالفني الحظ ، وأدركتني رحمة ربي حينما جلس بجواري في الباص الذي يقلنا من مكان الكلية إلى مدينة المنصورة طالب في الفرقة الرابعة بنفس كليتي ، وشرع بحكم خبراته يقدم لي بعض النصائح التي تعينني في الدراسة وتضمن لي الترتيب على الدفعة لاسيما حين علم أنني من أوائل الثانوية .. وقال لي من ضمن ما قال : إن نمط الإجابات في اختبارات الجامعة لا بد وأن يختلف عن نمط الإجابات في امتحانات المرحلة الثانوية ، والمراحل التي دونها ، فلا مجال لما يعرف بالإجابات النموذجية في الصفوف الجامعية ، وأخذ يحدثني عن طبيعة الكلية ، وكيفية تلمس ميول واتجاهات أعضاء هيئة التدريس ونمط كل مدرس وأستاذ ، وماذا يحب في ورقة الإجابة وماذا يكره إلى غير ذلك من الأمور التي التصقت بذهني ..

كان تربيني على الدفعة في السنة الأولى من الكية الـ (45) لأني قضيت الترم الأول معتمدا على تصوري وحدي للأمور ، في حين لما طبقت نصائحه وصل الأمر إلى الترتيب على الدفعة وكان التقدير النهائي (ممتاز) !

ونحن الآن بصدد نتائج الثانوية العامة وحيرة كثير من الشباب والفتيات أزعجهم أن أهم ما يحتاجونه الآن (النصيحة المخلصة) المنبثقة من خبرات وتجارب أصحابها ، تلك النصيحة المتفهمة لنفسيات الشباب والفتيات ، والمدركة لحجم التغيير الكبير في مسألة العلاقة بين مخرجات التعليم وواقع سوق العمل لنزع الأفكار المغلوطة من أدمغة الكثيرين منهم !

ليس عندي شك أن واحدة من أهم المشكلات التي يعاني منها المجتمع حاليا افتقاره للناصحين القدوات ، الذين يملكون ذكاءً اجتماعيا يرفع عن أفراد المجتمع التيه والتخبط والعشوائية ؛ فمجتمعاتنا وللأسف الشديد ونتيجة لانشغال كل فرد بنفسه وتمحوره حول ذاته ، تعاني ضعفا شديدا من مسألة (التناصح الاجتماعي) الذي يقصر المسافات ، ويختصر الجهد ، ويدفع نحو النجاح والتميز ..

لا تبخل على الناس بالنصيحة فربما تدركك رحمة الله بدعاء أحدهم لك وأنت لا تدري !

يا شباب وفتيات الثانوية العامة ..

ظهرت النتائج ، وفرح من فرح وغضب من غضب ، دعونا مما فات ولنركز فيما هو آت .. نصيحة من محب محصل ..

أبدا لم يكن التفوق الدراسي قرين الذكاء والنجاح في الحياة ، وفي تصوري من يملك ذكاءً وجدانيا واجتماعيا فهو أفضل مائة مرة من ذكاء علمي يعزلك عن مجتمعك ، ولا يمكنك من التعبير عن انفعالاتك بشكل ملائم ، ولا تستطيع من خلاله أن توظف مشاعرك توظيفا أمثل علاوة على ضعفك وعجزك عن إدراك ذاتك وذوات الآخرين ، لاسيما المقربين !

صديقي خريج الثانوية العامة .. إن كنت فشلت في التحصيل الدراسي فحاول ألا تفشل في اكتساب مهارات الذكاء الوجداني ، فهو أيسر وأسهل من كلا كيع الفيزياء ، ودهاليز الكيمياء ، وكرشة النفس التي ترافق مداولة مادة الأحياء .. فقط حاول أن تنسجم مع الحياة ، وتكتسب الخبرات ، ودرب ذاتك على مواجهة الأزمات ..

وبالتزامن مع ذلك حاول أن تتعاطف مع الآخرين ، أظهر ودك واحترامك ، تحكم في انفعالاتك ، وعبر عن مشاعرك كلما سنحت لك الفرصة !
ضع أهدافك من الآن شرط أن تكون في نطاق مهاراتك وما تجيده ، أهدفا قابلة للتحقق ، مرنة ، طموحة ، تمنحك منظورا واسعا للحياة ، تتجاوز اهتماماتك الذاتية ، ومعطيات لحظتك الآنية !

فكر فيما يثير فضولك ، وما يثير فضولك في الغالب ليس موجودا في المقررات الدراسية التي قضيت فيها عمرك ، فأديسون على سبيل المثال لم تعلمه المدرسة

كيف يخترع المصباح الكهربائي ، وفشل ماركوني الذي اخترع المذياع في الجامعة
لم يمنعه من تطوير نظام البرق اللاسلكي ويفوز بجائزة نوبل !
وأخيرا : اقبل النصح ، وتحلى بروح المغامرة ..

كلامك صحيح .. لكنك على خطأ

أحيانا بل غالبا يكون كلام حضرتك صح ، وصح جدا لكنه يلبس ثوب الخطأ
عندما تعرضه على الملأ غير مراعاة للفروق الفردية في الاستنتاج والاستنباط تبعا
للبنية المعرفية لدى كل فرد .. فما يصلح لهذا قد لا يصلح لذاك ، وما يصلح لفلان
لا يصلح لعلان .. وكلما كان المرء أقرب للبساطة والواقعية كلما اقترب من قلوب
الناس .

هل الحيوانات أرحم من الإنسان؟!

في كتابه المفيد (الحياة الأخلاقية للحيوانات) يؤكد "دالي باتروسن" البروفيسور بجامعة (تفتس) الأمريكية أن هناك بعض الحيوانات أرحم من الإنسان كالثدييات مثلا ومنها الدولفين والقرود والفيلة ، لافتا إلى أن كثيرا منها يتحلى بروح التعاون والتعاطف .. والإنصاف !!
أحيانا نظلم الحيوانات حينما ننعت بعض الناس بها .

إياك أن تهين نفسك من أجل لقمة العيش

بمناسبة انكماش سوق العمل وتقلص الوظائف ، وجنوح البعض لا شعوريا إلى المذلة لرب العمل بهدف الحفاظ على وظيفته ، استحضر قول الإمام علي بن أبي طالب :

حفر بئرين يابرتين ونزح بحرين بغربالين
وغسل عبيدين أسودين حتى يصيرا كأبيضين
وكنس أرض الحجاز في يوم عاصف بردشتين
أهون علي أن أقف علي باب اللئيم فيردني خائبا
يعلما سيدنا علي من خلال هذه الكلمات كيف يكون الإنسان عزيزا ، لا يعرف الذل لنفسه طريقا ، ولهذا إياك أن تكون ذليلا لأحد من أجل لقمة العيش .. فالمال قد يعوض ، إنما الكرامة إن ذهبت لا تعود ..

ربوا أولادكم على تحمل المسؤولية منذ الصغر

لي صديق سوري يعمل في مجال المقاولات ، وسع الله عليه في رزقه فوهبه المال الكثير ، والولد الكثير أيضا ، فكان له من الذكور خمسة !

كان إذا بدأت الإجازة الصيفية أخذ بيد أولاده إلى الصناعاتية الذين يعملون بشركته، وسلم كل ولد من أولاده إلى أحد الصناعاتية ، فمحمد تابع للنجار ، وأحمد للحداد ، وهكذا ، حتى إذا انتهت الإجازة وجاءت الأخرى أعاد ترتيب أبناءه على الصناعاتية فمن كان منهم مع الحداد في العام السابق يذهب إلى النجار في العام الذي يليه .. وهكذا

فيبدو الولد مع الوقت فاهما في كل المجالات ، وصاحب خبرة كبيرة في الحياة عموما ، والأهم من ذلك معه المال الذي يمكنه من شراء ما يرغب فيه مع المحافظة عليه ، ذلك أن هذا المقاول كان يؤكد على الصناعاتي أن يعتبر أن هذا الولد ليس ابن صاحب الشركة بل عامل عادي تماما ، وله الحق في معاملته بالشكل الذي يراه ؛ لأنه سيحصل على أجر العامل العادي !

ثم بعد ذلك يسأل البعض لماذا يعمل السوري أو الشامي بزنس خاص به ، ولماذا نجحوا في مصر وبلدان أخرى كل هذا النجاح ، ولا يرتبط بالوظيفة المكتبية كالمصري مثلا ، وينزعج البعض من فهلوة الشوام وخبرتهم في الحياة ، وحسن تدبيرهم ، ويتذمر من فهلوة المصري المهلكة ، وضعف دخله حتى أنه يبدو طيلة العام مديون !

في هذا الزمن العجيب الغريب ، يجب على كل ولي أمر أن يدهس ابنه في الحياة دهسا بمعنى الكلمة ، ليدرك كيف يأتي القرش ، وهذا والله هو عين الحب والرعاية ..

لا تخرجوا للمجتمع عاهات ألفت الراحة ، تتأفف من الحياة ، تعتمد على الفهلوة الكاذبة التي سئم منها الجميع !

على المستوى الشخصي أشعر أن أكبر نعمة أنعم الله بها علي أن شجعتني والدي رحمه الله على العمل منذ سن مبكر ، حتى كنت صاحب دخل مستقل منذ الصف الثالث الابتدائي ، ولم يمنعني من السفر إلى الخارج ولم أبلغ السابعة عشر بعد !

ابحث عن صاحبة الخلق والأدب

قال لي : هي عاشقة للأدب ، شعرا ونثرا ، عربا وعجما ، وتقضي وقتا طويلا في قراءة كتب الأدب أفأخطبها أم أبحث عن غيرها !

قلت له : إن كانت صاحبة خلق ، وتعشق الأدب فنعم الزوجة هي .. إنها ليست سطحية كما تعتقد !

قالوا قديما من يملك الأخلاق والأدب يسكن في القلب إلى الأبد ، وعلى عكس ما يتصور الكثيرون فإن الأدب والغوص في أعماقه ليس ترفا كما يعتقد البعض ، لكنه قاسم مشترك لدى التجربة الإنسانية بعقدها ونقائصها ، لاسيما في عصر- تعاظم فيه دور التكنولوجيا وتسارعت فيه وتيرة المعرفة ..

ولئن كان العلم نورا يزيل الجهل ، ويبحث في مختلف تخصصات الحياة ويفك طلاسمها إلا أنه عجز عن فك طلاسم النفس البشرية ، بينما ساهم الأدب في ذلك بنصيب وافر !

من يقرأ الأدب لا يتعصب ، ولا يتكبر ، ولا يقف في زمرة الأغبياء ، بل ربما فهم الحياة كما لم يفهمها غيره .

وذات مرة سئل الأديب العالمي خورخي لويس بورخيس عن فائدة الأدب فكانت إجابته : لا أحد يسأل عن فائدة تغريد الكناري، أو منظر غروب شمس جميل !

برك بأملك لا يعني ظلم زوجتك !

رأيتُه يوصيه بأمة ويقول له لا تجادلها أبداً ، ولا تغضبها مهما قالت أو فعلت !
يستطرد البعض في التأكيد على مسألة بر الوالدين لاسيما الأم ، لدرجة أن الكثير يكاد يرفعها لمصاف الملائكة التي لا تخطئ أبداً ، ولا راد لقولها أو فعلها مهما بلغ ، سواء مع أولادها أو مع غيرهم .. لست في حاجة للتأكيد على أهمية وفضل بر الوالدين لاسيما الأم وجزاء البارين بهما ، لكن كثيرا ما يخلط البعض بين البر والإنصاف فتضيع قيم ، وتنهار بيوت ، وتحتدم مواقف ، ويتعثر مسير !
أحيانا تكون الأم مضطربة نفسيا ، لسبب أو لآخر ، أو تعاني من أمراض الغيرة المفرطة ، أو تتسم بالعدائية ، كشأن أي إنسان نشأ في بيئة معينة بظروف معينة ، فينعكس ما بها على أولادها وأولاد الناس ..

والابن أو البنت مطالب بالصبر على طباع أبيه وأمه المنفرة ، مهما وصل بهما الحال من الشطط السلوكي ، والانحراف القيمي ، والدعاء لهما والإحسان إليهما .. لكن ما ذنب بنات الناس ؟!

رأيت حالات كثيرة لأمهات مشوهات نفسيا يحاولن بكل السبل أن يفسدن على أبنائهن فرحتهم بزوجاتهم بسبب غيرتهن الشديدة ، والعقد النفسية التي كبرت معهن ، ورأيت مواقف تشيب الشعر تعكس مدى الانحطاط الذي وصلت إليه بعض الأمهات للأسف الشديد تجاه زوجات أبنائهن .. ليست كل أم نبع حنان ، وعمود البيت وأساسه ، فهناك أمهات بحاجة إلى توجيه بأدب من أبنائهن بما يحفظ لبنات الناس حقوقهن ، وبما ينصف قيمة العدل بين الناس ، لا تظلمون ولا تظلمون !

ومن أكرمه الله بأمر تعبته وسهرت وعلمت وربت فليقبل يدها صباح مساء ،
وليحمد الله كثيرا على ذلك ، ومن أكرمه الله بأمر رأى منها ظلما بينا لا يحتمل
التأويل فليوجه بالحسنى بعد الصبر الجميل والنصح الأجل مع الحرص على تحقيق
العدل الذي يحفظ لكلا الأطراف حقوقهم !

فكما أن لزوجة الابن واجبات وحقوق لأهل زوجها فلأم الزوج أيضا حقوق
وواجبات تجاه زوجة ابنها ، ويجب أن يعرف كلا الطرفين حقوقهما وليعلما أن الله
منع الظلم والعدوان أيا كان فاعله ولا عصمة لأحد من الناس ..

وأنت أيها الزوج .. إياك أن ترفع صوتك على أمك ، أو تنهرها ، أو تؤذيها في
مشاعرها ، أو تصغرها أمام زوجتك ، لكن في المقابل إياك أن تظلم زوجتك
إرضاء لأمك .. لا بد أن يكون لك جهد وسعي بين الطرفين لاسيما الزوجة من
ضرورة التذكير بالصبر والعفو والصفح والمسامحة والتعريف بطبيعة الزمان والبيئة
التي نشأت فيها الأم وإلى أي مدى تبدلت الأحوال والظروف والعادات ، وما ترتب
على ذلك من اتساع الفجوة بين الأجيال ..

كيف فازت ألمانيا بالمونديال ؟

كُتبت هذه الخاطرة بعد فوز ألمانيا بكأس العالم 2014

الكثير من الدول لا تكلف نفسها عناء التفكير والتحليل الدائم لفهم أسباب الظاهرة ومعرفة النتائج المترتبة عليها ، بل تكتفي بمشاهدة الظاهرة والاستمتاع بها في سطحية وبلاهة لا تحسد عليها .. وهكذا غالبية الدول العربية !

وقف العالم العربي وغيره مشدوها أمام انتصارات الماكينة الألمانية في مونديال 2014 مستمتعا بسحقها لفريق السامبا البرازيلي، ومتعجبا من تخطيطها لكل العقبات والتحديات التي واجهتها حتى استحقت عن جدارة الفوز بكأس العالم في دورته المنتهية مؤخرا.

الرياضة شأنها شأن أي مجال آخر، ولهذا تحولت نظرة الغرب إليها من كونها ظاهرة رياضية اجتماعية فقط إلى ظاهرة صناعية واقتصادية وثقافية واستثمارية يستفيد منها الأفراد والشركات والدول !

تعجبت حينما علمت أن هناك مراكز بحثية تعكف الآن على دراسة السلوك الذي ظهر به الفريق الألماني خلال مباريات مونديال 2014 ، للوقوف على أسباب هذا النجاح الباهر الذي يعكس أهمية العلم في زيادة فعالية أي نشاط أو أداء .

(ماتياس زامر) .. كثيرون من متابعي كرة القدم ومشجعي الأندية الألمانية لا يعرفون هذا الرجل في حين أنه حول الكرة الألمانية من لعبة مجردة إلى حالة خاضعة للعلم وأدوات قياس علم النفس ، ولعلك تتعجب من ثبات أداء الألمان

في غالب الأوقات لاسيما في السنوات الأخيرة على عكس فريق آخر أكثر مهارة وحرفية وتاريخا لكنه يفوز مرة بفارق كبير ثم يهزم مرات بفارق أكبر..

هذا الاتزان في الأداء كان لـ(ماتياس زامر) الفضل فيه حيث اعتمد على ما يعرف بعلم نفس الأداء ، وقد شرع في العمل به منذ أن كُلف بالإدارة الفنية للاتحاد الألماني وبالتالي كان المسؤول عن جميع الأندية في مختلف الفئات العمرية ، اعتمد الرجل على آلية علمية يتم بمقتضاها تدريب اللاعبين وجعلها المرتكز الذي تقوم عليه كرة القدم الألمانية سواء أكان هو نفسه موجودا في المشهد أو خلفه أحد غيره .

نجح من خلال توظيف (علم نفس الأداء) في التقليل من الاعتماد على لاعب بعينه وإتاحة المرونة الكافية أمام المدرب لتغيير اللاعبين دون الإضرار بأداء الفريق بالإضافة إلى تعزيز قيمة العمل الجماعي داخل الساحة المستديرة !

في ألمانيا ليست المهارة معيارا ذو أهمية قصوى لقبول اللاعب أو صناعته ، لكن الأهم هو الالتزام بالأسس والمعايير العلمية التي وضعتها أكاديميات علم النفس الرياضي وعلم النفس الأداء .

لاعب الكرة الألماني يتم تأهيله منذ الصغر كما لو أنه في معسكر قتال يستعد للحرب ، فمنذ الالتحاق بالنادي يتم دراسة النواحي السلوكية والجسدية والبيئية للوقوف على عيوبها وتلافيها وإحداث التطور المطلوب ، كما يتم من خلال خبراء متخصصين تكوين الشخصية المتكاملة التي تفخر بنفسها وتعزز بانتصاراتها عبر سلسلة من الأدوات والوسائل منها : التحفيز ، وتعزيز قيم التحدي والصمود ضمن منهجية علمية ذات معايير محددة. بالطبع كما رأينا نتائج العلم مبهرة ، فقد أدخل المنتخب الألماني في نفوس الألمان الفرجة والبهجة وحققوا آمال شعبهم .

لست من متابعي كرة القدم على الإطلاق ولست من مشجعي أحد الأندية، فتصوري أن الأهم أن يمارس الإنسان الرياضة بنفسه.. لكنها وقفة احترام وانبهار أمام العلم ونتأجه .

أتصور أنه لن تقوم لأمتنا العربية قائمة إلا باعتماد العلم سبيلا للنجاح، والبعد عن العشوائية، والتقرب من العلماء ، وإعطاء الخبز لخبازه حتى إن أكل نصفه !
لسنا أقل من ألمانيا ولا غيرها . فحضارتنا الإسلامية ما ازدهرت ونمت إلا من خلال الاهتمام بالعلم والعلماء والاعتناء بهم وتفرغهم للبحث والدراسة.. وتعزيز قيمة التخصص .

من هو الحكيم ؟

ليس من الخير ولا الذكاء في شيء أن إذا كرهت أحداً أعلمته بكرهك له بداعي أنك صريح وأن ما في قلبك على لسانك ..
 بل الحكيم من حفظ الكره في قلبه ولم يبده ، فلعل المكروه يوماً صار حبيباً ..
 وعسى الله أن يجعل بينك وبين من عاديت مودة !

انصح بأدب

لا أعتقد أن ثمة مشكلة في نقد ونصح من تحب لكن الإيغال في تعنيفه ،
 والتقليل من شأنه فضلاً عن مطالبته بأمور أكبر من إمكانياته قد يسهم في إطفاء
 جذوة الطموح لديه بما يجعله يضيق ذرعاً بحاله ، ويصدر ردود أفعال غير
 مسؤولة.. وساعتها لا تلوم إلا نفسك !!

قلب المرأة أصدق من قلب الرجل

على الرغم من أن عمر رضي الله عنه كان يعذب جارية له من أول النهار إلى آخره
 لأنها أسلمت .. إلا أن زوجة الصحابي الجليل (عامر بن ربيعة) بقلب الأنثى
 شعرت بأن عمر قد مال إلى الإسلام وصرحت بذلك لزوجها فكان رده : لا يسلم
 أي عمر حتى يسلم حمار الخطاب !
 أحياناً تكون نظرة المرأة أدق من نظرة الرجل .. فلنقدر وجهات نظرهن فربما
 رأين بقلوبهن ما لا يراه الرجال بعقولهم .

إنه الإيمان !

غضبت نفس الزبير بن العوام عندما لم يعطه رسول الله سيفه يقاتل به في أحد ،
فقد أعطى الرسول السيف لأبي دجانة ..

صار الرجل العظيم يحدث نفسه قائلاً لها : كيف يعطي النبي السيف لهذا الرجل
ولم يعطه لي وأنا ابن عمته صفية ، ثم إني سألته أن يعطيني إياه قبل أن يسأله أبو
دجانة ؟

ولم تكتف نفسه بذلك !
بل صورت له أنه من الأفضل أن يراقب تصرفات أبا دجانة ليرى ماذا سوف يصنع
الرجل بالسيف !

على الجانب الآخر ربط أبو دجانة عصاة الموت على رأسه وأشد يقول في حمية :
أنا الذي عاهدني خليلي ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر في الكيول . (مؤخرة الصفوف)

أضرب بسيف الله والرسول .. لم تتمكن نفس الزبير منه طويلاً .. فلقد صارت
تمدح صنيع أبا دجانة وبأسه في الحرب حتى أنه كان يدعو الله أن يقتص أبو
دجانة من ذلك الرجل المشرك الذي كان يقتل جرحى المسلمين .. وبالفعل
استجاب الله للزبير وقتل المشرك ! لقد جاء الإسلام ليضع حداً للجدل العقيم
الذي استمر بين الفلاسفة وعلماء النفس على مر العصور حول ما إذا كانت النفس
البشرية خيرة بطبيعتها وأفسدت البيئة أم أنها شريرة بطبيعتها بيد أن المجتمعات
حفظت جزءاً من هذا الشر ليتوارثه الأجيال جيلاً بعد جيل ؟

في الواقع لم تنجح أفكار فرويد أن ترشدنا إلى فهم النفس والدوافع البشرية بشكل كاف فلقد اتسعت الهوة بين المدارس بسبب نظرياته وأفكاره ، ولم تفلح المدرسة السلوكية بقيادة واطسون أن تفعل ذلك الأمر ، ولم يتمكن حتى المتأخرون من أمثال مارتن سليجمان بنظرياته الجديدة في علم النفس الإيجابي أن يحيط الأمر من كل جوانبه دون ثغرات !

لكنه الإيمان وحده هو الذي تمكن من تطويع النفس البشرية ، ودفعها دفعا نحو القيم النبيلة ، فمتى ما استقر الإيمان في قلب العبد تبرأ من حظ نفسه ، وإذا صلح الإيمان في القلب صحت تصرفات المرء وحسن سلوكه ، فتسمو النفس عن الماديات والشكليات وتتجه نحو النبل والشرف !

اعرفوا قدر الإمام !

كتب أحدهم يقول على مواقع التواصل الاجتماعي (أقول لكم قال رسول الله تقولوا لي قال أبو حنيفة) !

على أساس أن أبا حنيفة يلهو معنا بالشارع ، أو يتأول كلاما على رسول الله ! بعيدا عن أن هناك نص وهناك أفهام متباينة حول النص في حدود ما تسمح البنية المعرفية للفقيه ، ووصول الدليل إليه من عدمه ، وبعيدا عن مقاصد الشرع الكلية التي تدور حولها كل المسائل ومن هنا جاءت الاختلافات بين المذاهب ، بعيدا عن كل ذلك المهم أن الأخت جزاها الله خيرا جعلت الخاطر يصول ويجول مع هذا الإمام الورع التقي الفهامة العلامة !

من القلائل الذين بحثوا في سيرة الإمام أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه الشيخ محمد أبو زهرة فألف كتابا تحت عنوان (أبو حنيفة .. حياته وعصره آراؤه الفقهية) والذي كان في الأصل عبارة عن سلسلة محاضرات لطلبة الشريعة بقسم الدكتوراة بكلية الحقوق عام 1945 م ..

حاول العلامة أبو زهرة أن يظهر شخصية الإمام بشكل موضوعي بعيدا عن الذين غالوا في الثناء عليه وبعيدا عن الذين لم يسلم منهم الرجل ! وشخصية كشخصية الإمام من الصعب أن تقف على حقيقة أمره لكثرة ما أحاط بها من ملابسات وظروف البيئة الفكرية التي نشأ فيها ، وأيضا لأن الإمام لم يكتب عن نفسه ، بل كتب تلامذته !

ورغم أني شافعي المذهب إلا أني في غاية الإعجاب بفكر الإمام أبي حنيفة وأترضى عنه حين يباغتنا الواقع بقضايا لم أجد من تصدى لها كأبي حنيفة لأنه رائد الفقه الافتراضي كالصلاة أثناء ركوب الطائرة !

كما أنه رائد الحيل الشرعية للوصول إلى الحق ، وجبل أشم في إعمال العقل بما لا يصطدم مع روح النص ، وبينما كان الفقهاء مهتمون بواقعهم كان الإمام منشغلا بواقعه مع استشراف ملامح المستقبل بنظرة الذكي ، وعقلية النابغة ، وحس الفقيه الذي يملك عقلية حرة ترغب في تعزيز مكانة هذا الدين في نفوس أتباعه بما يتلاءم مع روح كل عصر ..

واجه الإمام ما يواجهه كل عبقري ، اتهامات واستخفاف لقصور الإدراك على استيعاب ما يقول ويفعل ، فمن الطبيعي أن يواجه الإمام بأبشع الاتهامات لأنه خرج عن المألوف واعتمد طريقة مبتكرة في استنباط الأحكام تتفق مع مقاصد الإسلام الكلية ، فالناس في الغالب يحبون التقليد ، وأعداء ما مجهلون !

لكن العلماء الثقات وخصوصا من أتباع المذهب الشافعي دافعوا عن الرجل فكتب الإمام السيوطي وهو شافعي رسالة تحت عنوان (تبييض الصحيفة في مناقب الإمام أبي حنيفة) ، وكتب ابن حجر الهيتمي وهو شافعي أيضا رسالة سماها (الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان) وغيرهم كثير ..

فقد جاء عن الإمام الأوزاعي إمام أهل الشام أنه قال يوما لعبد الله بن المبارك : من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة ويكنى أبا حنيفة ؟

فلم يجبه ابن المبارك !

وإنما شرع في ذكر مسائل فقهية عويصة ومن ثم يذكر طرق فهمها والفتوى فيها فقال الأوزاعي : من صاحب هذه الفتاوى ؟

فقال ابن المبارك : شيخ لقيته بالعراق !
 فقال الأوزاعي : إنه لشيخ فقيه مبارك ، سأذهب إليه لأستزيد من علمه .. هنا
 اضطر ابن المبارك أن يعلمه أن هذا الشيخ هو الإمام أبو حنيفة !
 يذكر أن الإمام الأوزاعي قابل الإمام في مكة فلما عاد من عنده قال لقد كنت في
 غلط ظاهر فإنه بخلاف ما بلغني عنه يقصد أبي حنيفة !
 رحم الله الإمام

تفاءلوا بالخير تجدوه

تفاءلوا بالخير تجدوه وعيشوا أسرى الأفكار السيئة حتما سترون أياما تعيسة
 ونهاية مفاجئة ..
 المؤلف الإنجليزي الشهير روبرت برنز صاحب نشيد الوداع الأشهر في العالم توقع
 لنفسه يوما يموت فيه ..وبالفعل توفي في نفس اليوم الذي توقعه !

الرحمة المهداة للعالمين

على عكس ما تصور بعض الصحابة كان يوم (فتح مكة) الذي جرت أحداثه في مثل هذا اليوم يوم رحمة وتراحم وإحسان قل نظيره ..

لقد ظن المعذبين المطرودين أن الفرصة قد سنحت لهم ليزلوا أهل مكة المعاندين الذين لم يتورعوا عن أذيتهم ماديا ومعنويا ، فخرج سيدنا سعد قائلا : اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة... اليوم أذل الله قريشًا)، فقال صلى الله عليه وسلم: "اليوم يوم الرحمة !

لم يكتف الرسول بهذا القول بل أخذ منه الراية ودفعها إلى ابنه قيس ، ليس ذلك فحسب بل أوصى النبي الجيش الفاتح ألا يقاتلوا، وألا يسفكوا دمًا إلا إذا أكرهوا على ذلك .. بدت رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم بسيدنا حاطب بن أبي بلتعة بعد أن ثبت تورطه في إعلام أهل مكة بمجيء الرسول ، ليقدم المصطفى درسا بليغا لأئمة مفاده أن تجاوزوا عن أخطاء الناس إذا بدت لكم أعذار منطقية وكان لهم ماض مشرف ، فلا تهيلوا التراب على كامل العلاقة المشرقة بسبب موقف !

وبدت رحمته صلى الله عليه وسلم بجيشه حين نظم صفوفه ، فجعل الزبير بن العوام على الجناح الأيسر من الجيش، وأمره أن يدخل مكة من شمالها، وجعل خالد بن الوليد على الجناح الأيمن، وأمره أن يدخل مكة من أسفلها، وجعل أبا عبيدة بن الجراح على جماعة المهاجرين، وأمره أن يدخل مكة من أعلاها في حذاء جبل هند، وجعل سعد بن عباد على جماعة الأنصار ليدخل مكة من جانبها الغربي ، وأعد كامل العدة ليحافظ على أرواح جنوده ، ولم يدخل معركة بدون استعداد وبذل كامل بالأسباب حتى لا تذهب الدماء سدى !

وبدت رحمته حين أنزل أبا سفيان منزلته وجعل له شيئاً من محبات النفس .
وبدت رحمته صلى الله عليه وسلم بأبي بكر وأبيه ، فلما جاء أبو بكر بأبيه يقوده
حتى وقف بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رآه الرسول صلى الله عليه
وسلم قال: "هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية فيه"، فقال أبو بكر: يا
رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت. فأجلسه النبي صلى الله
عليه وسلم، ومسح صدره، ثم قال له: أسلم فأسلم !

وبدت رحمته بأهل مكة وهم الذين لم يتورعوا أن إلحاق الأذى به في كل وقت حين
قال لهم : يا معشر قريش ما تظنون أني فاعل بكم؟" قالوا: خيرًا؛ أخ كريم وابن أخ
كريم، قال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء" !

وبدت رحمته صلى الله عليه وسلم حتى بمن حاول قتله ، فبينما كان يطوف
بالبیت أراد فضالة بن عمير قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت ،
فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أفضالة؟" قال نعم! فضالة يا
رسول الله، قال: "ماذا كنت تحدث به نفسك"، قال: لا شيء، كنت أذكر الله، قال:
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: "استغفر الله"، ثم وضع يده على صدره،
فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق
الله شيء أحب إلي منه. وبدت رحمته بأهل مكة حين قام يعلمهم أمر دينهم
ويفقههم فيه لئلا تلتبس عليهم أحكام الدين فيعبدون الله على بصيرة !

بلد المليون محلل سياسي

من أكثر المشكلات التي تزرع الأمل المغشوش في نفوس المتطلعين إلى واقع أفضل ، ومستقبل أروع ؛ مشكلة التبسيط المخل للعقد والظواهر السياسية والاجتماعية التي تتكاثر في منطقتنا العربية تحديدا ، والعالم بصورة عامة ..

فهم السياسة ليس حكرا على أحد ، غير أن التحليل السياسي المتضمن لعمليات البحث في الاحتمالات الممكنة لمسارات التفاعلات بين القوى السياسية في الدولة ، والقادر على توفير تفسيرات علمية واضحة لتداخل العلاقات بين الفواعل السياسية الموجودة ، يلزمه رجال أكفاء نالوا حظا وفيرا من العلم ، وحنكتهم التجارب ، وأنهكتهم كثرة المطالعة في الأخبار ، وفوق كل ذلك التزموا بالمعايير والأسس والقواعد التي حددها علم السياسة .

واقعنا يئن من كثرة (المحللين السياسيين) الذين يفتقرون إلى أي خبرات تؤهلهم للتعامل مع السياسة كعلم ، معقد ، قل من يتعاطى معه بشكل احترافي !

في ذكرى غزوة بدر

في ذكرى غزة بدر المباركة نتذكر كيف حاول اليهود إلحاق الهزيمة النفسية بالمؤمنين العائدين إلى المدينة بعد نصر مبين . فالقلة المؤمنة التي انتصرت على جيش مؤهل ومجهز بأحدث التجهيزات العسكرية وجدت عند عودتها إلى المدينة بعض اليهود زعماء الحرب النفسية، متقدما زعيمهم ليقول للرسول في صلف وغرور : لا يغرنك يا محمد انك انتصرت على قوم لا علم ولا دراية لهم بالحرب فإنك لو لقيتنا لعلمت أننا نحن الناس ، مريدا بذلك إخماد نشوة النصر- لدى المؤمنين محدثا ارتباكاً في نفوسهم، لكن القرآن الكريم عالج الموقف في الحال من خلال تثبيت الفئة المؤمنة حيث نزل قول الله تعالى في الحال : (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم) فحصد الله قلوب المؤمنين وثبتهم لئلا تهتز وترتجف للتهديدات اليهودية ..

إن اليهود خبراء في هذا النوع من الحروب فهم يؤمنون بها ويدركون سرعة ودقه فعاليتها ، وتتميز الحرب النفسية بأنها غير مكلفة على الإطلاق وأكثر تأثيراً وفعالية من أنواع الحروب الأخرى ويعتمد تأثيرها على فهم طبيعة الطرف الآخر وتحديد مستوى ثقافته وعاداته وتقاليده ومعرفة نقاط ضعفه .. والكيان الصهيوني يستغل هذا النوع من الحروب منذ أن وطأت أقدامه النجسة أرض فلسطين ، بمختلف الطرق والأساليب والوسائل والأدوات والإمكانات التي بحوزته، وأفرد لها مساحة كبيرة خاصة في حروبه على قطاع غزة . وقد استخدم لذلك جميع أبعاد هذه الحرب النفسية ووسائل تحقيقها، من دعاية، وإشاعة، ووسائل التضليل الإعلامي، وحرب المنشورات، والرسائل المسجلة لإثارة الخوف، وافتعال الأزمات..الخ

الحروب لها أشكال وأنماط مختلفة ، والوصول للغاية يلزمه جهد وإبداع ، وابتكار ، لا الانتظار من باب رحمة الله الواسعة فقط بدعاوى الإيمان بالله !
 الأمر المهم الذي يجب أن نتعلمه من هذه الغزوة المباركة أن النصر- قد يأتي بعد القتال العنيف = غزوة بدر وقد يأتي النصر بعد الصبر الجميل = غزوة الأحزاب وقد يأتي النصر دون قتال إطلاقا = غزوة تبوك للنصر طرق عديدة ، لا تنتظره من باب تعرفه أنت ، فقط كن أهلا له وحتما سيأتي !

درس في التربية والتعليم

لو لم يشترط سيدنا موسى على نفسه شرطا لربما استمر سيدنا الخضر- في التعليم ، حين قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا ، أي في مفارقتك لي..

ولهذا لا يجوز أن يشترط المتعلم عند معلمه شرطا على نفسه، ذلك أن كثير من الطلاب أو الأبناء يشترطون كثيرا في كلامهم (لو ماعملت كذا اضربي ، أو امنع عني هذا الأمر) ، كما يؤخذ منها عدم الاستعجال في فهم ما يحدث أو كثرة الاعتراض بداعي وبدون داعي ، فالزم من العلاج ، ولعل هذا الاستعجال سبب من أسباب تفويت الرزق والتفرق في العلاقات (قال هذا فراق بيني وبينك) .

رمضان من زاوية أخرى

في الحقيقة لا أنظر إلى رمضان على أنه شهر ينمي الوازع الديني فقط ، ولا شاحن الروح لبقية شهور السنة فقط .. وكذلك لا أنظر إليه من باب الفوائد الطبية والاقتصادية فقط .. بل أنظر إليه كبوصلة ترشدني إلى أي وجهة تتجه العلاقات الاجتماعية في مجتمع ما ، ثم أتنبأ بطبيعة العلاقة بين أفراد المجتمع في بقية العام .. على اعتبار أن شهر رمضان يمثل ذروة سنام العلاقات الاجتماعية !

في الماضي لم تكن الظروف حائلا بين اتصال الناس بعضهم البعض رغم ندرة وسائل الاتصال ، فكان المتخاصمون يتصالحون في رمضان لظنهم أنه لا يجوز أن يدوم الخلاف في هذا الشهر الفضيل ..

وكان من النادر رؤية إنسان مجاهر بالمعصية كالفطر بالأماكن العامة دون عذر شرعي ، حتى أصحاب المهن القاسية ، وكانت المسلسلات تعالج قضايا اجتماعية بأسلوب متحفظ ، لا تجد الأسرة معه مجمعة حرجا من مشاهدتها ..

فيمكننا القول إن رمضان كان فرصة حقيقية لتقوية وشائج المحبة والمودة بين أفراد المجتمع ، فيتجلى ذلك في العيد .. إذ كان الناس لاسيما في القرى والأرياف لا يمرون ببیت إلا دخلوه وسلموا على أهله من دون تكلف !

الآن وبكل أسف رسمت الظروف والمعطيات أطيافا عازلة لكل إنسان عن غيره ، فتقطعت أوصال المجتمع بشكل كبير ، ولكل فرد مبرراته المقنعة ربما ، غير أن النهج القرآني في الأخير غائب ، والقيم السامية التي جاء بها رمضان مغيبة ، وإلا ما فائدة أن ينقطع الناس عن الأكل في وقت واحد ويفطرون في وقت واحد ؟!

بانحراف الصيام عن مقاصده ، نرى ما نرى اليوم من تشرذم مجتمعي ، وركود حضاري غير مسبوق ، وتسلب للشكليات والعادات على الجوهر والمضمون ، وشيوع الأنانية بين قطاعات واسعة من الشعب !
لا أمل في بلد مفكك اجتماعيا ، ولا خير فينا إذا استسلمنا للظروف ، وأصر كل فرد أن يعيش منعزلا ، لا يحاول أن يصلح ما أفسده المفسدون !

قدموا فحولة اللسان على فحولة الجسد !

وهل تظن أن كل واحد يتغزل في زوجته أمام الآخرين ، أو العكس على مواقع التواصل الاجتماعي معناه أن الحب بلغ بهما كل مبلغ ، وأن حياتهم خالية من المعوقات أو التحديات ؟

أبسلوتي .. أي علاقة في الدنيا بين شخصين لا بد وأن تمر بمنعطفات حادة ، ومشكلات عويصة ، تقل وتكثر تبعا لطبيعة كل بيت ، غير أن هذه المنعطفات وتلك المشكلات تعد أمرا طبيعيا إذا ما أخذت حجمها الحقيقي ، وروعي فيها الطريقة السليمة للعلاج ، ومخطئ من يعتقد أن الحياة الزوجية (أعقد العلاقات) خالية من المنغصات ..

بعضهم أو بعضهن قد يرسم صورة مثالية بفعل أحلام اليقظة ، والسينما والمسلسلات ، وقصص الحب الأدبية التي تسلط الضوء على جانب من الجوانب فلا يراها في واقعه ، فيقفش بالمعنى البلدي ويندب حظه ، ويلعن اليوم الذي قرر الزواج فيه !

وبعضهم قد تربى في بيئة ناعمة ، مدلل ، لم يتحمل أي مسؤولية ، بما فيها رمي كيس الزبالة خارج البيت ، فعندما يتزوج ويصبح مسؤولا عن بيت وأسرة فإنه يتأفف من كثرة الطلبات ، فلا يرى في الزواج إلا جملة من الالتزامات المرهقة ، فيصب جم غضبه على زوجته !

وبعضهم لم يتعلم قدسية الحياة الزوجية ، فلم يقرأ آية من كتاب الله أو حديث نبوي شريف يحث على ضرورة المودة وعدم الظلم حتى لو كره زوجته لسبب أو لآخر ، فلا يقيم لتلك العلاقة المقدسة وزنا !

وبعضهم لا يكلف نفسه عناء فهم الطرف الآخر ولم يجاهدها في الانسلاخ من الأنانية والتمحور حول الذاتية على اعتبار أنها علاقة تكافؤ في الأصل وانسجام وتضحية !

من خلال ملاحظاتي أرى أن الواقعية بين الزوجين تلاشت إلى حد كبير بفعل الميديا ومهارات التسوق وضعف أدوار التربية وبروز عوامل أخرى للتنشئة على حساب عوامل أصيلة ، فكل طرف يبحث عن الكمال علما أن الكمال لله وحده ! إن الحياة الزوجية لا تقام على أساس العواطف وحدها بل هي علاقة قائمة بالأساس على التضحية ، والصبر ومراعاة المصلحة العامة للأسرة .

أنعم بها من زوجة تلك التي تبحث عن جوانب النقص فترممها والكتب كثيرة ، والفيدوهات غزيرة ، والمتخصصون أكثر ، وأكرم به من زوج ذلك الذي يراجع نفسه دوما ويعتذر إن تجاوز !

أنصح كل زوجين ألا يعلم عنهما أحد من الأهل أو الجيران أو الأصدقاء ، وإذا اضطرا اضطارا فليبحثا عن أسرة من الأسر الثقات لتكون مرجعا لهما ، لأن دخول أهل الزوج والزوجة على الخط سيحدث نوعا من الهجوم النفسي ، وقليل من يتحلى بالحكمة !

وأخيرا .. أيها الرجال قدموا فحولة اللسان على فحولة الجسد !

التقنية في شقها السلبي

لو لم يكن للمناسبات والاحتفالات المختلفة من فضل إلا أنها فرصة لتوطيد العلاقات ، وتجديد الحب في نفوس الناس لكفى !
للأسف حولتنا التقنية الحديثة لآلات ، فصرنا منزوعي المشاعر بشكل أو بآخر ، نتعامل مع البشر كما لو أنهم مكائن وجمادات ، لا تشعر ولا تحس !
فقد تكتب لهذا تعليقا يتضمن مواساة له على فقدان عزيز لديه ، وفي نفس اللحظة تكتب تعليقا يبعث على الفرح والسعادة لصديق آخر لديه مناسبة سعيدة ، وفي المناسبة الأولى تحتهد أن تختار من الكلمات والألفاظ ما يشعره أنك بالفعل مهموم لأجله ، وفي المناسبة الثانية تحتهد أن تنتقي من الألفاظ ما يدخل السرور عليه !

(شيزوفرينيا) كدنا جميعا أن نصاب بها إلا من رحم الله بسبب التكنولوجيا التي اقتحمت حياتنا وصنعت برتوكولات جديدة ليومنا ..
على أن أسوأ ما في التقنية الحديثة التي أتاحت في شقها الإيجابي سهولة التواصل بين الناس والتعرف على الأمزجة والثقافات المختلفة .. أسوأ ما فيها كمية الرسائل الباردة المجمدة المحفوظة التي تبعث على الملل والكآبة رغم أن هدفها العكس !
رسائل مكررة على الواقس والفيس ، تسبق الحدث الذي أعدت لأجله أياما بل أسابيع ، وبدلا من أن تقرب المسافات أصبحت تساعد بشكل كبير في توسيع الهوة بيننا ..

لا أصدق من كلمات حارة ينطقها اللسان فتستقبلها الأذان مستشعرة دفئها وحنانها

عانقوا من تحبون إن استطعتم ، وعمقوا العلاقات ، واكسروا الحواجز بالأبدان والأرواح معا ، وإن حالت الظروف فلا أقل من كلمات موجهة لا محنطة !

لا تكن من هؤلاء

كثير من الناس كحال المرأة التي انتقلت إلى بيت جديد مع زوجها ، وفي صباح اليوم الأول وبينما تتناول الإفطار معه قالت له وهي تشير من خلف زجاج النافذة المطلة على الحديقة المشتركة بينهما وبين جيرانهما : انظريا عزيزي، إن غسيل جارتنا ليس نظيفا..لابد أنها تشتري مسحوقا رخيصا .. ودأبت على إلقاء نفس التعليق في كل مرة ترى جارتها تنشر الغسيل .. ثم تبين لها بعد شهر أن الغسيل نظيف فأردفت قائلة : انظر .. لقد تعلمت أخيرا كيف تغسل..

فأجاب زوجها : عزيزتي لقد قمت بنفسي- مبكرا هذا الصباح ونظفت زجاج النافذة التي تنظرين منها .. ؟!!!

كثير من الناس حاله كحال تلك المرأة ينظرون إلى الناس بنظارتهم السوداء ، فيرون كل شيء مشوها ، ويظنون على هذه الحال حتى يكرمهم الله بمن ينظف لهم نظاراتهم أو بمن يكسر الزجاج الذي لا يدركون أنه متسخ !

أحسنوا الظن بالناس والابتعاد كل البعد عن سوء الظن بهم ؛ لأن سرائر الناس ودواخلهم لا يعلمها إلا الله تعالى وحده ..

العبادات من زاوية أخرى

لو تأملنا جل العبادات لرأينا أنها تعزز من قيمة الوحدة والألفة بين المسلمين ، فالصلاة يصطف فيها المسلمون ؛ الغني بجانب الفقير ، والطويل بجانب القصير والسيد بجانب الخادم .. الكل سواسية ..

وكذلك الصيام ، الكل يصوم الغني والفقير ، السيد والخادم ، المصري والشامي والروسي والإفريقي والأمريكي ، يصومون في وقت واحد ويفطرون في آن واحد .. وكذلك الحج .. الكل في مكان واحد جعل الله تضاريسه وعرة محاطة بجبال وجعل الحرم وسط هذه الجبال كي يحشر الناس جميعهم في هذه البقعة فقط ، لتعميق الوحدة في نفوس الحجاج ، ولو جعلت أرض الحرم مستوية ، منفردة لربما اختار بعض الأغنياء مكانا بعيدا عن الزحام الذي لم يتعودوا عليه !

وكذلك الزكاة .. الأصل أنها للأغنياء ، لكن يشاء الله سبحانه وتعالى أن يقوم الفقير أيضا بإخراج (زكاة الفطر) لتعزيز الشعور بالاجابية والشعور بالآخرين لتعميق الحب والألفة، علاوة على تعزيز مسألة القدرة على العطاء عند من يصنع لنفسه صورة ذهنية أنه لا يستطيع ، فمهما كانت استطاعتك وقدراتك وإمكانياتك فستخرج بعضا مما عندك للآخرين ، والتاريخ الإسلامي يوحى لنا بمواقف عظيمة للفقراء ..

فَاللَّهُمَّ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ ، واجمع كلمتهم ، ووحّد صفهم .

حتى حب عنتره بن شداد لعبلة لم يدم إلى الأبد !

صحيح أنهم صوروا لنا في كتب الأدب قصة حب أسطورية ، محال أن تتكرر في دنيا الناس ، وأخطأوا حينما لم يحققوا ويذكروا القصيدة التي اكتشف عنتره فيها أن كرامته أغلى من أن تمس ، مساهمين بذلك في تعزيز النظرة المتزنة للأمور حتى في الحب ، وأنه ما من شيء باق على حاله وإن عظم في وقت من الأوقات ..

يقول عنتره :سلا القلبَ عما كان يهوى وَيَطْلُبُ وَأَصْبَحَ لَا يَشْكُو وَلَا يَتَعَتَّبُ
صَاحَا بَعْدَ سُكْرِ وَإِنْتَخَى بَعْدَ ذِلَّةٍ وَقَلْبُ الَّذِي يَهْوَى الْعُلَا يَتَقَلَّبُ
إِلَى كَمِّ آدَارِي مَنْ تُرِيدُ مَذَلَّتِي وَأَبْذُلُ جُهْدِي فِي رِضَاهَا وَتَغَضُّبُ
عَبِيلَةَ أَيَّامِ الْجَمَالِ قَلِيلَةً لَهَا دَوْلَةٌ مَعْلُومَةٌ ثُمَّ تَذَهَبُ
فَلَا تَحْسَبِي أَنِّي عَلَى الْبُعْدِ نَادِمٌ وَلَا الْقَلْبُ فِي نَارِ الْغَرَامِ مُعَذِّبُ
وَقَدْ قُلْتُ إِنِّي قَدْ سَلَوْتُ عَنِ الْهَوَى وَمَنْ كَانَ مِثْلِي لَا يَقُولُ وَيَكْذِبُ
هَجَرْتُكَ فَأَمْضِي حَيْثُ شِئْتَ وَجَرِّي مِنَ النَّاسِ غَيْرِي فَالْلبَّيبُ يُجَرِّبُ
لَقَدْ ذَلَّ مَنْ أَمْسَى عَلَى رَيْعٍ مَنَزِلٍ يَنُوحُ عَلَى رَسْمِ الدِّيارِ وَيَنْدُبُ
وَقَدْ فَازَ مَنْ فِي الْحَرْبِ أَصْبَحَ جَائِلٌ يُطَاعِنُ قِرْنًا وَالْغَبَارُ مُطَنِّبُ
نَدِيمِي رَعَاكَ اللَّهُ قُمْ عَنِّي لِي عَلَى كُؤُوسِ الْمَنَايا مِنْ دَمٍ حِينَ أَشْرَبُ
وَلَا تَسْقِنِي كَأْسَ الْمُدَامِ فَإِنَّهُ يَضِلُّ بِهَا عَقْلُ الشُّجَاعِ وَيَذْهَبُ

ماذا تعرف عن أديب الفقهاء وفقهه الأدباء ؟

علي الطنطاوي ..

إنه أديب الفقهاء وفقهه الأدباء ، ملك البيان في العصر- الحديث ، خفف إرثه العلمي والفكري والأدبي من وطأة فقد ، حيث لم ينقطع الوصل ولم يخمد الود ، ولم نعدم أن نجد خبراته وتعاليمه ونصائحه عند التعرض للأواء الحياة وشدتها .. كان رحمه الله سبيكة إنسانية امتزجت فيها العلم بالفقه ، وسهولة اللفظ مع عمق المعنى ، والأسلوب الشيق مع حسن البيان ، كما امتزجت فيها العلم بالتربية ، والوطنية بالأخلاق العارمة ..

مارس الرجل مهنة التدريس ، والخطابة ، والصحافة ، والقضاء ، وغيرهم من المهن ، فكانت بصماته واضحة ، في كل علم وفي كل مجال .

تقرأ له (هتاف المجد) فتشتعل جذوة العمل والنشاط في قلبك ، وتقرأ (غزل الفقهاء) فيلين قلبك كما لو أن أحدهم صب عليه الحب صبا ، وتقرأ له (الجامع الأموي) و(مع الناس) و(فصول إسلامية) و(صور وخواطر) و(بغداد وذكريات) فتعود بروحك إلى الورا ، وتنعزل عن عالمك المزعج وتتجول في شوارع دمشق وأزقة بغداد ، تشم عبق التاريخ وتمديدك إلى الياسمين الدمشقي ، وعندما تنوي الرحيل تشعر بنبض الفؤاد يسابق وسيلة النقل التي لم تكن متاحة أصلا إلا قليلا ، فتعلن سايكس بيكو ، وتحمد للخلافة العثمانية صنيعها !

كانت حياته ملهمة للمتعبين في هذه الحياة ، حيث تحمل المسؤولية صغيرا ، فقد توفي والده وهو لم يبلغ السادسة من عمره بعد ، فتحمل مسؤوليته ومسؤولية أسرته كأفضل ما يكون الرجال الأقوياء الحكماء ، وكان حبه لزوجته وبناته ،

ملهما لكل رجل رأى في الشدة أسلوباً أمثلاً للتربية ، وكان في حزنه على (بنان) ابنته الهادئة التي اغتيلت على يد عصابات الأسد لعنهم الله حينما كانت تعيش في ألمانيا مع زوجها المبارك عصام العطار ، ما يرشد عن قلب ندي ، مفعم بالحب !
كما كانت حياته حجة على العلماء والدعاء الذين ركنوا إلى الراحة ، وطبلوا للمحتل الأصيل أو المحتل بالوكالة ، فقد جاهد الرجل ضد الفرنسيين ، وكان يتقدم الجنود والجماهير ، يخطب فيهم ويلهب حماسهم ويوحد صفوفهم في معركة الشعب مع المحتل .

من بين كل البلدان التي عمل أو أقام فيها استقر الرجل بالسعودية وعمل بجامعاتها حتى أدركه الموت في عام 1992 م ، بعد حياة طويلة مليئة بالجهاد العلمي والفكري ، مخلفاً تراثاً علمياً ودعواً قل نظيره ..
رحم الله عالمنا الطيب .. علي الطنطاوي

الإنصاف عزيز

وجدت (ماكس هوركهايمر) أحد مؤسسي المدرسة الفرانكفورتية التي أنشئت في الأصل لإعادة إحياء البعد النقدي في الفلسفة الماركسية يشيد بكتابات (جوستاف لوبون) اليميني .
تستوقفني مواقف المنصفين حتى ولو لم يكونوا من بني جلدتي في وقت أو شك الإنصاف أن يتلاشى من بيننا !

العبادة المنسية ..

لما سئلت أم الدرداء رضي الله عنها عن أفضل عبادة لزوجها قالت: التفكير والاعتبار. وقبل أن يكون ذلك ديدن زوجها فهو قيمة وعبادة تعلمها من رسوله ورسولنا صلى الله عليه وسلم ، وفهمها من السياق القرآني البديع !

فلن تحيا القلوب إلا بالتفكير ، ولن ينغرس الخوف من الله إلا بالتأمل والتدبر ، ولن ندرك عظمة الكون إلا به ، ولن نرث الحكمة إلا به ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ! لعل أجهل ما تعلمته من أستاذي (المقرئ أبو زيد) أهمية التفكير والتأمل ، وعلاقته بالكون والحياة والمجتمع ، والناس !

فقد طرح سؤالا عميقا مفاده : لماذا لم يتنزل القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم وهو متلبس في مناسبات اجتماعية باعتبار أن ذلك أولى من التنزل عليه وهو بعيد عن الأعين في غار حراء ؟

فلو نزل عليه وهو في وسط قريش ، لكان أبعد عن دخول المستمسكات التي يبحث عنها الملاحدة والمستشرقون وعتاة الكفر والعناد ، لاسيما وأن منهج القرآن في درء الشبهات معروف !

فقد جاء أميا لئلا يكون في ذلك مستسمك لمن يقولون إنما تعلم ما جاء به من كتب الأولين ، وجاء من أشرف القبائل وأكرمها ، لئلا يتهم بالشعور بالنقص والدونية ، وفي موقع متوسط جغرافيا لكي لا يكون هناك حائل تقني في التحرك والانتشار بالرسالة، ونزلت عليه الرسالة وهو في عمر الأربعين دون العشرين ، وتحرم البشرية من نور الوحي عشرين سنة لئلا يقول قائل إنه فتي طائش ، لا

يدري ما يصنع ، لاسيما وأن العرب كانت تقدر السن كثيرا ، ولهذا يقال : شيخ القبيلة !

لماذا يضع نفسه في موقع شبهة خصوصا وأن الخلوة والبعد قد تجعله في مقارنة مع الكهان والشعراء الذين كانوا يذهبون في الصحراء والأماكن البعيدة ليلهمهم الجن بما استحسن من الأقوال ؟!

إن السبب الوحيد في ضوء ما عُرف من معلومات لمسألة نزول الوحي عليه في غار حراء بعيدا عن الناس ومشغولات الحياة ، يتجلى في التربية الفكرية .. إذ لم يكن الأمر متعلقا بالعبادة ، لعدم معرفة النسك ، ولم يكن متعلقا بالقراءة لأنه كان أميا !

لكن ولأن الرسالة عظيمة ، والطريق طويل ، وعسير ، ولأنه ليس كغيره من الأنبياء والرسل الذين أمروا بالتبليغ ، فقد جاء بمنهجية حياة ، وتأسيس دولة ، وتنفيذ مشروع وهذا يلزمه إلى جانب الإعداد الجسدي والتأهيل النفسي- بعد آخر يتمحور حول فكرة الأعداد الفكرية وإكسابه ملكة التأمل كي يكتمل البناء وتسهل المهمة ، فحسن تنزيل النصوص على الواقع يحتاج إلى ملكة فكرية عملاقة ! بدت تلك التربية الفكرية في ذكائه ، وفي تفهمه لواقع ونفسيات الناس ، وتنفيذ مشروعه الضخم في سنوات قليلة مع عقول لطالما عرفت بالتحجر ! تأملوا في عباقرة اليوم والأمس ، ستجدون أن التفكير والتأمل كان عنوانا بارزا في مسيرة حياتهم ..

نيوتن كمثال لم يكن أول من رأى التفاحة تسقط لأسفل ، فقد رأى ذلك ملايين البشر قبله ، لكنه هو الذي تأمل وأعمل تفكيره ، وهو الذي تحول من أغبياء زمنه لدرجة أن تمنعه أمه من الذهاب الى المدرسة فاقدة فيه الأمل إلى واحد من

عباقة البشرية بفعل التفكير والتأمل بمزرعة أخواله .. والتفكر وحده هو الذي أوصله إلى وحدانية الله من خلال خلق هذا الكون ونظامه الشمسي .. ولهذا كانت أول كلمة في القرآن (اقرأ) ولم تكن ادعو على ما في قریش من كفر وضلال ، ولم تكن جاهد على ما في واقع قریش من طاغوت يجب محاربته ، ولم تكن اعبد ولم تكن إلا اقرأ ، لأنه لن تكون دعوة صحيحة إلا بعلم والدعوة بغير علم تعد تنفيراً ، ولن يكون جهاد صحيح الا بعلم ، والجهاد بدون علم سيكون إرهاباً وإزهاقاً لأرواح المساكين ، والعبادة بدون علم ستكون عبثاً على صاحبها وابتداعاً .. على حد تعبير المفكر المغربي أبو زيد الإدريسي .

ماذا تعرف عن العلامة دراز ؟

هو الأليف المألوف ، المحب العطوف ، الذي يرشد بمحبته ، كما يبين بحجته ، رقيق العاطفة ، نبيل الإحساس ، لطيف الشعور ، مثالا للهدوء في إباء ، وللسكينة في تواضع .. أو كما قال العلامة حسنين محمد مخلوف !

يعد العلامة محمد عبد الله دراز واحدا من أنجب العقول الإسلامية والثقافية في القرن العشرين ، إذ قام يناوئ العلمانية ، والأديان التي أفسدت الخرافات والبدع ، حاملاً إلى الناس توحيداً خالصاً لم يلبث أن أشاد به عتاة الاستشراق حول العالم .. يؤسفني أن كثيراً من المصريين فضلاً عن المسلمين حول العالم لا يعرفون هذا الرجل الثوري المناضل المبدع في علوم الدين الإسلامي .. وكأنه قد كتب على علينا ألا نعرف إلا الهابطين والمنحرفين ، والشواذ !

لا أكون مبالغاً إن قلت أنه واحدا من أفضل من أنجبهم الأزهر الشريف خلال مسيرته الطويلة ، فكان رحمه الله من القلائل الذين وعوا الثقافة الغربية وتفاعلوا معها ، جامعاً بذلك بين ثقافة الشرق وثقافة الغرب ، وجامعاً كذلك بين عمق الفكرة وإشراق الروح ، في إبداع قل نظيره ..

حينما يذكر العلامة دراز ابن قرية (محلة دياي) بمحافظة كفر الشيخ نتذكر كتاب (دستور الأخلاق في القرآن) الذي أشاد به المستشرقون .. فهو كتاب لا كالكتب ، إذ يتميز بالإبداع العلمي والبحثي والعقلي ، كما يتميز بالصدق الذي يخترق القلب ويستقر فيه .. كان في الأصل رسالة الماجستير التي ناقشها في جامعة السوربون بفرنسا ، وأجبر من خلالها علماء المسيحية على الإعجاب بالقرآن !

وبلا منازع يعد الرجل على رأس أولئك الذين تصدوا لعلم فلسفة الأديان ، برز ذلك في كتابيه الماتعين (الدين) و (النبأ العظيم) ، ويعد الأخير تحفة أدبية علمية حيث

وضع فيها الرجل منهاجا جديدا في الاستدلال على أصالة الرسالة القرآنية .
كان الرجل إلى جانب علمه شجاعا لا يهاب سلطانا ، فقد كان يخطب باللغة الفرنسية
في الميادين منددا بالاحتلال الفرنسي لدول المغرب العربي ، كما كان يكتب ويندد
بالاحتلال البريطاني لمصر .. ومن أشهر خطباء ثورة 1919م .

ذات يوم اعتقلت الشرطة النازية التي كانت تحتل فرنسا مجموعة من الطلبة المصريين
الذين يدرسون بفرنسا ، فخاف الطلبة وسلموا أمرهم لله ، فما كان من دراز إلا أن
اقتحم مركز الشرطة وتكلم في قوة وشجاعة ، أمرا قائد الشرطة أن يطلق سراح
الطلبة !

العجيب أن قائد الشرطة استجاب للرجل وأطلق سراح الطلبة المصريين المعتقلين !
وذات يوم وقبل انقلاب 52 بقيادة الضباط الأحرار أرسل الرجل رسالة شديدة
اللهجة إلى الملك فاروق يحذره فيها من غضب عارم بسبب حملة المظالم التي يعاني
منها الشعب المصري ، وبعد نجاح الثورة أو الانقلاب عرض عليه الضباط الأحرار أن
يتولى مشيخة الأزهر الشريف فاشترط عليهم شرطا حتى يقبل هذا المنصب ، حيث
قال لهم تتركوني وشأني في إصلاح الأزهر ؟

فرفضوا ذلك ومن ثم فقد رفض هو الآخر .. وكانت حياته طيلة حكم عبد الناصر
ملئية بالمواقف المشرفة . بعد حياة مليئة بالعلم والإقدام والإبداع وفي مؤتمر علمي ،
وقبيل صعوده لعرض بحثه توفي الرجل تاركا للمكتبة العربية حزمة من الكتب الرائعة
مقيما الحجة على أولئك الذين نالوا حظا وفيرا من العلم الشرعي ، فقدموا الميوعة على
الشجاعة ، وكتموا العلم والبيان ، وظهروا بمظهر الجبان بعدما خانوا الله ورسوله ..
والأوطان !

رحم الله العلامة محمد عبد الله دراز

الفتوحات الإسلامية

عندما تقرأ في التاريخ الإسلامي تستشعر عظمة وأهمية الفتوحات الإسلامية .. فعندما تدرك أن جل الفقهاء في عصور التابعين وما تلاها من غير العرب (الموالي) الذين دخلوا في الإسلام بذواتهم أو بتبعيةهم لآبائهم وأجدادهم ، تحمد الله على تلك الفتوحات وتقدر جهود الصحابة الأوائل الذين ملأوا الأرض عدلاً وسلاماً وأماناً ..

فعلى سبيل المثال كان من أبرز فقهاء العراق : الحسن بن أبي الحسن ، ومحمد بن سيرين المشهور بتفسير الأحلام ، فقد أسلم أبوه سيرين على يد خالد بن الوليد أثناء فتوحات بلاد فارس .. وفقهه مكة الأول كان : عطاء بن أبي رباح ، يضاويه في المكانة مجاهد ، وسعيد بن جبير وسلمان بن يسار وكلهم من الموالى .. وكان أفضقه فقهاء المدينة زيد بن أسلم ، ومحمد بن المنكدر وناجح بن أبي نجيح وهم من غير العرب .. وأفضقه أهل قباء ربيعة الرأي وابن أبي الزناد (من غير العرب) وأفضقه أهل اليمن طاووس وابنه وابن منبه . (من غير العرب) وفقهه خراسان عطاء بن عبد الله الخرساني . (من غير العرب) وفقهه الشام مكحول (غير عربي) وفقهه الكوفة الحكم بن عتبة وحماد بن أبي سليمان (من غير العرب) وأفضقه فقهاء عصره سيدنا الإمام أبو حنيفة النعمان وأصله من غير العرب فوالده من بلاد فارس .. وهكذا لو تتبعنا أئمة كتب السنة لوجدت أنهم من المسلمين غير العرب الذين يدينون للفتوحات الإسلامية بالفضل ..

قيس ولبنى .. والأحلام المنهية

على عكس كثير من قصص الحب المتداولة في الأدب العربي كانت قصة (قيس بن ذريح) و(لبنى بنت الحباب) فريدة من نوعها ..

صحيح أنه أحبها حبا ملك عليه قلبه ووجدانه ، وتعاضم الحب في قلبه حتى أصيب بداء العشق ، وهو لمن لم يمر به ألمه أقوى من المغص الكلوي :) بكائه طويل ونياحه مرير .. فكان يهيم على وجهه في الصحاري ينشد الشعر ..

أشفق عليه سكان بلده لما بدا لهم من تدهور حالته .. نصحه أحد الأطباء أن يحاول نسيانها ..

رد عليه : لا أستطيع :) (

قال له الطبيب بل تقدر عندما تتذكر مساوئها وعيوبها وما تعافه النفس من أقدار بني آدم ، فإن النفس تنبو حينئذ وتسلو ويخف ما بها..

أنشد يقول بعد نصيحة طبيبه : إِذَا عِبْتُهَا شَبَّهْتُهَا الْبَدْرَ طَالِعاً ... وَحَسْبُكَ مِنْ عَيْبِهَا شَبَّ الْبَدْرِ

لقد فُضِّلْتُ لبني على الناس مثل ما ... على ألف شهر فُضِّلْتُ ليلَةُ القدر :

بعد قصة الحب العنيفة هذه تزوج قيس بلبنى :) لكن .. تصور الطرفان أن الحياة الزوجية خالية من المشاكل والتحديات وأحيانا العقبات ، ومن ثم لم يضعوا آلية من خلالها يتمكنوا من معالجة المشكلات الطارئة .. الذي حصل أن أم قيس غارت من لبني وافتعلت المشاكل ، وأصررت أن يطلقها ، واستمرت المشاكل حتى اضطر قيس إلى طلاق لبني !

إشفاقا على المحبين أو بمعنى أدق الذين يتصورون أنهم في قصة حب لن تتكرر ..

أولا : اتق الله فيمن تحب .

ثانيا : الحب الحقيقي هو الذي يستمر حتى مع فقدان أحد طرفي العلاقة !

ثالثا : الحب الحقيقي هو الموجه للروح والجسد وليس الجسد فقط ، فالأخير

سيدور الزمن عليه دورته ، وربما تشوه في حادث من حوادث الزمن !

رابعا : الحب الحقيقي لا ينبني على عاطفة بحتة ، بل يجب وضع قليل من العاطفة

على العقل حتى يلين ، مع ضرورة وضع قليل من العقل على القلب حتى يستقيم ،

حتى لا ينهار الحب عند أول اختبار ..

خامسا : الحب وإن كان ظاهره أنه حالة بين طرفين فقط ، لكن ثمة مؤثرات

خارجية تلعب دورا كبيرا في تعزيزه أو إفشاله ، وفي غالب الأحيان تكون قوة هذه

المؤثرات أقوى ! فعند أول دقة لقلبك ، قف بعقلك واحسبها وانظر في التبعات ،

هل المستوى الاجتماعي مناسب ، فضلا عن المستوى الثقافي والعلمي والعمرى مع

العلم أن لكل قاعدة استثناء ؟ وذلك حتى لا تتورط في طريق وخيمة عواقبه !

تخبروا المعلم الأول

لم أنس القيم التي علمني إياها معلمي الجليل الشيخ فاضل السعيد رحمه الله رحمة واسعة ، وكان من بينها قيمة عظيمة لم أزل أتذكرها حتى بعد مرور أكثر من 25 سنة . كان المتعارف عليه في الأزهر الشريف ، أن هناك أكثر من ثلاثة حصص من بين الست حصص لمدرس القرآن الكريم وحده ، فكان الشيخ فاضل يقسمها إلى ثلاثة أجزاء ؛ جزء لتسميع ما قرأه علينا في اليوم السابق ، وجزء لقراءة اللوح الجديد ، وجزء لاسترجاع ما فات حفظه من القرآن كله .. وفي الصف السادس الابتدائي الذي من المفترض أن يكون نهاية عهدنا بالشيخ .. ذلك أنه لن ينتقل معنا إلى المرحلة الإعدادية فكان يعتمد إلى توصيل أكبر جملة من القيم الحياتية لنستفيد بها في كافة أمورنا .. حتى ونحن في هذا السن الصغير !

فاستغل حصة المراجعة وقال : من يجب على هذا السؤال فسوف أمنحه جائزة كبيرة !

هنا اشترأت أعناق الحضور ، وكل يتطلع لنيل الجائزة التي كانت تؤرق النفس من فرط السعادة !

فقال : اشتريت كيلو من (البرقوق) أنا وأحد أصدقائي ثم وضعناه بيننا ، وشرعنا في الأكل ، فكان صديقي يأكل بسرعة فالتهم كل الطبق ولم يتبق لي إلا حبة أو حبتين ، من يدفع ثمن الفاكهة ؟!

أذكر أن غالبية الفصل تقريبا أجاب بأن من أكل أكثر يدفع الثمن ، وقللة قالت يدفع الجزء الأكبر من أكل أكثر ويشارك بمبلغ بسيط من أكل حبة أو حبتين !

فنظر إلي وهو مبتسم ففهمت منه كيف تكون إجابتي !

فقلت يدفع الثمن من أكل حبة أو حبتين لأنه هو الذي استلذ بالطعم وتذوقه ،
على خلاف الذي كان كل همه أن يلتهم الطعام غير مبال بالتذوق والاستطعام ،
فضحك الرجل وأدرك أن مجهوده طيلة السنوات الماضية لم يذهب هباءً..

يظن كثير من المعلمين أن الطلاب في المرحلة الابتدائية أقل من أن يصل إلى
أفهامهم قيما عظيمة كالتي أوصلها إلينا معلمنا الشيخ فاضل ، على أن هؤلاء
مخطئون خطأ كبيرا ، فجل القيم الأصل أن تصل في هذا السن المبكر ..

يبقى أن يعلم كل معلم أن ما زرعه وما سيزرعه من خير باق له في الدنيا والآخرة !
لم يكن معلما عاديا ، بل كان مربياحنونا ، يعلمنا قيما حياتية ، وينقل لنا
خبراته ونحن في سن صغير .. ذات مرة حدث شغب شديد في الفصل فقرر معاقبة
كل التلاميذ ولما جاء الدور علي امتنعت عن مد يدي ، فسحبني من يدي خارج
الفصل بعيدا عن الطلاب وقال لي وهو واضع يده على كتفي : مش عشان عزمك
امبارح عندي في البيت على الغدا يبقى أميزك عن بقية التلاميذ ، ادخل وافتح
إيدك زيك زي زملائك !

وبالفعل دخلت ومددت يدي فلم أشعر بألم الخرطوم المصبوب الذي كان ينزل على
اليدين كما لو أن أحدهم دق مسمارا فاخترق العظام !

كان رحمه الله ذو هيبه ، هابه كل من رآه ، ومع ذلك كان يحمل روحا طيبة ، خفيفة
الظل ، يداعب طلابه ، ويستقبلهم في بيته ، فأخرج أجيالا صالحة في أغلبها ،
حافضة لكتاب الله عن ظهر قلب ، تحاول أن توقر العلماء وتقدر آراء الآخرين ..

فَاللَّهُمَّ كما أكرمنا وعلمنا وربانا فأكرمهم وعاملهم بما أنت أهلهم ولا تعاملهم بما هو
أهلهم واجزه عن الإحسان إحساناً ، واملأ قبره بالرضا والنور والفسحة والسرور.

الفطرة السليمة تتقدم!!

من خلال مناقشاتي وحواراتي مع كثير من الناس ترسخت عندي قناعة أن المؤهلات العلمية الرفيعة لا تعني بالضرورة أن يكون صاحبها أقرب للحق والأسرع في الوصول إليه.. فمعرفة الحق والدفاع عنه والوقوف بصفه أمور مردها إلى الفطرة السليمة لا الشهادات العلمية الرصينة!

إن التعلم مع الجمال يكون أسرع!

من أعجب ما سمعت في نقد الإمام محمد عبده رحمه الله أنه كان (نسوانجي) وربما ذلك الاتهام جاء نتيجة جهل هذا الشيخ غير المصري بطبع الأزاهرة (خريجي الأزهر الشريف) الذين يحبون المزاح ، ولهم طريقتهم الهزلية في تناول الأمور ، وأكثرهم مشهور بخفة دمه ..الذي حصل أن الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله لاحظ وهو في فرنسا مع الشيخ محمد عبده أنه يختفي في ساعة محددة من كل يوم ، فتتبعه فوجده جالسا مع فتاة فرنسية شقراء ، فسأله من هذه . فأجابه الشيخ : إن تعلم اللغة مع الجمال يكون أسرع !

يقصد الإمام أنه يتعلم اللغة الفرنسية على يد هذه الفتاة في مكان عام ، فصار مزجه شاهدا عليه عند من لم تسعفه قدراته ، فيسارع باتهام الناس بكل نقيصة ! من الأمور التي لاحظتها على الفيس بوك وهي مستغزة في الحقيقة ما يخص تعليقات البعض الحادة للغاية وهو يجهل طبيعة الشخص واتجاهه الفكري والأيدولوجي ولا يدري شيئا عن حالته النفسية ومزاجه العام وطبيعة مزجه وهزله وجده فيسارع باتهامه بأمور غير صحيحة ، من نوعية التفریط في الثوابت والانحراف في العقائد ، وما إلى ذلك من أمور ملتبسة على الشخص المعلق في الأصل ..

روحيه جارودي.. فيلسوف الإسلام

روحيه جارودي .. أو رجاء جارودي !

للمتيمين بالحضارة الفرنسية ، والمغرمين بالشيوعية ، والمفتونين بالماركسية ، والمكسوفين من إسلامهم ، والمفرطين في صلاتهم .. عليهم أن يطلعوا على سيرة هذا العملاق الذي طلق البروتستانتية ، والشيوعية والماركسية وأحب الإسلام واعتنقه على الرغم من أن أبويه كان أحدهما ملحدا والآخر كاثوليكيًا !

في تصوري أن جارودي لا يضاهيه أحد من المفكرين في العصر- الحديث لا في علمه ولا في ثقافته ولا في فكره الفلسفي المنافع عن قضايا الإسلام إلا علي عزت بيجوفيتش ..

وأولى سيرته أن تكون وجبة دسمة على موائد التربية كشأن كل العظماء ، ففيها تتجلى قيمة التفكير والتأمل ، وتحدي الصعاب ، ودليل على جمال هذا الدين ! ترك الإلحاد وترك الكاثوليكية واعتنق البروتستانتية ، وعين لاحقاً رئيساً للشبان المسيحيين البروتستانت في فرنسا !

ولتعمقه في الفكر الماركسي أصبح قيادياً بارزاً للتنظيم الشيوعي في فرنسا ودول أوروبا كلها ..

أسر الرجل في الحرب العالمية الثانية وسجن بأحد سجون الجزائر ، وتأمل في حياة وسلوكيات المجاهدين الجزائريين في السجن فأحب الإسلام وانجذب له !

فكم نعمة حسبناها نعمة ، وكم من خير مؤجل حسبناه شراً ؟!

لقد كان هذا السجن الذي يشبه القبر مكان ولادة جارودي فرؤيته لسلوك بسيط من أحد المساجين دفعه لاحقاً إلى الإيمان !

من بين كل العبادات والشعائر الإسلامية تأثر الرجل بالصلاة ، وطقوسها ، وهيئتها ، فتشابه في ذلك مع اليهودي زكي عريبي الذي تحدث عنه أمس ، ومن بين كل الشخصيات الإسلامية تأثر الرجل بعلي بن أبي طالب ، ومن بين كل الأديان والتيارات تأثر الرجل بالإسلام حتى قبل أن يعتنقه بسنوات طويلة ، وعقله مشبع بالأفكار المسيحية والشيوعية !

لقد كتب الرجل كلاما عن الصلاة قبل أن يسلم بعشر- سنين في كتابه الرائع (المسجد مرآة الإسلام) قل أن تجد نظيرا له في الطرح الرزين ، غاية في الجمال والرقى ، ينبئنا عن عقل متأمل ، يقظ ، مبدع ، مفكر !

في هذا الكتاب تطرق الرجل إلى فكرة انعكاس عقيدة التوحيد على الشكل الظاهري للمسجد ، بخلاف عقيدة التثليث مثلا ، في تحليل عجيب رائع .. فيشير إلى أن كل المساجد في اتجاهها للقبلة ترسم دوائر كبيرة حول الكعبة المطهرة ، وكلما ابتعدت عن الكعبة اتسعت الدوائر ..

يا ترى ما هو شعور المسلم في هذه اللحظة تحديدا وهو مصطفى ويدرك أنه مكمل لصفوف أخرى في بقعة جغرافية أخرى لا بحار أو أنهار أو صحاري تقطع هذه الصفوف ليمثل في الأخير دائرة تشبه خط الاستواء أو الخط المداري ..

إنه لشعور عظيم أن تدرك أنك كمسلم لبنة في بناء شاهق عظيم يتناغم مع نواميس الكون ، وتشعر روحك أنها مستجيبة لرب الكون ومدبره ، وأن الركع السجود مثلهم مثل الطيور يرتفعون وينخفضون في تماهي تام مع الطبيعة ، فهم إذ ينتصبون كانوا كالجبال ، وهم إذ يركعون ويسجدون كانوا مثل النجوم وأمواج البحر ، وهم إذ يرفعون رؤوسهم من السجود كانوا كبقية الكائنات الحية حين ترفع رأسها لمصدر حياتها !

لقد كان الرجل يتساءل دائما : هل يدرك المسلمون أنهم وهم واقفون بين يدي ربهم في الصلاة أنهم متجهون بهذا الشكل الدائري إلى مصدر واحد ؟ ما يرمي إلى الوحانية !

لاشك أننا أمام لوحة تشكيلية رائعة لو تأملناها ..

له أكثر من دكتوراة في النظرية المادية في المعرفة والحرية وله أكثر من مؤلف أشهرها كتاب : (هل نحن بحاجة إلى الله) ، (حوار الحضارات) ، (نداء إلى الأحياء) ، (وعود الإسلام) ، (الإسلام يسكن مستقبلنا) ، (مبشرات الإسلام) ! وللرجل مواقف رائعة تعكس نضاله ضد الصهيونية العالمية ، والهيمنة الأمريكية على العالم ، وألف في ذلك كتباً منها : (أمريكا طليعة الانحطاط) ، (المأزق الإسرائيلي) ، (الإرهاب الغربي) ، (حفاروا القبور) ، وغيرها من الكتاب التي تندد بالانحرافات الأمريكية والصهيونية !

ومع عظمة هذا الرجل إلا أنه كانت له بعض الأفكار الفلسفية التي جعلت بعض علماء المسلمين (الذين يدعون أنهم سلفيين) ينهشون فيه ويتهمونهم بالضلال والانحراف العقدي والسلوكي .. وقد يعذر بعضهم لجهله بعلوم الفلسفة والأدب التي تظهر النص على غير حقيقته ، ولم تؤكد على المعنى المقصود تحديداً ، كشأن الذين نالوا من العملاق سيد قطب رحمه الله ، ولم ينصفه إلا العلامة الفقيه الغزالي رحمه الله !

لو ظل على دينه وأفكاره الشيوعية لشيدت له فرنسا تمثالاً ، ولجعلت سيرته في المقررات الدراسية .. لكنه مات على الإسلام بين المسلمين الذين لم يعرفوا بعد كيف يمجدون رموزهم ،، يكفيه أن الله مطلع على خبايا النفوس .. رحم الله جارودي !

زكي عربيي .. عميد اليهود في مصر !

تصح سيرته وتجربته أن تكون وجبة دسمة على موائد التربية في كل بيت إذ أنها مليئة بالجمال ، وتعكس قيما راقية نفتقر إليها ! أحب اللغة العربية حبا ملك عليه فكره ووجدانه ، فتولدت لديه ذائقة أدبية عالية ، ومن ثم وجد في سماع القرآن حلاوة الرنين وجرس الصوت ! لم يكن من بين أبناء الجالية اليهودية في مصر الأكبر سنا ، والأكثر مالا ، والأعلى حسبا ونسبا ، ومع ذلك عين عميدا للجالية اليهودية ، فلنبوغه وحكمته ، وسعة علمه ، اخترق الرجل الأعراف ، وتولي العمادة !

هذا الأذان الذي نسمعه يوميا ، ولا يؤثر فينا كان للرجل كان يصنع بالرجل الأعاجيب ، وهذه الصلاة التي نصطف فيها صفوفًا خلف إمام كانت تمثل للرجل لوحة بديعة تضاهي في جمالها أرقى لوحات ليوناردو دا فينشي ، وأجمل رسومات فينسينت فان جوخ ، إذ كان هذا المنظر يلهب مشاعر الرجل ، وتلتهب أكثر حينما يرى رجلا متواضع السميت يقف بين يدي الله بثياب رثة مهلهلة يقف على فرشاة من الحصير تجاور شاطئ ترعة متواضعة ، ويصلي لله في خشوع وابتهاال، فكانت نفس زكي تهفو إلى الصلاة مثله !

دخل كلية الحقوق التي أتاح له التعرف على الإسلام مقارنة بالقوانين الرومانية والوضعية الأخرى ، وتخرج وأصبح محاميا مرموقا . وفي الوقت الذي نرى فيه قضاة مصر يتلعثمون في نطق آية واحدة من القرآن وهم من المفترض مسلمون ، كان زكي عربيي وهو المحامي اليهودي يقف في ساحة المحكمة يترافع مستشهدا بآيات القرآن الكريم ليس ذلك فحسب ، بل كان يقرأ الآيات قراءة صحيحة بنطق صحيح ، لا شائبة فيه وكأنه متضلع في علم التجويد ، ولا يلحن لحنا واحدا ، بل تخرج الآيات

من فيه بقوة وبلاغة وفصاحة قل نظيرها . ولنبوغه قرر جمال عبد الناصر أن يعينه ضمن اللجنة التي كلفت بتعديل دستور 56 .

للرجل محاضرة شهيرة تحت عنوان (لماذا أسملت) قال فيها كلاما رقيقا عن جمال هذا الدين ، ومن ضمن ما قاله : كان بمقدوري أن أخفي إسلامي واحتبس عبارة الشهادة في غرف مغلقة ، ولكني آثرت أن أجهر بكلمة التوحيد رغم يقيني أن بني جلدتي لن يتركوني سالما ، عاكسا بذلك شجاعة من امتلأ قلبه بالإيمان ، والإذعان .
أعلن الرجل إسلامه في شهر إبريل ولعله يؤكد بذلك أن شهر إبريل لم يكن شهر الأكاذيب بل شهر الصدق والإيمان !

وبمجرد إسلامه قال أمام الدنيا كلها في إشارة إلى أن الإسلام لم ينتشر- بالسيف كما يروج المستشرقون : الإسلام هو الديانة الوحيدة التي تنظر إلى الناس على أنهم ينتمون إلى أب واحد وأم واحدة، وأن جميعهم في الإسلام عند الله تعالى سواسية فقيرهم وغنيهم خفيهم وأميرهم ولا يفضل أحدهم على أخيه إلا بمقدار طاعته لله تعالى، إذ كل هؤلاء يقفون في الصلاة في صف واحد لا يتقدم فيه أحد على أحد !

تجدر الإشارة إلى أن العملاق زكي عريبي قد ولد في القاهرة عام 1895 م بحي بولاق ، نال تعليمه في المرحلة الابتدائية بمدرسة عباس بالسبتية والثانوية بمدرسة حلوان ثم دخل كلية الحقوق وتخرج منها ليصبح واحدا من أشهر المحامين في مصر .

كان عضوا في لجنة صياغة "دستور 1956 ، وعضو الوفد المصري في مباحثات إلغاء الامتيازات الأجنبية كما كان عميدا لليهود في مصر قبل إسلامه في إبريل 1960 عن عمر يناهز الـ (65) عاما .

العلوم المنسية !!

إحدى أهم مشكلاتنا في تصوري ونحن نتعاطى مع الواقع السياسي المعقد أننا نحلل في النتائج دون الخوض في مسببات المشكلة ، فنضيع بذلك جهدا كبيرا ، دون فائدة !

توصيف المشكلة من الناحية العلمية بعيدا عن البعد عن منهج الله الذي ارتضاه لعباده برأي اجتماعي قبل أن يكون سياسي ، ولهذا أرى أن المجتمع الذي يعظم من قيمة العلوم الإنسانية وعلى رأسها علم الاجتماع هو مجتمع قوي يدرك حقائق الأمور ، أما المجتمع الذي يعظم من العلوم الطبية على حساب العلوم الإنسانية فهو مجتمع مريض لأنه لم يضع حدا لمسببات مرضه من الأصل ..

في تصوري لن نصل إلى واقع سياسي رشيد تتجلى فيه القيم السياسية الأصيلة، ويحظى فيه المواطن باحترام وحرية إلا من خلال إيجاد مجتمع قوي ، معروفة ملامحه ، تملك نخبته معرفة بظواهره وبنيته ، وطبيعة العلاقات بين أفرادها ، وإدراك كامل لأسباب تأثير الفرد في المجموع والعكس علاوة على معرفة بأنماط السلوك الذي يحدث بين البشر في ذلك المجتمع ..

علم السياسة نفسه خرج من رحم علم الاجتماع ، وعلم الاجتماع خرج من عباءة علم الفلسفة ، حيث كان حلم إيجاد مجتمع مثالي يراود أفلاطون الفيلسوف اليوناني ؛ فأعمل عقله وعصف ذهنه وخرج بمجموعة من الآراء والتصورات حول كيفية احتواء هذا المجتمع المثالي جمعت في كتاب تحت عنوان (الجمهورية) لتكون مدخلا للسياسات الذي يضم هذا المجتمع الذي ينعم أهله بالعدل والمساواة ، وتترف فيه الفضيلة ..

كانت بأفكار أفلاطون كثير من المبالغات ، حتى جاء تلميذه أرسطو ففلترها في كتابه (السياسة) ، وجعلها مبادئ أقرب للواقعية ، وهكذا توالى اجتهادات علماء الفلسفة والاجتماع بدءا من أفلاطون وأرسطو مروراً بالفارابي وابن خلدون وأجست كونت واميل دوركايم الفرنسي وصولاً لعلماء عصرنا لتأطير الأطروحات الاجتماعية تأطيراً منهجياً علمياً يراعي معطيات الواقع للخروج بحلول للمشكلات المرصودة .

العالم المتقدم محصن بوجود مؤسسات المجتمع المدني ، ولن تقدر حكومة من حكومات الغرب أن تتفادى ردات فعل تلك المؤسسات بل تحسب لها ألف حساب ، وكليات القمة في بعض تلك الدول هي الكليات التي تندرج تحت بند (العلوم الإنسانية) بل إن تخصص علم الاجتماع الذي لا قيمة له في بلداننا المتأخرة من أهم الأقسام لديهم ، والأعجب أنه يتفرع منه علوم أخرى كعلم الاجتماع التربوي ، وعلم الاجتماع الديني ، علم الاجتماع السياسي ، علم الاجتماع القانوني ، علم الاجتماع الجمالي ..

مشكلات الطلاق الذي وصلت نسبة لأرقام قياسية ، والتشتت الأسري ، وهروب الأبناء ، وتعاطي المخدرات ، وانتشار الإلحاد ، وغيرها من المشكلات الاجتماعية أخطر على المجتمع من حاكم مستبد .

مفارقات

النجاح في العمل المهني ليس دليلا على رجاحة العقل وسلامة منطق الشخص ،
 فرييس شركة تويوتا للسيارات حقق نجاحا مهنيا يصعب أن توصفه الكلمات
 وساقه عقل لأن يعبد شجرة ..

والمتنبى الشاعر الذي لم تعرف العرب مثله في نظم الشعر كان متملقا إن مدح
 فوجد مالا رضى وإلا سخط وهجا ، فكان يقتات على النفاق ، وكذلك كل علماء
 الذرة الذين يعبدون البقرة في الهند ، وعلماء التقنية الذين يعبدون بوذا في اليابان ،
 وعلماء كافة المجالات في الصين وتايوان !

آفة كثير من الناس أنهم يعتبرون نجاح المرء في شأن من شؤون الدنيا دليل على
 صحة المنهج وسلامة القول في مختلف مناحي الحياة ..

محمد أسد .. (ليوبولد فايس)**كل الطرق تؤدي إلى مكة**

من يتأمل سيرة هذا الرجل يدرك أن دين الإسلام منصور، وأهله ظافرون ولو بعد حين! أن يأت رجل نمساوي يهودي من عائلة (فايس) العريقة، ابن المحامي اليهودي الشهير (كيفا)، ابن الحاخام بينيامين فايس، أن يأت رجل من إمبراطورية كبيرة كالنمسا، ويقرر أن يدخل في دين الإسلام، متحديا الأعراف والتقاليد، ضاربا بتاريخ عائلته عرض الحائط، لا يبالي، ويقرر ذلك في وقت كانت تعاني فيه البلدان الإسلامية من ضعف وتقهقر، ذلك أن جل دول العالم الإسلامي في ذلك الوقت كانت قابضة تحت نير الاحتلال، وأحوال لا تغري أبدا بدخول أصحاب الحضارات العريقة المنتصرة في دين أصحاب الحضارة التي يبدو للنناظر أنها في الرمق الأخير.. أن يحدث ذلك كله فإننا بلا شك أمام دين يتماشى مع الفطرة، ولا تصطدم شعائره وفرائضه مع المنطق القويم والعقل السليم، كما أننا أمام طبيعة سوية مستعدة كل الاستعداد لمعرفة الحق وقبوله ومعرفة الباطل ورفضه، فطرت الله التي فطر الناس عليها! أسلم الرجل.. وفور دخوله الدين الجديد أدرك أن خيركم خيركم لأهله فما هي إلا أيام وأقنع زوجته بالإسلام فأسلمت.. ترك بلاده متجها إلى صحراء جزيرة العرب، ولم يفكر في كتابة مذكراته، إلا بعد أن دخل في نقاش حاد مع صديق له من الولايات المتحدة الأمريكية، فاقترح عليه صديقه هذا أن يدون تجربته في كتاب ليطلع عليها الناس، ويكون لهم الحكم، فشرع في ذلك بالفعل بعد مرور أكثر من 25 سنة على إسلامه، تاركا للمكتبة العربية والإنجليزية والألمانية والهولندية والسويدية

والفرنسية كتابا غاية في الرقي والأدب ، فالرجل لم يعرف عنه أنه انشغل بالأدب والرواية ، غير أن الكتاب الذي ألفه الرجل تحت عنوان (كل الطرق تؤدي إلى مكة) الذي قدمه الرجل عبد الوهاب باشا عزام عملاق الفكر والثقافة من الكتب التي تأخذك إلى عالم آخر ، تستشعر معه عظمة هذا الدين ، وروعته ! من أفضل ما قام به (ليوبولد فايس) .. أو محمد أسد مساهمته في إنشاء دولة باكستان التي انفصلت لتوها عن شبه القارة الهندية كتفا بكتف مع المفكر والأديب محمد إقبال ، حيث عمل الرجل مديراً لدائرة إعادة الإعمار الإسلامي ، ثم التحق بوزارة الشؤون الخارجية رئيساً لوحدة شؤون الشرق الأوسط عام 1949 ، ثم تقرر تعيينه بمنصب مبعوث باكستان إلى الأمم المتحدة في نيويورك عام 1952. كذلك من أفضل ما قام به زيارته التي لاقى فيها الأهوال والصعاب إلى المجاهد الليبي عمر المختار ، ليشد من أزره في مقاومة الاحتلال الإيطالي وليبحث معه طرق تمويل المقاومة. كان الرجل قلقا دوما من الفجوة الواسعة بين واقع المسلمين المتخلف وبين حقيقة هذا الدين الرائع ، فاجتهد في أن يترك بصمة تشهد له أمام الله أنه حاول ؛ فألف منهاج الإسلام في الحكم ، الإسلام على مفترق الطرق ، ترجمة وتعليقات على صحيح البخاري ، رسالة القرآن ، كما ترجم القرآن للإنجليزية ، وقضى جزءا من حياته يناقش انحرافات اليهود ويثبت للغرب أن الإسلام ليس فلسفة ولكنه منهاج حياة.. ومن بين سائر الأديان فالإسلام وحده يعلن أن الكمال الفردي ممكن في الحياة الدنيا، ولا يؤجل هذا الكمال إلى ما بعد إماتة الشهوات الجسدية ..

زينب عبد العزيز .. الفنانة المقاتلة

حري بكل امرأة مشوشة أن تقرأ سيرتها لتدرك أن إبداع النساء لا يقل أبداً عن إبداع الرجال ، وحري بكل أسرة أن تتناول سيرة الأستاذة والأكاديمية والمجاهدة الفكرية على موائد التربية ، وحري بكل مؤسسات التنشئة والتعليم أن تعرض سيرتها في المقررات ، بدلا من الخزعبلات ، التي زعزت الانتماءات ، لنقدم للأجيال قدوة صالحة طيبة .. لم تمنعها هوايتها ودراستها الأكاديمية في الفن والرسم التشكيلي أن تدافع عن دينها في كل محفل ، وتقاتل بقلمها ، وتجاهد بعقلها ، في معركة الوعي المحتدمة شأنها شأن العظماء الكبار .. لا أدري تحديداً ما الذي غير مجرى حياتها بهذا الشكل ، لتتحول من إنسانة منشغلة بالفن والرسم ، والتعرض لشخصيات فنية من أمثال فولتير فتؤلف كتابا تحت عنوان " فولتير رومانسيا " وغيره من الكتب التي تعكس شخصية مولعة بالفن وكأنه حياتها ، لدرجة أن رسالة الدكتوراه التي ناقشتها في جامعة السوربون بفرنسا كانت تحت عنوان (النزعة الإنسانية عند فان جوخ) ، وتجوب معارض العالم بلوحاتها الفنية .. كيف تحولت هذه الشخصية الفنية التي تربت في كنف الحضارة الفرنسية ، وقضت معظم وقتها بين لوحاتها ، ومعارض العالم الفنية إلى مقاتلة شرسة في معركة الدفاع عن الهوية الإسلامية .. ذات مرة حضر المستشرق الفرنسي جاك بيرك إلى مصر- للمشاركة في ندوة وعرض من خلالها ترجمته للقرآن بالفرنسية ، وكانت الدكتورة زينب حاضرة في تلك الندوة ، وهي الخبيرة في اللغة والحضارة الفرنسية ، وما أن قلبت في صفحات القرآن المترجم إلا والذهول يسيطر عليها ، فارتفع صوتها في وجه بيرك متهمة إياه بتشويه النصوص القرآنية ل يبدو

القرآن خاليا من النفحات الروحية التي تميزه .. على الفور ذهبت إلى بيتها وشرعت في ترجمة جديدة للقرآن باللغة الفرنسية تعالج التشوهات التي أحدثها بيرك في ترجمته ، فخرجت بعد عشر سنوات ترجمة هي الأفضل على الإطلاق بشهادة المتخصصين .. وأثناء بحثها علمت أن من يقف وراء ترجمة بيرك هو الفاتيكان ، وبمزيد من البحث والتنقيب أدركت كم المخططات التنصيرية على حين غفلة من المسلمين ومؤسساتهم الرسمية ؛ فشرعت في تأليف عدد من الكتب لعل أبرزها : ترجمات القرآن إلى أين ، وجهان لحاك بيرك ، الفاتيكان والإسلام ، تنصير العالم ، المساومة الكبرى ، هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة ، الأصولية و الحداثة ، حملة المنافقين الفرنسيين وغيرها من الكتب .. ولم تتوقف عند ذلك ، بل شرعت في التعريف بما يحاك للمسلمين من مؤامرات عبر طريق الفن من خلال مؤلفها (لعبة الفن الحديث بين الصهيونية وأمريكا) وفيه أثبتت بالأدلة العلمية دور الفن في هدم هوية الأمة الإسلامية ، وتبين لها بالطريقة العملية أيضا حينما منعت لوحاتها في كل دور العرض حول العالم على الرغم من المهنية والحرفية العالية التي تتمتع بها .. تجدر الإشارة إلى أن الدكتورة زينب عبد العزيز ما زالت على قيد الحياة وهي تبلغ من العمر الآن 84 عاما ، والعجيب أنها لازلت في مكتبها تقضي الساعات الطوال في البحث والكتابة والتأليف والتحرير .. متعها الله بالصحة والعافية .

أتريدون أن تضربي كل يوم !

بينما انهارت أمها عند سماع الخبر الذي نزل عليها كالصاعقة كانت إجابة والد (ماري ويلز) مختصرة في جملة واحدة: أتريدون أن تضربي كل يوم !

ماري ويلز ، فتاة بريطانية من سكان لندن ، عاشت في كنف أسرة كاثوليكية عريقة ، مدللة لحد كبير؛ فهي الابنة الوحيدة لأبويها ، حصل لها موقف وهي في الثانوية غير مجرى حياتها للأبد ، وصارت قصتها مضرب المثل في ماذا يمكن أن يصنع التأمل بالإنسان ، ومقياسا ربما للحس التأملي لدى المراهقين والمراهقات !

لقد ماتت جدتها التي كانت تمثل لها شيئا كبيرا ، إذ كانت المربية الحقيقية لها ؛ فالوالد والوالدة منشغلان بالسعي على الرزق في مفرمة الرأسمالية ، ولهذا كانت ماري تجد السلوى والأنس مع جدتها وقطتها وزهرتها ! يشاء القدر أن تموت جدتها وتلحقها قطتها في نفس الشهر تقريبا ، وبدخول الخريف تموت أيضا زهرتها ، فبدت تعيسة حزينة نائمة على كل ما حولها ، غير أنها حولت تلك الطاقة السلبية إلى طاقة تأمل وبحث عن الإجابات الكبرى لأسئلة أكبر ؟ لماذا يخيم الموت على كل شيء جميل حولنا ، وما معنى الحياة أصلا إذا كان الموت يتربص بنا في كل لحظة ؟! وفي زمن يخلو من انترنت ، شرعت في البحث عن إجابة لتلك الأسئلة ، فقرأت في البوذية ، واليهودية وغيرها من الأديان لكنها لم تجد جوابا في كل ما قرأت .. وذات يوم ، وبعد أن خرجت من المدرسة تمشي في شوارع لندن هائمة على وجهها ، رأت مسجدا فأدركت أنه مكان عبادة المسلمين ، فدفعها فضولها للدخول ، العجيب واللطيف في نفس الوقت أن هذا المسجد كان لأتباع الطائفة القاديانية ، المنحرفة في العقائد والسلوك ، فهم ينكرون أن محمدا خاتم الأنبياء ، ويعتبرون

أن أحمد غلام القادياني نبي مرسل ، ناهيك عن علاقاتهم بأجهزة المخابرات البريطانية ، لكن اللطيف أنهم أعطوها نسخة من القرآن .. توقفت ماري عند قول الله تعالى : (تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) ، تلك السورة التي أمرنا أن نقرأها كل ليلة فهي الواقية والمنجية ، تلك السورة التي لم نتوقف عندها كثيرا وربما قليلا .. أسلمت ماري ويلز وألفت كتيبا صغيرا تحت عنوان (رحلتي من المسيحية إلى المسجد .. لماذا ؟) والذي يعد من الكتيبات الصغيرة في الحجم الكبيرة في القيمة .. أنصح بقراءته .. وفي عيد مولدها الثامن عشر- أخبرت أبيها بقصة إسلامها فانهارت أمها ، بينما قال لها والدها : أتريدين أن تضربي كل يوم ؟ لعله رأى مسلما يضرب زوجته يوما ، أو علم أن في دستور المسلمين آية تقول (واضربوهن) فترسخ في ذهنه أن هذا هو الإسلام ! يقال أن سلوك ماري المستقيم ، وروحها المفعمة بالأمل ، وعقلها المفعم بالحكمة أجبر والديها على الدخول في الإسلام ، وتتحول العائلة من كاثوليكية عريقة إلى مسلمة تدين بدين الإسلام ، الذي يؤمن بنبوة عيسى كما يؤمن بنبوة محمد .. الذين يضربون زوجاتهم مهما كان السبب .. ألم يدر في خلدهم أنهم يشوهون الإسلام ؟ الذين لديهم أعظم كتاب ، وأعظم لغة ، وأعظم دين .. هل تقدررون ذلك وتدركونه بالفعل ؟ الذين يقومون على مناهج ومقررات التعليم في بلادنا .. هل تؤمنون حقا أن تنمية ذائقة الحس التأملي أفضل بكثير من مقرراتكم التي لا تخلو من حشو ؟ الذين يعيشون في الغرب..هل تدركون كم أنتم مقصرون في الدعوة بالسلوك والقودة الحسنة .

سورة النساء!!

بحث في مسألة تكريم الإسلام للمرأة فما رأيت أبلغ من أن يكون لها سورة من سور القرآن (النساء) ، وتبدأ الدعوة المحمدية في حجر امرأة (خديجة) وتنتهي على صدر امرأة (عائشة) !

مقى تموت الأمم ، ويحصل للحضارات أقول !

عندما يحدث الانغلاق الفكري ، ورفض الآخر على اعتبار أنه ملحد أو كافر أو مشرك وما إلى ذلك من مسميات ! موقفنا كمسلمين عدم الذوبان في حضارات وثقافات الآخرين ، وعدم الرفض ، بل الانفتاح عليهم ، مع السعي للتفوق عليهم علميا وفكريا ذلك أن ديننا الإسلامي لا يقوم إلا على التعايش مع الآخر والانفتاح على الجميع بروح لا استعلائية ، ولا انهزامية .. ولذلك يقدم القرآن الكريم درسا بليغا في مسألة أن الانفتاح مكون رئيس من مكونات الهوية إذ يستخدم في أجزائه الثلاثين ما مقداره 10 ٪ فقط من أجمالي مفردات اللغة العربية ، ويعتمد إلى استخدام عشرات بل مئات المفردات من تسع لغات عالمية !

لم يكن عمر رضي الله عنه مبتدعا حينما استورد من الفرس علوم الإدارة ، ولم يكن العرب الأوائل منهزمين نفسيا حينما عربوا كتب اليونان وغيرهم من أمم المعمورة ! بل انهزمنا وتدهورنا حينما تسلط علينا (دعاة السلف) الذين لم يستوعبوا سنن الله في الكون وراحوا يدمرون معالم حضارتنا ببهل .. مرصد اسطنبول .. واحد من أهم وأكبر المراصد الفلكية في العالم في وقته ، بناه السلطان العثماني مراد الثالث ، الذي توسع في إنتاج المدافع للحفاظ على حدود الدولة المترامية الأطراف ، لكنه هدم بفتوى من مفتي الدولة العثمانية على اعتبار أنه وسيلة من وسائل التنجيم وهو من الأمور المحرمة في الإسلام ، بل حاول هذا المفتي إقناع السلطان بعدم إنتاج المدافع والرجوع إلى السيف لأن الرسول كان يجارب بالسيف ولو كان في المدافع خيرا لحارب بها النبي ! اللافت والعجيب أن رفض الآخر معشش في نفوس كثير منا ، لكن عند الممارسة يتغير الأمر فما أحلى

أن نسب الغرب الكافر والشرق الداعر لكن لا بأس بأن نركب سياراتهم ، ونستعمل هواتفهم ، ونرتدي ملبوساتهم ، ونتعلم عندهم ، ونسعى للهجرة إلى بلادهم هرباً من طوفان الظلم الذي كاد أن يغرقنا ! يعتقد كثير من علماء التاريخ أن السبب الأبرز في قيام الحضارة العباسية حتى بلغت ذروتها بعض الأسرى الصينيين الذي أسروا في إحدى المعارك حيث اشترط عليهم الخليفة العباسي أن يعلموا المسلمين سر خياطة الملابس ، وسر صناعة الورق ، وسر صناعة البارود ، مقابل إطلاق سراحهم على غرار ما حدث في أسرى بدر ، لتنتقل بغداد وتصبح عاصمة الدنيا !

زوجة سيبويه وزوجة ستيفن كينج

الزوجات نوعان زوجة سيبويه وزوجة ستيفن كينج كثير من أفكار وتصورات وعلم سيبويه ضاع ولم يصلنا إلا القليل منه بسبب أن زوجته التي كانت تعشقه رآته طيلة الوقت منشغلاً بالعلم والتدوين فانتظرت ذات يوم حتى خرج وجمعت كل أوراقه وأحرقتها فلما عاد ووجد عصارة فكره بين الرماد أغشى عليه ، ولما أفاق طلقها ..

الكاتب الأمريكي الشهير ستيفن كينج أحد أبرز مؤسسي أدب الرعب في العالم حتى لقب بـ (ملك الرعب) فشل في التعاقد مع دار نشر لنشر كتابه الأول فقرّر أن يرميه في القمامة ! غير أن زوجته استخرجت الورق وجمعته وأعدت ترتيبه وذهبت به إلى دار نشر وافقت على طبع الكتاب ومن ثم توالى الأعمال . واليوم تحقق كتب ستيفن كينج أعلى نسبة مبيعات في العالم حيث طبعت كتبه 350 مليون نسخة ! بخلاف أعماله التي تحولت إلى أشهر أفلام الرعب ! الشاهد : لا

تأس . ليس كل ما نرميه سيئا . إن لزوجتك عليك حقا الزوجة الصالحة احتواء للرجل تجبر كسره وتكمل نقصه !

الغربة

تنمية الإحساس بالغربة سلوى للإنسان عند فقد عزيز ، وباعثا على التوازن لتصح النفس فلا تفرح بشدة ، ولا تحزن بحدة ، وتتوقف عن التعلق بهذا أو هذا وتتعلق فقط بمن سواها !

أحب مالك بن نبي

للذين يتعجبون مني لإعجابي الشديد بالمفكر الجزائري (مالك بن نبي) عليه رحمة الله أقول : ليس شرط الإعجاب التسليم والتصديق بكل ما يقول المعجب به . فكل يؤخذ من قوله ويرد إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم .. يكفي بن نبي أنه كان بارعا في سبر أغوار (الاستعمار وأساليبه الخفية من أجل التسلط على البلدان الإسلامية) .. أما من حيث الأخطاء فتحدث عنها ولا حرج لعل أبرزها مخالفة صريح القرآن لاسيما فيما يتعلق بمسألة غرق فرعون ، وادعائه بأنه أسلم ولم يهلك في البحر ، إلى جانب إعجابه الشديد بمجمال عبد الناصر والإشادة التامة بثوره 23 يوليو!! سبحان الله كان الإمام بن الجوزي عليه رحمه الله يتعجب أشد العجب من أبي حامد الغزالي ويقول : كيف لرجل منحه الله علما غزيرا وفقها كبيرا وذكاء خارقا أن يكون في منهجه حكايات الصوفية وحكايات العجائب والخرافات التي يأبى العقل السوي أن يقر بها ؟؟ اللافت أن مؤلف صيد الخاطر العبقري ابن الجوزي لاقى هجوما من كثير من العلماء في وقته وبعد موته ! لن تجد الرجل العالم أو المفكر أو المربي الذي تريده .. ولن تجد الجماعة أو الحزب أو

المؤسسة التي تطمح إليها !! تعلم من الجميع وكن واسع الأفق،، واجعل من أهم صفاتك القابلية للتعلم ربما يساعدك ذلك على التكيف النفسي المنشود .

عبقريّة بن نبي

قبل أن تقبض روحه استدعى مالك بن نبي زوجته وهمس إليها قائلاً : سأعود بعد 30 سنة ! يقصد الرجل أن ما طرحه من قيم وأفكار وتصورات لمشاكل العالم الإسلامي ستشهد رواجاً واهتماماً بعد عقود من موته ، وكان الرجل جاداً ، واثقاً من نفسه كعادته ، فحينما دخل احد المطاعم الفرنسية الفخمة وشرع في الأكل بيديه ، نهزته امرأة فرنسية (متحضرة) وأشارت إلى الشوكة وضرورة الأكل بها ، وإلا لماذا صنعت أصلاً ؟ فقال لها : إن الشوكة لمتسخة الأيدي ، بينما يدي نظيفتين ! هذه الثقة أكثر ما شديني في الرجل ، ذلك أن جل من ذهب إلى فرنسا في زمانه ذاب في المجتمع الفرنسي وانبهر ، فرجع مفتوناً ، منقلباً ! المهم أن الرجل الذي قال لزوجته سأعود بعد 30 عاماً ، لم يعد في الموعد المحدد ، لكنه عاد بعد 38 عاماً مع بداية اشتعال ثورات الربيع العربي ! لقد كان مالك بن نبي أول من تنبأ بتلك الثورات في كتابه الماتع (فكرة كومنولث إسلامي) ، حيث ناقش في هذا الكتاب جوانب مختلفة لفكرة اتحاد إسلامي يكون مظلة لكل الدول الإسلامية ، لاسيما في ظل بزوغ كيانات ضخمة كالاتحاد السوفيتي ، والعلاقات الأمريكية ، والعلاقات الصينية ، والعلاقات الهندي.. ورأى أن المسلم في وجود هذه الكيانات سيتأثر تأثيراً كبيراً من جهتين مهمتين ، الجهة الأولى وهي جهة الجغرافيا والسياسة ، وأحد أبرز تجلياتها جنوح العالم إلى كيانات جغرافية وسياسية كحلف شمال الأطلسي مثلاً .. والجهة الثانية تتمثل في البعد السيكلولوجي ، ذلك

أن ما ينهش وجدان المسلم ويمزق نفسيته شعوره أنه وحيد في هذا العالم ، مشتت ما لم يتمرد على واقعه المتجمد .. وبناء على هذين البعدين ستتولد لديه (بذور ثورة) جارفة ، وربط نجاح الثورة التي تنبأ بها بوجود قيادة واعية مدركة مؤهلة ، تخطط بذكاء لكيفية رعاية بذور الثورة ، ومن ثم توجيهها للبناء ، وإلا فسوف تأتيه ثورة من الخارج لن يكون بمقدوره التحكم فيها وتوجيهها !

خطباء النكد والحزن

بعض الدعاة يعمد في خطبه وأحاديثه إلى تعزيز النكد ، وإشاعة روح الحزن والهمل والغم بين الناس متصورين أنه كلما زاد حزنهم ونكدهم كلما قوي إيمانهم ، فتراهم يحرمون البسمة على كل شفاه ، ولا مانع لديهم من الاستدلال ببعض الأحاديث من نوعية (((لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدة فتخلفه) على الرغم من ضعفها .. وبعضهم يقيس الناس على مسطرته هو ، ونفسيته هو ، فيتعجب إن رأى أحدهم فرحاً وهو مغموم ! في الإجمال الأصل في المسلم أن يغلب جده مزحه ، مراعيًا للمقامات ، لماحا ، فطنا ، يراعي ظروف الآخرين ويتفهمها ، يعرف متى يضحك ويمزح ، ومتى يجد .. تمرأمتنا العربية والإسلامية بظروف صعبة للغاية ، والجروح عميقة ، غير أن إشاعة روح الحزن ربما تولد يأساً ، وتضعف عزماً ، وتؤخر نصراً ! ولهذا لن تستقيم حياة الفرد طالما ظل مكتئباً حزيناً ؛ فالحزن المستمر من شأنه أن يقعد النفس عن العمل ، والعقل عن الفكر، فلا نستطيع أن نشبع جوعاناً، أو نغيث لهفاناً، أو نحز نصراً، أو نعمل فكراً .. ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه (أريحوا القلوب فإن القلب إذا أكره عمي). لقد كان الصحابة رضوان الله يتقاذفون بعضهم بقشر البطيخ ، وكان النبي ينادي على خادمه أنس (يا ذا الأذنين) ووضع يديه الشريفتين على عيني أحد الصحابة وقال من يشتري العبد ؟ وسابق زوجته رضي الله عنها فسبقها مرة وسبقته مرة ، وكان يمازح أصحابه ، ويواسي الصغار ، حتى إن بعض التابعين لما كان يقرأ في سير الصحابة ولازمه التعجب سأل ابن سيرين : هل كانوا يمزحون حقاً ؟ فقال له ابن سيرين ما كانوا إلا كالناس ! وأزال هذا اللبس الذي كان في أذهان البعض نتيجة

الخطاب المتشدد أبو سلمة بن عبد الرحمن عندما قال : لم يكن أصحاب رسول الله منحرفين ولا متماوتين، وكانوا يتناشدون الأشعار في مجالسهم ويذكرون أمر جاهليتهم.. فهذا عبد الله بن عمر يمازح مولاة له فيقول لها: خلقي خالق الكرام، وخلقك خالق اللثام. فتغضب وتصيح وتبكي، ويضحك عبد الله بن عمر. وهذا نعيمان بن عمرو، وكان لا يدخل المدينة طرفة، أو فاكهة، إلا اشترى منها، وأكل بعضها، وأهدى الباقي إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا جاء صاحبها يطلب ثمنها من نعيمان أحضره إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: أعط هذا ثمن متاعه!! فيقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((أولم تهده لي؟)) فيقول: نعم، ولكن، والله ليس عندي ثمنه، ولقد أحببت أن تأكله. فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم، ويأمر لصاحبه بالثمن وذات مرة رأى سيدنا نعيمان هذا أعرابيا داخلا على النبي بناقة سمينة ، فقال له بعض أصحابه لو عقرتها فأكلناها ، فإننا قد اشتقنا اللحم :) تصوروا ؟ خرج الأعرابي فوجد ناقته مذبوحة وتسليخ ونعيمان يوزع اللحم ، فرجع الأعرابي إلى النبي شاكيا من الفعل ، فخرج الرسول وسأل عمن فعل ذلك ، فقالوا : النعيمان .. فشرع الرسول في البحث عنه فوجده مختبئا تحت دكة وعليها جريد النخل ، فقال له النبي ما حملك على ما صنعت ؟.. فقال : الذين دلوك علي يارسول الله ، فضحك النبي وجعل يمسح التراب عن وجهه وقدر الناقة ودفع ثمنها للأعرابي .. والقصص كثيرة والشواهد أكثر من أن تحصى .. وتذكروا لا عمل في الإسلام أفضل من سرور يدخله المرء على قلب أخيه ! وأختم بأجمل ما قرأت للإمام اللغوي الخليل بن أحمد الفراهيدي لما سئل عن مزاحه للناس فقال : الناس في سجن ما لم يتمازحوا !

شعوب استهلاكية

في لقاء صحفي وأثناء الاستماع إلى مسؤولية العلاقات العامة والإعلام بأحد أكبر مراكز التجميل العالمية ، قالت السيدة اللبنانية جملة لم أستطع بسببها أن أمنع نفسي من الضحك المفرط .. فقد شددت في نهاية حديثها بعدما أكدت على ضرورة أن يسعى كل رجل وكل سيدة إلى الذهاب إلى مراكز التجميل لكي يكونوا أكثر ثقة بأنفسهم ، على ضرورة أن تدعم البنوك من يريد أن يجري عمليات تجميل ولا يملك المال اللازم ! خطر ببالي كيف تفشت ظاهرة الاستهلاك في مجتمعاتنا في ظل غياب واضح للدور التوعوي والتثقيفي على كل المستويات بدءاً من الأسري والخطاب الديني ، مروراً بالخطاب الإعلامي ، وصولاً إلى عموم التفكير الاجتماعي . بالفعل .. تعد ظاهرة الاستهلاك من الظواهر المنسية التي لم تأخذ حقها من البحث والدراسة والمعالجة ، على الرغم من كونها تمثل طاغوتا من طواغيت العصر ، إذ تبرز من خلالها الرأسمالية المتوحشة في أزهى صورها .. لم تعد الشهوانية في الشراء والاستهلاك مقتصرًا على المرأة فقط ، بل امتد لفئات وشرائح أخرى ، والمتأمل في طريقة لبس الشباب والفتيات يتعجب أشد العجب ، وربما تقل حدة العجب حين يدرك أن ما يراه في إطار ما يعرف (بالموضة) وكان الأصل أن يتعجب من جهله بآخر صحيحة في عالم الجمال والشياكة ! بالنظر إلى أصل كلمة (موضة) نرى أنها معربة من الكلمة الفرنسية (مود) والتي تعني الشكل ، ولعل من معناها تبرز الإشكالية ، فالموضة كلمة ذات دلالة واضحة على تفريغ الظاهرة من أي مضمون إذ أن محور اهتمامها منصب على الشكل ما يعني أنها غير مرتبطة بأي رابط ولا منضبطة بأي ضابط من ضوابط التعاطي أو الحكم على الشكل ، ولهذا

نراها تتغير من وقت لآخر فتزداد الطاقة الشرائية وتعلو الشهوة الاستهلاكية ، ولا تتوقف عجلة مصانعهم ، عندما تستوي وتيرة الاستهلاك بوتيرة الإنتاج على حساب المصلحة الحقيقية للإنسان .. ولعل في ذلك هدفا من أهداف الذين أسسوا لتلك الظاهرة ووضعوا فلسفتها ، إنما الأخطر من ذلك تعزيز مبدأ العبودية الاستهلاكية علاوة على تعزيز مبدأ الاستغفال الذي يجعلنا كشعوب مستكينة فارغة وقودا لمكيمة الرأسمالية الشرسة !

التنويم الاجتماعي

من أجمل المباحث الاجتماعية لعالم الاجتماع العراقي علي الوردي مبحث بعنوان (التنويم الاجتماعي) يؤكد فيه الرجل على أهمية الكلمة الطيبة وكيف تصنع بالآخرين مفعول السحر ، وربما كلمة عابرة من أحدهم تعطي إحياءً قوياً في عقل سامعها، فتستحوذ عليه وتصير حياته سلسلة من المحاولات لتحقيق ما سمعه. وصدق الله : (وقولوا للناس حسنا).

التقليد المنبؤ

لم يتوقف التقليد المنبؤ على شريحة الشباب والمراهقين ، بل وصل إلى شرائح واسعة من المجتمع .. صارت غالبية النساء يقلدن بعضهن في تجهيزات عش الزوجية لبناتهن ، والأمر في تطور عجيب يعكس حجم الخواء القيمي في نفوس كثير من الناس ، على ما يعاينوه من صعوبات في المعيشة بالأساس ! رأيت صوراً لمقتنيات عروسة أزعمن أن أكثرها لم يجلب إلا للزينة والتباهي والتفاخر والمنافسة في البذخ .

كان الناس قديماً يلتمسون الغنى في النكاح ، أما الآن فيتحسسون الفقر في التقليد ..

لقد ذم الله التقليد في القرآن في عشرات المواضع باعتباره تعطيلاً للعقل ، وجوداً على ظاهر الأشياء . لماذا تأت البنت بثلاث غسالات (أتوماتيك - نصف أتوماتيك - صغيرة للأطفال) في حين أن غسالة واحدة تكفي ! ولماذا تأت بثلاجة وديب فريزر وثلاجة صغيرة بجوار السرير ؟

ما أهمية (النيش) في البيت غير التباهي والتفاخر والاستعراض ؟!

لماذا يشق الناس على أنفسهم عندما يلزمون أنفسهم بكميات معينة من الذهب ؟ ما فائدة أم غرفة نوم الأطفال في حين أن الله قد لا يرزق أم العرسان بالأولاد أصلاً ؟

ما فائدة الاقتراض لعمل عرس في أكبر القاعات في حين أن مركبا في النيل قد يغني بالغرض ؟!

ما فائدة أن تكون الشقة ثلاث وأربع وخمس غرف في حين أن غرفتين أو غرفة
صالَة تكفي في بداية الحياة الزوجية ؟
لماذا تظن كل امرأة أن الذي خلق ابنتها لم يخلق غيرها ؟!
ولماذا يصر الناس على تصدير وجه متدين لطيف ، وحين الاتفاق تجد الوجه
البلاستيك ؟!
لماذا تشقون أنتم على أنفسكم بأنفسكم ثم تصرخون وتولولون ...

العمل والعدل

هناك عداوة مبطنة بين الشعبين الألماني والفرنسي بسبب تفوق العنصر- الألماني على نظيره الفرنسي في نظرة كلاهما لقيمة (العمل) .. فالألماني يقول للفرنسي- بنظراته وإيماءاته أنت تعمل لتعيش، وأنا أعيش لأعمل .. والفرق بين الاقتصاديين واضح والتكنيكال الألماني لا يحتاج إلى كثير كلام . في الآونة الأخيرة يبرز سؤال في ذهني : لماذا يأكل الياباني البوذي (الكافر) طعاما صحيا خاليا من المبيدات والمسرطنات ، ونحن المسلمون (المتدينون بطبعنا) أصبحنا وأمسينا في طواير أمام مراكز الأورام ، ومعاهد ومستشفيات الأمراض المزمنة بسبب طعامنا المسرطن ! ركز القرآن الكريم على جملة من القيم الرئيسية أبرزها وأهمها قيمتي (العمل) و(العدل) ! وردت لفظة (العمل) في مئات المواقع تدور على عشرات الصيغ ، في كتاب الله مقرونة دائما بمصطلح الإيمان ، ولن تجد القرآن متحدثا عن الإيمان إلا مقرونا بالعمل .. إلى جانب قيمة العمل هناك قيمة العدل ، والتي من أجلها أرسل الله الرسل في الأرض (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) ! بينما جاء الحديث عن (الوضوء) مثلا في موضعين فقط ! لماذا نرى هذا الحديث المكثف على هاتين القيمتين الضخمتين المتجذرتين ونتحول إلى الخمول والثروة ولا نرى في العمل شيئا ذا قيمة ولا نرى ضرورة للسعي والجهد والاجتهاد لإقامة العدل في الأرض ! عندما تجد طرعا دينيا مكثفا حول قضايا الوضوء ، والطهارة وغيرها من الأمور التي لم ترد إلا في مواضع محدودة من القرآن على حساب قضايا أخرى عظيمة بعظمة تكرارها عشرات بل مئات المرات تدرك لماذا تقدم الغرب وتأخرنا ! ولماذا صحوا على كفرهم ومرضنا ،

ولماذا ندعوا الله كثيرا ولا يستجاب لنا ، هل لأن الله يدخر لنا هذا الدعاء ؟ أم لأن الله لا يحبني أبدا من تمرد على سننه وناموسه ومارس الدعاء منزويا عن العمل ! أتعجب من المرجئة كثيرا ، وهم لا يعتبرون للعمل قيمة أمام الاعتقاد ، ويرفعون شعار لا ينفع مع الكفر طاعة ولا يضر مع الإيمان معصية .. وأتعجب من كثرة الذين يتنابدون بالألقاب حول تفسير حديث الفرقة الناجية ، ويركزون انشغالهم على من يدخل النار، ولا يركزون في طرحهم على فكرة أن كلهم آتية يوم القيامة فردا لا فرقا ! أولى خطوات الخروج من التيه برأي التركيز على القضايا التي ركز عليها القرآن باعتباره ميزان الأمة الحساس الذي توزن به الأمور كلها عبادات كانت أم أخلاق أم سلوكيات ..

شعب الفلبين الجميل

من يتعامل مع الفلبينيين يجد نموذجا مختلفا من البشر.. حيث يلمح فيهم طيبة ، وتنظيما وترتيباً ودقة غير عادية ، بإمكانك وبسهولة أن تعرف أن سائق المركبة التي تراها على مسافة بعيدة من الجنسية الفلبينية ، لماذا ؟ لأن السيارة مهما كان موديلها وسنة صنعها ستجدها جميلة مهندمة كما لو أنها خرجت للتو من المصنع .. ومهما كان راتبه ضعيفا ، تجده منظما في مصر..وفاته سخيا كما لو أنه مليونيرا ، محافظا ومدبرا كما لو أنه شخصية من الشخصيات التي تكلم عنها الجاحظ في مؤلفه الماتع (البخلاء) ! وهم من أكثر الجنسيات دخولا في الإسلام ! يلام على المسلمين الفلبينيين حتى من أهل الفلبين أنفسهم أنهم أقل تمدنا وحداثة ، وهذا صحيح لكن لذلك قصة مضحكة ومبكية في نفس الوقت .. معروف أن الحضارة العثمانية لما سادت قرونا كان المسلم مرادفا للفظه (تركي) كما هو شائع في أدبيات الألمان مثلا .. وعلى غرار ذلك عربي مرادف للمسلم في التراث الفرنسي- ، لأن احتكاك الفرنسيين بالمسلمين كان متجليا في احتلال الدول العربية ! وفي الأدب الأسباني ، ولأن أسبانيا كانت قريبة من المغرب (موروكو) فكان يطلق على المسلم مورو ، حتى لو كان مسلما أوريبيا .. ولذلك لما ذهب الأسبان إلى الفلبين عبر طريق رأس الرجاء الصالح وقبل أن يصلوا إلى الجنوب ، لمحوا المسلمين مصطفىين للصلاة فجن جنونهم ، ولما نزلوا من سفنهم ذهبوا إلى المسلمين وهم يصلون ونزعوا عنهم قبعاتهم وشتفوا شعورهم وقالوا في غيظ : نترك مورو هناك ونبحر لمدة سنتين لنجد هنا مورو أيضا ، فقام المتعصبون منهم بقتل المسلمين الفلبين ، وطاردوهم حتى سكنوا الجبال .. ولا زلت حياة كثير منهم إلى الآن في الجبال بعيدا عن المدنية والحداثة !

فاسألوا أهل الذكر !

حالة من الميوعة التي تبعث على الملل والانزعاج انتابت قطاعات كبيرة من مجتمعنا ، يجيب الرجل قليل الخبرة وفاقد التخصص والأهلية على مواقع مثل (آسك) وغيرها في قضايا تستدعي خبراء عصره ليصيبوا عليها ويصدقها شباب وفتيات مفتونين ، غارقين في الحيرة .. لأنهم ربما رأوه متميزا في فن من الفنون ! لعل من أجهل ما قرأت للإمام مالك رحمه الله قوله (إن من شيوخنا من أطلب منه الدعاء ، ولا أقبل روايته) يعلمنا الإمام من خلال مقولته هذه فن احترام وتقدير الآخرين والاعتراف لهم بفضلهم فيما يحسنون ويتقنون ، وليس شرط الأفضلية التفوق في كافة مجالات الحياة . كما يعلمنا احترام التخصص ، والرجوع إلى أهل الذكر .. وفي هذا يقول الدكتور عبد الكريم بكار: في رحلة موسى المباركة مع الخضر- وقف موسى موقف المتعلم ، ووقف الخضر في موقف الأستاذ ، مع أنه لا خلاف في أن موسى أفضل من الخضر ، وهذا يدل على أن الأفضلية العامة لا تقتضي- التفوق في العلم ، وهذا يحثنا على أن نرجع لأهل الاختصاص في اختصاصاتهم ، وألا نرهق أهل الفضل بالسؤال عما لا يعرفونه ، ولا يحسنونه فيسقطون من أعيننا لعدم معرفتهم ، أو يسقطون ويُسقطوننا معهم إذا ما هم قالوا بغير علم !

لا تبالغ في الوعود

هخليك أسعد بنت في الدنيا ، وأزرع لك بستان ورود وشجرة صغيرة تفييكي ، وأغزلك من نور الشمس اسواره تزين إيديكي ، وما إلى ذلك من الوعود التي يقطعها الشاب على نفسه مع الفتاة التي تزوجها أو في طريق الزواج بها سبب من أسباب تعاسة الطرفين ، وفشل الحياة الزوجية!

المبالغة في الوعود شبه المستحيلة من قبل الرجل يجعل حياة البنت عصية على التأقلم مع واقعها بما فيه من مشكلات وتحديات ، وكان الأنسب له أن يكون واقعيا من خلال تعزيز المودة والتعايش، فضلا عن تعزيز الثقة من خلال تبادل الأحاديث والنقاشات الهادئة التي تقرب المسافات بين العقليات وتنمي التقدير والاحترام ! المهم في العلاقة الزوجية التقدير والاحترام وعدم الظلم ، وظني أن المرأة لا تريد غير ذلك ، لكنها بشكل أو بآخر قد تصبح ضحية وعود ذكورية عصية على التطبيق وسرعان ما تصاب بخيبة أمل بعد أول شهرين من الزواج ..

عبقريّة ستيف جوبز

لم يكن عبقرى التكنولوجيا (ستيف جوبز) صاحب ومؤسس شركة (أبل) العملاقة رجلا ناجحا مخترعا فقط ، بل كان فيلسوفا ، ناقدا ، مفكرا .. والأهم من ذلك مثلا بارزا لما يمكن أن يصل إليه الإنسان في سلم التفوق ، إذا انفك من عقد الماضي ، والمعطيات الاجتماعية التي فرضت عليه ! تجلت فلسفته في مقولته الشهيرة عندما سئل عن سبب وضع تفاحة غير مكتملة كشعار لشركته : (جمال كل شيء ليس في الاكتمال.. كذلك هي الحياة لو أنها اكتملت لنا، لما شعرنا بأي انجذاب لها) ! وربما وقع الاختيار على التفاحة دون غيرها لأنها الثمرة التي سقطت على نيوتن وكانت سببا رئيسا في ما وصلنا إليه من تطور تقني وعلمي فاق التصور .. وتجلّى تحديه للواقع والمعطيات التي فرضت عليه ، عندما لم يدع الحزن واجترار آلام الماضي تسيطر عليه ، فكما هو معروف ولد (ستيف) لأب سوري ، كان قد هاجر للولايات المتحدة الأمريكية لنيل درجة الدكتوراة في العلوم السياسية ، وتعرف على فتاة أمريكية تدعى (جوان شيبيل) فأعجب بها وأقام معها علاقة في غير زواج وأنجب منها ستيف ، ولما أراد أن يتزوجها رفضت عائلة شيبيل زواج ابنتهم لرجل لا يدين بالكاثوليكية ، فنشأ الطفل نشأة صعبة ولولا أن تبنته عائلة أرمينية لكان له شأن آخر!

لا للتخوين

قبل دراستي للعلوم السياسية كنت أمارس بدون قصد إرهابا فكريا تجاه المخالفين لي في الرأي ، وأحسب أن من حسنات دراسة هذا النوع من العلوم ، التأني في إبداء الرأي لاسيما في المسائل متعددة الزوايا والأبعاد ! لدي شك يتاخم اليقين أن كثيرين مما يمتلكون مواهب وقدرات تؤهلهم لطرح آراء وأفكار ناجعة لحلحلة الوضع السياسي المعقد في مصر ممتنعون لأنهم على ثقة بأن إرهابا فكريا سيمارس ضدهم .. أتمنى من كل قلبي أن نكف عن نبرة التخوين التي انتشرت بين قطاع عريض من مؤيدي الشرعية الدستورية ، ويدرك كل طرف أن كل رأي يطرح إنما هو نابع من بنية الشخص الفكرية والعلمية التي تختلف من واحد لآخر ، ولا ثوابت في السياسة ، ولهذا من نفيس كلام شيخ الإسلام أبو حامد الغزالي: (إذا تعذر إزالة الدم من الثوب بالماء؛ فإننا نزيل الدم بالبول، ثم نزيل البول بالماء) . والكلام عام وليس المقصود به الإسقاط على نماذج بعينها

لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم

الالتقاء الفكري بين اثنين فأكثر أمر جميل ، مبهج ، لكنه يسير جدا مقارنة بالالتقاء الروحي والعاطفي ، إذ يمكن أن تؤلف بين عقليين ، لكن من المستحيل أن تؤلف بين قلبين ، إلا أن يشاء الله ذلك .. ولهذا قال الله (لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) ولم يقل بين عقولهم ، فلم تدع الآية الكريمة مبررا لجفاء من خالفته رأيا ، أو ذهب مذهباً غير مذهبه ؛ فالأصل هو الحب والاستثناء هو الجفاء .

المتنبى في فرنسا

لما أراد الرئيس الفرنسي السابق جورج بومبيدو أن يلفت انتباه جنوده إلى عيب خطير يصيب الكثير من الناس لم يجد أفضل من أن يأتي ببيت شعر لأبي الطيب المتنبى يقول فيه : وَلَمْ أَرِ فِي عُيُوبِ النَّاسِ شَيْئًا، كَنَقْصِ الْقَادِرِينَ عَلَى التَّمَامِ ويكتبه على كل الدبابات ,, يشير المتنبى في هذا البيت إلى أن أكبر عيب ممكن أن يصيب الإنسان أن يكون قادرا على الكمال في الفضل ، ولم يفعل ولا عذر له في ذلك ، بخلاف الذين لهم أعذار ! وهو في هذه الحالة أكثر عيبا من الناقص الذي لا يقدر على الكمال . ولعله هنا يضع يده على قضية من القضايا التي اهتم بها علم الإدارة وعلوم التنمية البشرية إلا وهي الفرق بين النجاح والنجاعة وكيف يكون الإنسان ناجحا لكنه مقصر ! فلو حقق الطالب 55 ٪ لكان ناجحا ، ولكن ربما كان بمقدوره أن يصل إلى ما فوق الـ 90 بالمائة ، لكن لم يفعل ، وقد يحقق فيلما نجاحا مدويا ، فتصل أرباحه إلى ملايين الدولارات لكنه لم يترك أثرا إيجابيا في نفوس من شاهدوه فحينئذ لا يعد فعالا (ناجعا) .. ولهذا فليس النجاح مطلوبا في حد ذاته بل مطلوب أن يستفرغ الإنسان الوسع ، ويستغل الموارد والإمكانات المتاحة ، ليصل إلى المستوى المنشود !

اللهم بارك لنا في أصدقائنا

منذ عام وفي نفس هذا اليوم طلب مني زميل في العمل أن أذهب معه لأن جارا له اتصل به وطلب منه المساعدة، فذهبت معه فوجدت رجلا في الأربعين من عمره ، لا يتحرك من جسده إلا لسانه ، وصوت تأوهات يملأ المكان كلما لمسه أحدهم ، ثم علمت أنه مريض بعدة أمراض مزمنة ، وليس له من الأصدقاء أحد ، انطوائي حد العزلة ، ولا يسكن معه إلا زوجته وطفلين صغيرين ! يذهب الرجل مع ما به من أمراض ليغسل كليتيه ، وفي كل مرة لا يجد من يحمله فيضطر للاتصال على بعض الجيران ! تذكرت وأنا أرى هذه الحالة فضل الله الواسع على كل إنسان صحيح الجسم ، وكم من نعم تفضل بها علينا الخالق ، ثم تذكرت فضل الصديق الصالح ، وكم هي مهمة الصداقة لاسيما في الغربة .. أتعجب من الذين لا يتخذون لأنفسهم أصدقاء صالحين يستعينون بهم على نوائب الدهر ، ويجدون معهم الأُنس والبهجة ! اللهم اشف مرضانا ومرضى المسلمين ، وبارك لنا في أصدقائنا وارزقنا حبك وحب من يحبك .

الدراما إن تزيد الطين بلة !

تعاني مصر خصوصا وكثير من البلدان العربية من مشكلات اجتماعية عويصة ، للأسف لم تجد من يتصدى لها حاليا إلا الدراما .. حالة من الضعف أصابت مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تفرز نماذج صالحة قابلة للعيش المشترك ، والمساهمة في بناء وطن قوي يوفر الحد الأدنى من المعيشة الآدمية .. فبرزت المسلسلات والأفلام لتزيد الطين بلة بطرحها الهابط الذي أفسد الذوق العام ، وشوه القيم الإيجابية ، وبدلا من أن تعالج الآفات الاجتماعية روجت لها ! يبرر ما يقال عنهم ممثلون ما يفعلون لأنه مصدر دخلهم ، ويبرر من يشاهد أعمالهم بأن في ذلك علاج لحالة الملل والرتابة .. ولا يدري الكثيرون أن القيم السلبية التي يعتمد إلى طرحها صناع الأفلام والمسلسلات تتسلل إلى العقل الباطن ، فهي تخاطب الوعي وتنفذ إلى اللاوعي عبر مؤثرات سمعية وبصرية تعتمد على التشويش والموسيقى التصويرية ، وغيرها من الأمور التقنية التي غالبا ما تجعلك متعاطفا مع المرأة الخائنة ، أو المجرم صاحب السوابق ! أذكر في هذا السياق كيف نزلت مني دموع حزن على موت بطل فيلم (Leon The Professional) الممثل الفرنسي جان رينو وهو القاتل المحترف الذي قتل العشرات في الفيلم ، وكيف أعجبت بالممثلة الصهيونية ناتالي بورتمان ! ليس عندي موقف متصلب من الفن عموما والدراما على وجه الخصوص ، بل إن التمثيل والغناء من هواياتي ، ولكن عندي رفض شديد لكل من يسهم في تخريب مجتمعاتنا بأعمال مدمرة للنشء والقيم الأصيلة ، ويساهم بشكل أو بآخر في تخريب البيوت وإفساد عقول الشباب والفتيات . جميل أن نوجه هوة الأعمال الدرامية من أبنائنا وأصدقائنا إلى أعمال هادفة ، وهي كثيرة ..

من روائع السنة النبوية

كثيرة هي الأحاديث النبوية التي لم نستشعر معناها ومغزاها ، ونستلهم منها الحكمة النبوية في أوقات سابقة .. من هذه الأحاديث على سبيل المثال (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة والفراغ) ، تستشعر هذا الحديث عندما تجد أحدهم مشغولاً بالأدوية ، وآخر يتمنى أن لو سمح له الطبيب بشربة ماء ، وآخر تمكن منه الألم فلم يستطع النوم .. غير أن ما يزيد ألمه ويضاعفه تفكيره المتواصل في من يحمله غدا من شقته في أعلى البناية السكنية إلى أسفلها حتى يتمكن من الذهاب إلى المستشفى ليغسل كليته ! (كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل) .. واحد من الأحاديث التي تعالج ما اعتري الوجدان من كثير أمل ، وتحول العاطفة إلى جبل تتحطم عليه شهوات النفس ، وتجعل المرء مهياً دائماً إلى الرحيل ! ليسه رحيله هو فقط ، بل رحيل من يحب ويهوى ، ويظن أن الحياة ستتوقف عند فقدته ! تنمية الإحساس بالغربة سلوى للإنسان عند فقد عزيز ، وباعثاً على التوازن لتصح النفس فلا تفرح بشدة ، ولا تحزن بحدة ، وتتوقف عن التعلق بهذا أو هذا وتتعلق فقط بمن سواها !

ظاهرة مدمرة ولا أحد يتصدى لها

الملاحظ أن هناك خطابا ضعيفا للغاية سواء على المستوى الديني أو الإعلامي أو حتى الاجتماعي للمشكلات الاجتماعية التي تهدد أمن وسلامة المجتمع وعلى رأسها مشكلة (الطلاق) ! (طلق) .. (طلقت) .. هاتين الكلمتين من أكثر الكلمات المستعملة في اليوم والليلة في واقعنا العربي عموما ، ومصر على وجه الخصوص بعد الحديث عن الواقع السياسي المعقد ، الذي هو في الأصل نتاج مشكلات اجتماعية عميقة ومتجذرة ! واللافت أن الفعل غالبا ما يكون صادرا من شباب حديث عهد بالزواج !

حالة عجيبة من الاستهتار بالعلاقة الزوجية ، وحالة من الاستهانة بالميثاق الغليظ الذي بموجبه يجتمع رجل وامرأة تحت سقف واحد لغاية كبيرة ألا وهي إعمار الأرض ! في ظل حالة اللامبالاة التي انتشرت بين عموم المصريين ، وغياب واضح لتبعات التفكك الأسري .. من يزرع الخوف في نفوس الناس من الله ومن ظلم المرأة ؟ ومن ينصح الأزواج بضرورة الخصوصية بينهما فلا يعلم بشأنهما قريب أو بعيد ؟ ومن يعي أن الترحيل على الزوج بما لا يطيق ودخوله في دوامة الديون سيقضي عاجلا أو آجلا على حياة زوجية مستقرة ؟ ومن يفهم المرأة التي تظهر سعادتها بالطلاق أنها في الأصل غير سوية ولم تراع الفطرة البشرية ! (مع العلم أن لكل قاعدة استثناء) ومن ينصح الشباب والفتيات أن الحياة الزوجية لا تخلو من متاعب ، ومشاكل وتحديات وأحيانا عقبات ، وأن ما يرونه في الأفلام والمسلسلات محض خيال ؟ من يصحح المفاهيم المرتبطة بالحياة الزوجية .. ليقف نزيها أوشك أن يقضي على الجسد !

في ذكرى سقوط غرناطة

بمناسبة أننا في ذكرى سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس أذكر أن ما استوقفني وبشدة أثناء المطالعة موقف استدعاء الوليد بن عبد الملك لموسى بن نصير وطارق بن زياد .. وقلت في نفسي لماذا في هذا الوقت بالذات يأمر الخليفة الأموي بوقف التقدم إلى أوربا؟؟

لماذا يأمر أن يذهب سيدنا موسى بن نصير وسيدنا طارق بن زياد إلى دمشق ويترك الجنود المتحمسين لمزيد من الفتوحات؟؟

وعندما علمت السبب لاحقا اندهشت من همة ذلك البطل العظيم موسى بن نصير ، فلقد تنامي إلى علم الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك أن الرجل يخطط للذهاب إلى القسطنطينية برا قاطعا الغرب الأوربي متجها شرقا لاسيما وأن القسطنطينية امتنعت عن الأمويين بسبب تحصينها البحري دون تقدّمهم غرباً في المجال الأوربي. لاشك من حق الخليفة أن يخاف على جنوده فهذه مغامرة كبيرة .. ما أدهشني حقا أن سيدنا موسى بن نصير كان بهذه المهمة العالية وعمره كاد يقارب الثمانين عاما.. وما أدهشني أكثر أن أعمال هذا الرجل العظيم موسى بن نصير بما فيها فتوحاته وجهاده في ميزان حسنات سيدنا خالد بن الوليد حيث كان نصير والد سيدنا موسى غلاما نصرانيا بالعراق وأسلم على يد سيدنا خالد بن الوليد أثناء جهاد المسلمين ضد الفرس وتدرج في الإسلام حتى أصبح مجاهدا عالما..

وجودية سارتر والهزيمة الكاملة !

كان الفيلسوف الفرنسي الشهير جان بول سارتر ينتمي للوجودية الملحدة ، إذ كان يرى أنه لا فرق بين وجود الله من عدمه رداً على المدرسة الوجودية التي ترى أنه لا تعارض بين الوجودية والمسيحية التي تزعمها جابريل مارسيل .. وبالتالي مع إنكاره للذات الإلهية والبعث والنشور لم يعد أبه الرجل الذي كان ملء السمع والبصر إلا بالكيانات المادية البحتة في الحياة ، وكانت قصصه ورواياته تدور حول هذه المعاني .. وحينما سأله أحد أصدقائه وهو طريح فراش الموت أين قaddock مذهبك ؟ فأجاب قائلاً: إلى أسى عميق ملؤه الندم ، إلى هزيمة كاملة !

تربية السجون !

قبل صيف عام 2004 كانت بشكل ، وبعد صيف هذا العام بدت بشكل مختلف تماما .. حياتي الأولى كانت نظرتي فيها حادة كثيرا للمجتمع ، والناس ، وأصحاب المعاصي ، رغم المعاصي والذنوب التي وقعت فيها كشأن كل البشر.. كنت أتعصب عندما أرى خطأ من أي أحد ، ولا أضع حسابا لعوامل بيئية ولا لظروف ساهمت في تلك المخرجات البشرية التي أغضب منها ومن تصرفاتها ، ولا يغلب على تفكيري إلا النقد .. وبجدة !

قدر الله لي أن أسجن فترة مع الجنائيين أثناء سفري لتشابه في الأسماء ، وعلى الرغم من المحنة الشديدة ، إلا أن تلك الأيام وربي كانت أجمل أيامي على الإطلاق ، لا لأني كنت منعما ، في رغد من العيش ؛ فالسجن أسوأ مكان وجد على سطح هذه الأرض ، لكن لأنها غيرت مسار حياتي ، ولم أزل أتعلم من أحداثها حتى الآن . وأيقنت أن ترقية الذات قد لا تأت إلا مع المحن الشديدة ، بكل مشتملاتها النفسية والروحية ، وبدون هذه المحنة ربما لم أكن أعرف أنني بحاجة إلى تعزيز شعوري بالتعاطف مع الآخرين وتحديد هؤلاء الذين ينفر منهم المجتمع ! سجت مع مختلف صنوف البشر في أكثر من سجن بداية من أكثرهم شرا وإجراما ، مروا بالقتلة والسارقين ، وصولا للمتخلفين عن سداد بعض الفواتير ! حاورت هؤلاء جميعا ، وكانت هناك نقاشات طويلة ، ثم أتبعها زيارات قمت بها بعد أن من الله علي بالحرية . أدركت كم كنت مخطئا في تصوراتي وقناعاتي ، وأيقنت أن جل هؤلاء المجرمين هم ضحية تخلف وجهل وتشتت أسري ، وضعف شديد في بنية الدولة التعليمية والصحية والاجتماعية والحياتية ! يا أخوة إن بلادنا تئن من كثرة

الفساد والافتقار الشديد لبنية صالحة تفرز الرجال والنساء الصالحين النافعين الذين تغلب حسناتهم سيئاتهم ، وكثير من الذين يرون أنفسهم اليوم في صف الطاهرين الصالحين ، مروا بتجارب عصبية ، وفترات ضعف وتشتت ، ثم عادوا .. فساعدوا غيركم ليعودوا ..

أنماط البشر في ضوء العبقرية المحمدية

استغرقت (مايرز) وابنتها (بركر) نصف قرن من الزمن لوضع الأسس التي على أساسها يمكن تحديد الأنماط الشخصية وما ينبني على كل نمط .. وسميت هذه الدراسة : الأنماط الشخصية بأسلوب **MBTI** حضرت وسمعت الدورة التي تشرح الأنماط الشخصية بـ أسلوب **MBTI** فانبهرت ، ولكن كان انبهارى أكثر عندما اطلعت بإمعان على أسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبراعته في معرفة الأنماط الشخصية .. والمتأمل في أحداث صلح الحديبية سيدرك ذلك بجلاء .. حضر عن مكة للتفاوض مع الجيش المسلم أكثر من نفر فظهرت براعة الرسول في تحديد نمط شخصية كل من قائد قبيلة خزاعة: بديل بن ورقاء وقائد الأحابيش: حليس بن علقمة ، وقائد سقيف: عروة بن مسعود ، ومكرز بن حفص ، وأخيرا سهيل بن عمرو، واختار الأسلوب الأمثل للتعامل مع كل واحد منهم .. لكن الأجل تعامله مع حليس بن علقمة حيث بمجرد أن رآه قادما قال لأصحابه إن ذلك رجل يعظم شعائر الله ، أطلقوا الهدى أمامه وارفَعوا أصواتكم بالتلبية فلما رأى ذلك رجع إلى قريش ولم يصل إلى الرسول أصلا .. وفي الأخير فتح الله على المسلمين وكان النصر حليفهم في مهمتهم .

لا تتعجل .. فتندم

قبل أن تأت بفكرة جديدة ، عليك أن تدرسها جيدا ، والأهم أن تدرك أنك بحاجة إلى قوة نفسية عظيمة تمكنك من التعامل برباطة جأش ، وقوة ، طالما كنت مؤمنا بها .. فبمجرد إلقاءك الفكرة الجديدة التي لم يعهدها المجتمع (بيت - حزب سياسي- عمل) ستجد نفسك في وضع لا تحسد عليه .. لقد بيع أفلاطون في سوق العبيد ، وهو ابن الأسرة العريقة في روما ، وهو الفيلسوف المفكر ، مؤسس أول معهد للتعليم العالي ، وواضع الأسس الأولى للفلسفة الغربية والعلوم ! بيع واحتقره المجتمع ؛ لأنه جاء بأفكار غير مألوفة ، ولم ينتبه أن لكل بيئة ركود هناك من يحرس الأفكار القديمة البالية التي عفا عليها الزمن !

سيدي المنفلوطي

الذي كنت أستشعر معه بأن اللغة العربية هيبة وعظمة وشموخا هو سيدنا مصطفى صادق الرافعي ، لكن عشقت اللغة وأحببتها حبا جما أثناء الغوص في كتابات سيدنا المنفلوطي ، لدرجة أنني كنت أقرأ الفقرة من النظرات أو العبرات فأحفظها كما أحفظ اسمي ! كان رحمه الله رقيقا ، يبدع في صياغة الجمل بأسلوب ذكي تعرفه من بين مئات الأساليب ، فقد بدا معتمدا على شعوره الخاص في كل جملة يصوغها ، وكل مقالة ينثرها .. رحم الله الرجلين !

مقى نعتز بلغتنا ؟

أستطيع أن أكتب أبحاثي كاملة باللغة الإنجليزية وأضمن لها الانتشار في العالم بيد أنى أفضل أن أكتبها بالألمانية لأنني لو فعلت غير ذلك صرت خائنا لوطني وأمتي .. كلمة قالها عالم ألماني لا أتذكر اسمه حالياً تعكس سرا من أسرار تقدم الأمم وتدهور أمتا أخرى. جالت بخاطري هذه الكلمة وأنا بالكاد أرى لافتة بالعربية في حي من أحياء واحدة من أكبر العواصم العربية !!

من فقه الدعوة

وصل حب الألمان خصوصا والأوربيين عموما علاوة على غيرهم من شعوب المعمورة لشخصية بيتهوفن الذي ولد في مثل هذا اليوم السابع عشر- من ديسمبر عام 1770 م حد العبادة ، فشعوب الغرب كانت ولا تزال تعشق هذا الموسيقي، وبعضهم يغمى عليه من فرط السعادة والتأثر عندما يسمع معزوفة من معزوفاته .. ومن المضحك المبكي أني سمعت من بعض الأصدقاء الذين يعيشون في أوروبا أنهم كانوا يرون الداعية من هؤلاء عابس الوجه ، قاطب الجبين ، كشر الناب يدخل على المدعو فيبدأ معه الحديث عن الإسلام بتحريم الموسيقى بما فيها بالطبع معزوفات بيتهوفن ! أي صدمة كان يتلقاها الإنسان الغربي وهو يسمع أول ما يسمع عن هذا الدين أنه يحرم عليه سماع من يراه أحق بالعبودية من دون الله ! قبل الحديث عن التوحيد ، وإثبات أن لهذا الكون إله ، وقبل أن يغمر الإيمان قلبه فيستجيب لنصائح وتعاليم الدين عن قناعة ورضا ، كان يبدأ حديثه بتحريم الموسيقى ، وضرورة الختان ! ليس مجال حديثي هنا عن حكم الموسيقى فهو عندي من المسائل الخلافية ، وأنا شخصا أسمع وأستمع وأحترم من يذهب إلى تحريمها بالكلية ، لكن الحديث هنا عن فقه الأولويات الذي غاب عن كثير من الدعاة لاسيما الذين يعملون وسط الشعوب الغربية ، وقد تسببوا في تشويه الدين وهو يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

قيمة المصارحة والمكاشفة

كان الله قادراً أن يعاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في حادثة عبد الله بن أم مكتوم في السر دون العلن ، للحفاظ على هيبة النبي من أن تخدش أمام الناس .. وربما كان الأولى من وجهة نظرنا أن يترأف بحالة المسلمين النفسية ولا أن يعلن على الملأ أنهم هم المسؤولون عن الهزيمة في أحد (قل هو من عند أنفسكم) .. ويوم حنين (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم من الله شيئاً) . إن الله عز وجل عندما خلق الخلق ، وهندس الكون ، وضع له نوااميس ومنهجيات وأسس ومنطلقات جاءت لتحكم البشرية وتوجه سلوكها وعلى رأس هذه المنهجيات : الإعلاء من قيمة المكاشفة والمصارحة والمحاسبة ..

وقبل أن يكتشف رواد العلوم الإنسانية ، والمؤرخون تلك الحقيقة العلمية التي تقول أن السبب الأبرز في بقاء أمم وزوال أخرى ، فضلاً عن أحزاب وكيانات ومؤسسات موقفها من الأخطاء والتستر عليها أعلنها القرآن مدوية في أكثر من آية وفي أكثر من مناسبة .. غير أن كثيراً من البشر يحلو لهم اتباع أسلوب الطرمخة تحت مبررات لا تقنع طفلاً !

لحظة صدق مع النفس

وما أبرئ نفسي إن النفس لأماراة بالسوء على عظم ما أقدمت عليه هذه السيدة (إمراة العزيز) من شروع في الخيانة إلا أنها تعلمنا كيف تكون لحظة الصدق مع النفس والاعتراف بحقيقة ما حصل مهما كانت التبعات .. ولما علم حمزة بن عبد المطلب أن أبا جهل قد ضرب النبي وشج رأسه توجه إلى أبي جهل ورفع قوسه وشج به رأسه ، ولما حاولت قبيلته الكبيرة أن تدافع عنه وتضرب حمزة قال أبو جهل

"دعوا أبا عمارة؛ فإني والله قد سببت ابن أخيه سبًّا قبيحًا". موقفان ، الأول من القرآن ، والثاني من السيرة ، يسلطان الضوء على خلق عظيم غاب عن قطاع كبير من المسلمين ويجعلان المرء يتساءل حقا : هل كان بعض أجهل الكفار ، وأكثرهم غلظة أفضل فطرة من بعض المسلمين الآن ؟

أوجه الشبه بين مصر والجنة

وصفت مصر في القرآن بأن فيها جنات وعيون ومقام كريم ونعمة .. ووصفت الجنة في القرآن بان فيها جنات وعيون ، ومقام أمين ، ونعم لا تعد ولا تحصى- اللهم احفظ مصر وأهلها الطيبين الأخيار.

الملاحظة

لم يكن نيوتن بالطبع أول من لاحظ سقوط التفاحة من الشجرة لأسفل ، ولم يكن أرخميدس أول من لاحظ أن الماء يرفع رجله إلى أعلى كلما دفع رجله إلى الأسفل وأن هناك قدرا من الماء يُزاح نتيجة لذلك . فقد لاحظ ملايين البشر- هذين الفعلين ، لكن ما الذي يميز الناس ، ويعلي من شأنهم ، ويسدد خطاهم في أمور الدنيا ! ما تميز به نيوتن و أرخميدس هو التأمل ، الذي حث عليه القرآن في أكثر نصوصه ، بالإضافة إلى إعمال التفكير المنطقي المبني على أسس علمية ، والذي أدى بدوره إلى اكتشاف نظريات لم تعدم البشرية فوائدها حتى الآن على الرغم من مرور قرون طويلة على وضعها ..

أعمار قصيرة وأعمال عظيمة

ولد المناضل الفلسطيني غسان كنفاني عام 1936، وتوفي عام 1972، أي عاش ما يقرب من 36 عاما فقط أي مات وهو في نفس سني الآن .. مات وهو ملء السمع والبصر ، تاركا للمكتبة العربية (18) كتابا ، علاوة على مئات المقالات في الثقافة والسياسة ومكافحة المحتل ! وكذلك ولد الشهيد هاشم الرفاعي عام 1935 م ، وتوفي عام 1959م ، أي عاش (24) عاما فقط لكنه مات تاركا ما يربو على 187 قصيدة شعرية جددت في تناول القضايا الإسلامية التي غابت عن المجال الأدبي في عصره.

عدوى العواطف والأفكار

يستغرب بعض الأصدقاء من تعاطف كثير من المنحرفين فكريا وسلوكيا مع قضية الأقصى ، لدرجة تشعرك بالغثيان ، ويتساءلون في حيرة : أي ازدواجية هذه ! طبقا للرؤية العبقريّة التي طرحها جوستاف لوبون في كتابه الماتع (سيكولوجية الجماهير) يمكننا الاستفادة من حالة التعاطف القوية مع القدس ، والأقصى- من مختلف التيارات بتوظيف الجماهير توظيفا يمكن من صناعة تيار قوي موجه ، ينسف العداوات الشخصية ، والاختلافات الأيدلوجية ، ويجمع الشمل على قضية عادلة !

إذ يمكن لجمهور أن يمتلك صفات وخصائص جديدة كليا مختلفة عن كل شخص على حده ؛ فتنطمس الشخصية الفردية الواعية ، وتتشكل روحا جديدة جماعية ، عابرة ، صحيح أنها مؤقتة ، لكن يمكن البناء عليها وبلورتها في ثوب

جديد ! ومثال ذلك أن تقوم مجموعة من الأفراد باغتصاب فتاة ، لكن كل فرد من أفراد المجموعة لا يمكن له القيام بذلك منفردا !
 طبقا لجوستاف فإن الفرد المنضوي في جمهور يكتسب شعورا بالقوة ، ويبدأ في الانصياع لبعض الغرائز ، ولولا هذا الشعور لما انصاع ، علما أنه ينصاع لا شعوريا لأن الجمهور مغفل بطبعه عن كثير من التفاصيل .. إذا نجحنا في الانخراط والتوسع بقضيتنا العادلة على أكبر عدد من الجمهور من خلال دقة الكلمة والد(صورة) ؛ فإننا نفتح الباب لانتقال العدوى للعواطف والأفكار ، وبهذا ينخلع الفرد من نفسه ويتحول إلى ما يشبه الإنسان الآلي .

أكلما اشتبهت شيئا اشتريته ؟

في زمن صعب أن نجد له مثيلا ، حيث المجاعة قد انتشرت بين قطاع واسع من المسلمين تبرز الحكمة الاقتصادية الخالدة التي سطرها للتاريخ الفاروق عمر بن الخطاب (أكلما اشتبهت شيئا اشتريته ؟) لمعالجة ذلك الهوس التسوقي ، والإدمان الشرائي عند كثير من أبناء الأمة ، ولتهذئة نزعات النفس التي تؤججها الدعايات المثيرة والإعلانات الجذابة والحوافز المشجعة.. لقد صدق (الكافر) ويليم بن حينما قال (إن ما ننفقه على أغراض الزينة الزائفة يكفي لكساء جميع العراة في العالم)!!

يامسلمون كفاكم بهرجة وزينة وإسرافا .. وانظروا إلى أطفال المسلمين الذين لا يجدون ما يسد رمقهم !!

أخطر المؤتمرات

من أخطر المؤتمرات التي حيكت ضد الأمة ، ومقدساتها ، (مؤتمر لندن) ، والذي تم فيه إقرار وثيقة (كامبل) . كان ذلك عام 1907 حينما قام رئيس وزراء بريطانيا هنري كامبل بنرمان بدعوة زعماء الدول الاستعمارية الكبرى عدا ألمانيا ، فشاركت فرنسا وهولندا وبلجيكا وإيطاليا وأسبانيا وبالطبع الدولة المضيفة بريطانيا ولم تنس كل دولة من الدول المشاركة أن تستقطب معها علماء في مجال الجغرافيا والتاريخ والاقتصاد والاجتماع وعلوم أخرى .. لماذا دعاهم كامبل ؟ قال لهم : نحن كدول كبرى تسيطر على العالم في مأزق كبير ، وإذ لم نستعد للخطر الكبير القادم فسيتفتت ملكنا ، ولن تقوم لنا قائمة ! تعجب الحاضرين من الكلام .. قائلين : وما هذا الخطر الداهم ؟ قال لهم بعد أن طلب منهم فتح خريطة العالم : انظروا إلى تلك البقعة من العالم ، وأشار بيده إلى منطقتنا العربية .. أنها من رأس الخيمة شرقا وحتى نواكشوط غربا تتكلم لغة واحدة ، وتدين بدين واحد ، وتجمعهم هوية واحدة وثقافة واحدة ، علاوة على ذلك فهي تضم كافة الموارد الطبيعية والبشرية الكفيلة بتحقيق نهضة عظيمة ستمحق دولنا نحن الغرب ! كما أن هذه المنطقة يخضع لها البحر الأحمر والمتوسط على ما فيهما من ممرات دولية حيوية ! ثم أردف كامبل قائلا : هذه المنطقة باختصار لا ينقضها إلا أمر واحد وتبدأ في سحب البساط من تحت أقدامنا ... سأل القوم وما هو هذا الشيء اجابهم قائلا : قائد صالح ! أدرك الجميع أنهم في ورطة فعلا ولاح في الأفق ضرورة البحث عن مخرج من هذه الأزمة في حالة فاقت هذه الدول وأدركت أنها قوية بالفعل ! فاقترح كامبل وغيره أن يتم زراعة جسم غريب في المنطقة العربية -- ولم يسموا

بعد إسرائيل -- ليؤدي ثلاثة وظائف : الأولي : فصل المشرق العربي عن المغرب العربي ، الثاني ، ضمان ولاءه لنا كدول غربية، ثالثا : زعزعة الاستقرار في تلك المنطقة من العالم ، لئلا تقوم لها نهضة ! على الجانب الآخر كان اليهود يتابعون ما يجري في الغرف المغلقة ، فاستغلوا الفرصة وذهب وفد إلى بريطانيا على رأسه تعلب الصهيونية العالمية (حاييم وايزمان) وقال لهم : نريد أن نكون نحن الجسم الغريب الذي تودون بناءه ! وسيكون ولائنا لكم لكننا نأمل ألا ينقطع دعمكم لنا وقد كان ! بالمناسبة وثيقة كامبل موجودة بين أيدينا من عشرات السنين وتوصيات مؤتمر بازل في سويسرا الذي سبق مؤتمر لندن 1907 بتسع سنوات موجودة ومنتشرة في الكتب ومواقع الانترنت . إذاً كانت البداية الفعلية من مؤتمر بازل 1897 واتضحت معاملها في لندن 1907 ودخلت حيز التنفيذ مع وعد بلفور 1917 وانتقلت إلى المستوى الثاني قبل الأخير إن شاء الله في 2017 !

ماذا أعددت للمستقبل ؟!

الجميع يتوقع أن تحل التكنولوجيا محل الجهد البشري ، وكثير من المنتجات لن يتفاعل معها البشر بل سيحل محل الإنسان الميكنة الحديثة بدءا من استقبال المواد الخام مروراً بالعمليات وصولاً لتعبئة والتغليف .. وفي حين يعد هذا التطور التكنولوجي وسيلة مجدية لتكثيف الإنتاج ، وتقوية الاقتصاد ، ووضع الدولة على خارطة الدول الاقتصادية الكبرى ، إلا أن الأمر له أبعاد سلبية أخرى .. قديما وقبل اختراع الآلة البخارية وما ترتب عليها من ظهور حروب الوفرة وضرورة البحث عن المواد الخام والسيطرة على الأسواق من قبل الإمبراطوريات الاستعمارية كان الإنسان شديد الصلة بالنبات والحيوان الأليف ، فبدا أكثر رحمة لأنه يتعامل مع كائنات حية غير متربصة به ، ومن شدة الاحتكاك جرى على ألسن البشر- كلمات وتعبيرات يستخدمها الحيوان ؛ فعلى سبيل المثال عندما يحدثك احدهم في أمر ما وتذكره فسيظهر تعبيرك بنفس تعبير البقرة أو الجاموسة ، والأقرب لهذا الشكل (أوووووم) ، وغيرها من المفردات حتى إن بعض المهتمين بعلم الاجتماع رصدوا مفردات كثيرة لدى الإنسان نتجت من تفاعله مع الحيوانات التي كان يربها ويراعها . الجانب الملفت في العلاقة الإنسانية النباتية الحيوانية أن النبات والحيوان يفرح برؤية صاحبه ، وبدا الإنسان أكثر اعتزازا بنفسه ، مقدرا لذاته ، متكيفاً مع نفسه ملبياً للاحتياجات الثانوية التي تضمن له نفسية سوية، لأنه كان يأكل من عمل يده ، ولأن الإنسان الذي يمارس الصناعة بيده ويرى منتجه قد بدا على شكله النهائي ؛ فإن ثمة فرحة تلامس قلبه ، تعبيراً عن الإنجاز ، على عكس المنتج الذي تطرحه الآلة والميكنة ، وربما لهذا السبب لازلت بعض المنتجات

اليدوية أغلى من المنتجات الصناعية ! المهم أن التطور التكنولوجي له العديد من الإيجابيات ، لكن له سلبيات كثيرة أيضا وهى في ازدياد ، من أهمها حاليا القضاء على مئات المهن التي يعمل بها ملايين البشر حول العالم ، في ظل الفجوة الواسعة بين ما ينتجه البعض من تقنيات وبين القصور الواضح في ملاحقة التطور التكنولوجي واتجاه الدول والأفراد إلى أساليب تعليمية تفرز منتجات متماشية مع واقع ومستقبل سوق العمل .. حقيقي نحن في أزمة كبيرة ..

إنما يبكي على الحب النساء !

دخل قاتل زيد بن الخطاب على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال له عمر - وكان شديد الحب لأخيه- والله إني لأكرهك كراهية الأرض للدم المسفوح .. فقال الرجل : أو يمنعني هذا الكره حقالي من حقوقي ؟ فقال عمر : لا فقال الرجل : مالي ولحبك ، إنما يبكي على الحب النساء ! هذا الموقف على بساطته ، ملهم للعاملين بمجال العلوم الإنسانية ، ونموذجا يمكن الاسترشاد به على واقعية هذا الدين وجماله ! وعلى كثرة الدروس التي وقفت عليها خلال قراءتي ، إلا أن الدرس الأبرز الذي لفت انتباهي أن الصالحين بشر ، يصيبهم ما يصيب بني آدم من مشاعر ؛ فهم يكرهون ويحبون ، يفرحون ويحزنون ، لكن الفيصل أنهم يميزون بين المشاعر والمعتقدات والحقوق .. مشكلة كثير منا عدم الفصل بين المعتقدات والأفكار والآراء مهما كانت صادمة ، وبين الحقوق .. الكافر له حقوق ، وصاحب الرأي له حقوق ، والظالم له حقوق ، ولا ينبغي أن تمنع الحقوق لأجل المعتقد أو الفكر أو الرأي أو الميل القلبي .. أعرف كثيرين من حولي قاطعوا أقاربهم بالكلية لأن اختياراتهم السياسية لم تكن متوافقة مع اختياراتهم ، ولعل هذا من الشطط الذي وسع الهوة ، وساهم في تعزيز الانقسام المجتمعي ، الذي هو حائل قوي باعتقادي للمضي قدما في طريق استعادة مصر ! لست مثاليا ، وربما كنت ضمن الذين خلطوا بين المعتقدات والأفكار والحقوق ، وضيعت حقوقا كثيرة ، لكني مؤمن بأنه لا وزن للعواطف وما يميل إليه القلب عند التعاطي مع حقوق الآخرين ، فأبوي لهما حقوق علي ، وأخي ، وأختي وخالاتي وعماتي وكل أقارب الدرجة الأولى لهم حقوق واجبهم علي أن أعطيها إياهم مهما صنعوا ولو بالحد الأدنى ، ولعل في التقرب منهم حسنة لله الفرج والانتقال من مربع تأييد الظالمين إلى مربع الحق وأهله ، وقد عايشت ذلك من قريبين مني !

من يتصدى للحمقى

على قلة عدد (الحمقى) قديما لكن الكتاب والعلماء استقطعوا وقتا لتأليف كتب تبرز مواقفهم كابن الجوزي الذي كتب (أخبار الحمقى والمغفلين) وغيره كثير ، بل وسموا بعضهم كجحا (على ذكاه) ، هبنقة ، حذنة ، أبي غبشان ، بن لجيم.. وعلى كثرتهم الآن لا يوجد كتاب واحد يحذر الناس منهم ومن أفعالهم على ما يفعلونه من تعكير صفو الحياة..

بتصلوا استسقاء ليه ؟

في إحدى السنوات شهدت مدينة جدة سيولا عظيمة أغرقت كما هائلا من السيارات والممتلكات ، وفيها فقد مصري مقيم بها سيارته فوقف أمام الأمانة يلطم ويصرخ قائلا : مادام عارفين إن ما عندكم تصريف سيول بتصلوا استسقاء ليه ؟

تمنيت أن أكون مكانه

في الصباح الباكر .. أوقف سيارته الفارهة ، ونادى على عامل النظافة الآسيوي ، وأعطاه كيسا به وجبة طعام ومبلغا من المال ، فرأيت فرحة في وجه ذلك العامل حتى تمنيت أن أكون مكانه من فرط الفرحة التي كست وجهه البائس !
صورة إنسانية بليغة من صور العطاء المجتمعي نحو التعاطف والرحمة والإحساس بالإنسان تجسدت أمامي فتمنيت مزيدا من طغيان الحس الإنساني في مجتمعاتنا العربية .

هتلر ودرس في القيادة

لثلاث تنهار نفوس الألمان مع الزعيم الجديد الذي أقحم البلاد في حروب طاحنة ، شرع (هتلر) في صناعة سيارة ألمانية تحت اسم (فولكس فاجن) أو (سيارة الشعب) ..

على أن اسمها في البداية كان (KDF) وهي اختصار لـ (Kraft durch Freude) ما يعني بالعربية (القوة من خلال السعادة) !

وزع الفوهرل السيارة على الشعب في رسالة مفادها : أن الخير قادم ، حتى في زمن الحروب والأوقات العصيبة ، وأنتم يا شباب لن تكونوا عاطلين يوما ما ، فمنكم من يذهب إلى الجبهة للقتال وسيادة هذا الكوكب ، ومنكم من يعمل على خطوط إنتاج صناعة السيارات والدبابات ومختلف المعدات . ستشعرون بذواتكم ، لن أدع اليأس يقتلكم !

أخطر ما يهدد أي فئة وأي مجتمع ضعف الأمل في النفوس ، ولهذا من يتأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم يجد أنه كان يغرس في نفوس من حوله التفاؤل والأمل مهما كانت التحديات والصعاب ... وكل قائد ناجح لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بغرس الأمل ، وشحن الهمم وتوجيه الطاقات نحو أهداف واضحة ، ورؤية معلنة ! مع فقدان الأمل وغياب من يبثه في مصر ، من الطبيعي جدا أن تشهد البلاد حالة من الهروب الجماعي للشباب ، وبات الخروج من مصر حلما يراود الأغلبية ..

شاب سعودي معرفة أحد أصدقائي قال كلاما ظاهره أضحكني ، يقول : ذهبت في سياحة لإحدى الجزر التابعة لدولة (تايلند) في وسط المحيط فوجدت هناك شابا مصرياً يعيش هناك ، ويتساءل آخر : أفي هذا الكواكب مكان لا يوجد فيه مصري ؟

فقه المهاجرين إلى الحبشة

لم يعرف النجاشي رحمه الله ملك الحبشة شيئاً عن الإسلام رغم أن المسلمين هاجروا إليه ومكثوا عنده فترة ، ولم يقيم المهاجرون بدعوته إلى الإسلام ! لقد فوجئ النجاشي بأن هناك دين جديد اسمه الإسلام في اللحظة التي حاول فيها عمرو بن العاص رضي الله عنه توريط المهاجرين لإرجاعهم إلى مكة . لماذا ؟ أليسوا دعاة وفروا من أجل دعوتهم بالأساس ؟

وكان الأولى أن يقوموا بواجب الدعوة لاسيما وأنهم في دعة وراحة ؟ لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم مدركين لفقه الأولويات، ولعلمهم فقهوا أن أولوية الظرف تقتضي الحفاظ على الدين ممثلاً في أشخاصهم ، وأنه ليس من الحنكة أن تفتح جبهات عليهم ، وفقهوا أن واجب الوقت الاهتمام بالسلامة الشخصية على حساب الجوانب الدعوية..

الشاهد : الحماسة وحدها لا تجدي نفعا ، والإخلاص وحده لا يجدي نفعا بل لا بد أن يجتمع الإخلاص والحماسة والفهم وينصهروا في بوتقة لإخراج فعل سوي موفق . وهكذا كل أمور الحياة

تواضع

صعر أستاذ الجامعة الذي يظن نفسه مركز الكون خده لإنسان بسيط لم يكمل تعليمه لظروف أملت به ، حينما أراد الأخير أن يهدي بعض النصائح له .. فوقع في الفخ !

آفة الإنسان الكبر والغرور ، والتعالي على خلق الله بحجة امتلاك شهادات أكاديمية ..

من يرد الله به خيرا يهبه نفسية سوية تحب العلم وأهله ولا تأنف أن (تتجرعه) من أي إنسان بل وأي حيوان !
 فطائر الهدهد علم الدنيا معنى الإيجابية ، وهو طير من الطيور المعروفة برأحتها التنتة لأنه يتغذى على الدود ! ونملة ضئيلة الحجم ، تعلم الدنيا معنى حسن الظن (لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) فحذرت قومها من التحطيم غير المقصود (وهم لا يشعرون) ..

الدراما وتلميع النجوم

كنت لا أعلم إلا القليل جدا عن العالم الفيزيائي العملاق (ستيفن هوكينج) قبل مشاهدة الفيلم الذي يحمل عنوان (The Theory of Everything) للممثل الإنجليزي ايدي ريدماين ، والمثلة البريطانية فيليسيتي جونز اللذان أبدعا في تسليط الضوء على تلك الشخصية المحورية في عالم الفيزياء النظرية وزوجته القوية جين وايلد هوكينغ .. يبدع الغرب حقيقة في إظهار رموزه ، فلم يكن فيلم (The Theory of Everything) هو الفيلم الوحيد الذي يتعرض للسير الذاتية لنوابغ الغرب في شتى العلوم والمعارف ، فقد أبدع الممثل راسل كرو من قبل في تجسيد الشخصية العبقريّة (جون فوربس ناش) الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد في فيلم يحمل عنوان (عقل جميل) .. العجيب أن منتجي الأفلام في منطقتنا العربية لديهم تصورات مفادها أن إنتاج أفلام خالية من القبلات والأحضان ، والبلطجة ، تمثل خسارة على المنتج ، والدخول فيها ضرب من الجنون باعتبارها مغامرة وخيمة العواقب .. والأعجب أن الفن كقيمة حتى لا زال بعيدا عن أيد أصحاب القضايا الحقّة، فتوظيفه ضعيف ، على الرغم من نجاعته كوسيلة

مضمونة ، وسريعة لإبراز الهدف ، فضلا عن أنه يمثل قيمة اقتصادية كبيرة .. لقد حقق الفيلم الذي جسد شخصية العالم الشهير (جون فوربس ناش) أكثر من (300) مليون دولار علاوة على أنه فاز بجائزة الأوسكار أربع مرات . كما حقق الفيلم الذي جسد شخصية عالم الفيزياء الإنجليزي ستيفن هوكينج إيرادات بلغت 110 مليون دولار في حين لم يصرف عليه إلا 15 مليون دولار علاوة على أنه حقق العديد من الجوائز العالمية ..

خير الأمور الوسط

لما عزل سيدنا عمر رضي الله عنه زياد بن أبيه عن الحكم ، سألّه زياد : لما عزلتني يا أمير المؤمنين ؟ ألعجز ، أم خيانة ؟؟ فقال عمر : لم أعزلك لواحدة منهما ، ولكني كرهت أن أحمل فضل عقلك على الناس !

لقد عرف عن زياد بن أبي سفيان أو زياد بن أبيه أنه شديد الذكاء جدا ، ويتمتع بدهاء قل نظيره ، وأمثال هؤلاء قد يخشى منهم إدارة المجموع حتى لا يحملوهم على ما لا تقتضيه الحكمة والمعرفة بطبائع البشر- المتفاوتة .. مشكلة من المشكلات الكبيرة أن يتولى شخص مسؤولية وهو ضعيف ، كما أنها من المشكلات أن يتولى شخص وهو شديد الذكاء؛ فقد يكلف من يقبع تحت مسؤوليته مالا يطيق ، لأنه يرى مالا يرى الآخرون من تبعات الأمور ولهذا اشترط بعضهم ألا يتولى المفرط في الذكاء أي مسؤولية..

إظهار العواطف .. ضرورة ملحة !

نادرا ما كنت أسمع كلمة حب من والدي عليه رحمة الله ، ولا أظن أنني سمعت والد أحد أصدقائي يعلن عن حبه لأحد أولاده ، لكننا كنا متأكدين من وجود هذا الحب المستتر ، الذي لا يظهر إلا حين حلول نائبة من نوابب الدهر ، كالمرض مثلا ! نشأنا ونشأت أجيال سابقة على نمط تربوي لا يعترف بالمشاعر المعلنة ، كأن يقول الأب لابنه (أنا أحبك) أو (اشتقت لك) ، أو يناديه بأحب الأسماء إليه ، وغيرها من الكلمات التي تعكس العواطف المدفونة ، ولما كبرنا أدركنا أن التعبير عن الحب عند هذا الجيل الفريد كان يأخذ أشكالا وطرقا مختلفة ، حتى بين الأزواج ؛ فرومانسية أمهاتنا وجداتنا تجاه أبنائنا وأجدادنا كانت تتمثل في (المناب) الأكبر خصوصا في اللحوم والطيور والأسماك ! تلك أجيال قد خلت ، لم تتلوث كثيرا بفيروسات العصر ، فأخرجت أجيالاً صالحة في غالبيتها ! كافة المعطيات الموجودة الآن من زيادة في الانفتاح ، وزيادة الضغوطات ، ومشاكل الحياة ، وغيرها من الأسباب الكثيرة أوجدت ضرورة التعبير عن المشاعر بين الآباء والأبناء وبين الأزواج وزوجاتهم وبين مختلف شرائح المجتمع ، ولا سبيل لبناء حياة أسرية سليمة يستجيب فيها الابن لنصائح الأب والأم ، ولا حياة زوجية صامدة أمام كل التحديات والصعوبات إلا بإخراج الشحنات العاطفية والألفاظ المنتقاة بعناية حتى لو كانت كذبا !

أزعم أن غالبية المشكلات الأسرية حاليا سببها طغيان فحولة الجسد على فحولة اللسان ، حيث غابت المشاعر الصريحة التي تعد بمثابة ترياق يمنح الحياة الأسرية والزوجية قوة وحلاوة .. وأتصور أنه لن يشعر أطفالنا بالطمأنينة اللازمة

والاستقرار النفسي والعاطفي إلا بإظهار عواطفنا نحوهم ، ولن يكون هناك ترابطا قويا بين أبناء الشعب الواحد بما يساهم في إيجاد مجتمع قوي يحمل بعضه هم بعض إلا بكشف الحب وإعلانه ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الذي كان يجلس عنده أن يقول للرجل الذي يحبه إني أحبك صريحة وجها لوجه ، إذ ليس كل الناس قادرين على استنتاج الحب !

من يذكر اليوم صبري !

بينما يضحك كثيرون عند مشاهدة برنامج (مذيع الشارع) الذي يقدمه الشاب الموهوب أحمد رأفت ، أجد غصة في حلقي لا أكاد أقدر على التخلص منها ؛ فالحلقات التي تعتمد على طرح أسئلة غاية في البساطة والسهولة ، لا تجد من يجيب عليها ، وليست الكارثة هنا ؛ بل الكارثة أنك تسمع إجابات غير منطقية على الإطلاق ، برز ذلك في آخر حلقة عندما كان يسأل شباب مصر الواعد عن سبب تسمية (عاشوراء) بهذا الاسم ! لا أدري وسط هذا الجو الملبد بالجهل تذكرت رمزا من رموز أمتنا المصرية وقلت في نفسي ماذا لو كان هذا الرمز مادة الأسئلة التي يطرحها أحمد رأفت في برنامجه هل كان سيرفه أحد ؟!

لو لم يعرف اسماعيل باشا صبري أحد من الشباب الذين غيب عقولهم الإعلام بكل مشتملاته ، لكان معذورا ؛ فالرجل ظل مغمورا ولم يتناول أحد سيرته بعمل متقن يبرز صنعته الشعرية وإمكاناته الأدبية ، عالية الجودة .. ربما لأنه كان وطنيا بحق !

مثله مثل محمود سامي البارودي وغيره من الشعراء الذين شكلوا وجدان مصر- بحق . في تصوري أن البارودي وإسماعيل باشا صبري من أبرز شعراء مدرسة

الإحياء والبعث التي تخرج منها شوقي وحافظ إبراهيم وأحمد محرم وعلى الجارم ، غير أن قصائد صبري من القصائد البديعة الفكاهية التي لا تخلو من نفحة إنسانية تهب هبوبا عاليا شكلت لمتذوقي الأدب وجهة يحن إليها كلما دعا داعي الشوق إلى منبع الجمال !

ولعل صبري كان يعلم أن قلة في الأمة هي التي تهتم برموزها الحقيقيين حينما قال : أين "صبري" من يذكر اليوم "صبري" .. بعد أعوام عزلة وشهور اسألوا الشعر فهو أعلم هلا .. أكلته الأسماك طي بحور.

ليست العبرة بمن سبق .. بل بمن صدق

السبق في أي عمل خير له أجره ، وفضله ، لكن لا يجب أن نجعله المقياس الأوحده في النظر إلى الأمور ، واستجلاء المواقف .. ذلك أن إرهابا فكريا يبرز عند الحديث عن نقد من كان له السبق في أمر من الأمور الجليلة . فأهم من السبق الصدق والثبات على المبدأ .. لم يكن لقبيلة ثقيف على سبيل المثال فضل السبق في الدخول في الإسلام ، بل كانت آخر القبائل العربية دخولا فيه ، غير أنها من القبائل المعدودة التي ثبتت عليه يوم ارتد الناس عن الإسلام ، بل كان لها دور في محاربة (السابقين) الذين حادوا عن جادة الصواب !

سر هزيمتنا شح الأخلاق

عندما دخل المسلمون الأوائل بلاد الأندلس فاتحين أظهروا عظيم أخلاقهم وحولوا القيم السامية التي جاء بها الإسلام إلى واقع ملموس فتأثر أهل البلاد وأعجبوا بهم أيما إعجاب فدخلوا في دين الله أفواجا.. لدرجة أن أحد قادة لذريق أرسل إليه رسالة يصف فيها حال المسلمين الفاتحين جاء فيها : (لقد نزل بأرضنا قوم لا

ندري أهبطوا من السماء أم نبعوا من الأرض). لكن لما تخلى القوم عن أخلاقهم وقيم إسلامهم وقعوا فريسة سهلة لأعدائهم.. وفي هذا يقول بن خلدون في مقدمته: إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة حملهم على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وسلوك طريقها ، وهذا ما حدث في الأندلس وأدى فيما أدى إلى ضياعه. تلك الحقيقة أدركها كثيرون عجماء وعرباً ومسلمون ففي أحد مقولاته يقول الكاتب المسيحي كوندري : العرب هَوُوا عندما نسوا فضائلهم التي جاؤوا بها ، وأصبحوا على قلب متقلب يميل إلى الخفة والمرح والاسترسال بالشهوات ..

لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذوي الفضل

قدر لي مؤخراً إجراء حوار صحفي مع أحد الشخصيات المرموقة في عالم المال والأعمال ، وفي ثنايا حديثه استوقفني أمر في غاية الأهمية أحببت أن أذكر به نفسي والأصدقاء ..

يعد هذا الرجل من أنجح رجال الأعمال في مجالته ، وفي أثناء الحديث الممتد لما يقرب من ساعة لم ينس بعد كل نجاح أشار إليه في مسيرته أن ينسب الفضل فيه إلى الله ثم إلي رجل مصري .. اشتقت لمعرفته من الكلام عنه . وفي نهاية اللقاء ذكر رجل الأعمال نبذة عن ذلك الشخص الذي كرر اسمه في الحديث مرات ومرات فقال : كنت لا أعلم شيئاً في مجال عملي بعد التخرج من الجامعة ، ولما ذهبت لجهة تدريبية كان الجميع يبخل علي بالمعلومات ، فلم أتعلم إلا القليل حتى رزقني الله بشخص لم يبخل علي بأي معلومة وكان يبادر إلي بالمعلومات حتى لو لم أطلبها ، فأنا أدين له بالفضل ، ولولاه ما نجحت ولا كنت في الموقع الذي أنا فيه الآن .. ربما مر على هذه الحادثة سنوات طويلة لكن الرجل لم ينس فضل من علمه علماً ،

وسانده .. لاشك هو رجل أصيل ، ولا شك أن السيرة الحسنة والأخلاق الفاضلة التي تحلى بها الرجل الذي علمه كسب بها قلوب الناس وجعل الألسنة تدعوه في غيابه ، وتذكره بالخير دائما ! لما قال النبي للسيدة خديجة لقد خشيت على نفسي- قالت له : كلا، أبشر؛ فوالله لا يخزيك الله أبداً؛ والله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. ولهذا ما أحوجنا إلى التحلي بمثل هذه الأخلاق الجميلة ، فمن عاش بين الناس جابرا للخواطر ، أرضاه الله وأدركه في جوف المخاطر !

نعمة المدرسة

لو لم يكن لعودة المدارس من نفع إلا أن ينسجم الأطفال مع نوااميس الكون فينامون مبكرا ويستيقظون مبكرا لكفى بها من فائدة ..

اخلع نظارتك السوداء لترى الأمور على حقيقتها

كثير من الناس كحال المرأة التي انتقلت إلى بيت جديد مع زوجها وفي صباح اليوم الأول وبينما تتناول الإفطار معه قالت له وهي تشير من خلف زجاج النافذة المطلة على الحديقة المشتركة بينهما وبين جيرانهما : انظريا عزيزي، إن غسيل جارتنا ليس نظيفا.. لابد أنها تشتري مسحوقا رخيصا .. ودأبت على إلقاء نفس التعليق في كل مرة ترى جارتها تنشر الغسيل .. ثم تبين لها بعد شهر أن الغسيل نظيف فأردفت قائلة : انظر .. لقد تعلمت أخيرا كيف تغسل.. فأجاب زوجها : عزيزتي لقد قمت بنفسي مبكرا هذا الصباح ونظفت زجاج النافذة التي تنظرين

منها .. ؟!!!! كثير من الناس حاله كحال تلك المرأة ينظرون إلى الناس بنظارتهم السوداء ، فيرون كل شيء مشوها ، ويظنون على هذه الحال حتى يكرمهم الله بمن ينظف لهم نظاراتهم أو بمن يكسر الزجاج الذي يروونه متسخا .. أحسنوا الظن بالناس والابتعاد كل البعد عن سوء الظن بهم ؛ لأن سرائر الناس ودواخلهم لا يعلمها إلا الله تعالى وحده ..

احذر أن تكون من هؤلاء

(لا يدخل الجنة عاق لوالديه) (لا يدخل الجنة مدمن خمر) (لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه) (لا يدخل الجنة قاطع) (لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر) احذر أن تكون واحدا من هؤلاء .

احترام التخصص

" إن من شيوخي من أطلب منه الدعاء ، ولا أقبل روايته " يعلمنا الإمام مالك من خلال مقولته هذه فن احترام وتقدير الآخرين والاعتراف لهم بفضلهم فيما يحسنون ويتقنون وليس شرط الأفضلية التفوق في كافة مجالات الحياة . كما يعلمنا احترام التخصص والرجوع إلى أهل الذكر كل في مجاله!

لا تجعل من نفسك مسطرة تقيس الناس بها

بعض الناس يرسم صورة ما ، ويضع مقياسا ومعيارا لما يجب أن تكون عليه تضحيات الآخرين دون مراعاة لمسألة أن الناس ليسوا سواء في كل شئ بدءاً من قربهم من الله، مروراً بمدى طاقاتهم وقدراتهم على التحمل في المواقف المختلفة ، وصولاً لنمط تعاطيهم مع الناس والمجتمع بوجه عام . ففي مسألة الإنفاق على سبيل المثال بين الصحابة نجد أنهم رضوان الله عليهم قد تباينوا تبايناً كبيراً ، فمنهم من تبرع بماله كله (أبو بكر) ، ومنهم من تبرع بنصفه (عمر بن الخطاب) ، ومنهم من تبرع بنصفه سرا ونصفه جهرا (علي بن أبي طالب) ، ومنهم من تبرع بمبلغ كبير لكنه لا يمثل نص أو ربع مجموع ماله ربما (عبد الرحمن بن عوف) و (عثمان بن عفان) وهكذا ، كما تباينوا في مسألة الشجاعة فمنهم من كان مقداما لا يهاب الموت ومواجهة الأعداء (حمزة ، خالد ، عمر ، ...) ، ومنهم من اقتصم بالخوف كحسان وغيره ! ومن ثم فلا بد أن تراعى طبائع الناس ، كما أن العبرة بصدق النوايا ، والتعاون من أجل المنظومة وضمان انسجامها وترباطها لا من أجل الكم . المهم ألا نقلل من أي تضحية مقدمة بل نبجلها ونعترف لصاحبها بالفضل ، والأهم أن يسعى الجميع لأن يضحى في المجال الذي يتقنه ويحسن أن يبدع وينتج فيه .

فكرة مبتكرة

في امتحاناتها تعتمد بعض الكليات كالطب مثلاً فكرة **Fatal Mistake** بمعنى لو كانت إجابة الطالب على الامتحان سليمة مئة بالمئة ولكن كانت إجابة سؤال (بديهي) خطأ فإن الطالب يرسب في الامتحان . ليس تجني على الطالب بقدر ماهي وسيلة للحد من انتشار العاهات في المجتمع .. من عينة **Fatal Mistake** مثلاً أن يوجد بكلية الطب طالب لا يعرف النسبة الطبيعية لضغط الدم . إزاء ما نراه من ضرب لكثير من المسلمات والبديهيات .. كثير من الناس لا يستحقون الرسوب فقط بل يستحقون الشنق كل لحظة !

الجلالين

من يقرأ تفسير الجلالين لا يلحظ فرقاً كبيراً بين تفسير النصف الأول من القرآن والنصف الآخر ؛ فكلا النصفين يشعر القارئ في معيتهما بمدى الفتوحات الربانية المنزلة على الجلالين (جلال الدين المحلي ، وجلال الدين السيوطي) .. ومن عجب الأمر أن جلال الدين المحلي تميز بذكاء مبهر، وعقلية رياضية فاقت التصور، لكنه مع ذلك كان يجد مشقة كبيرة في الحفظ ، حتى أنه ذات مرة مرض مرضاً شديداً ، من شدة الإجهاد والمحاولات المستميتة في الحفظ ! على الجانب الآخر تميز جلال الدين السيوطي بالحفظ ؛ فكان يحفظ (200) ألف حديث وما وقع شيء في يده إلا حفظه .. كلاهما كتب تفسير الجلالين الذي لا تكاد تلحظ معه فروقات كبيرة بين النصف الذي ألفه الأول والنصف الذي ألفه الثاني ..

إن الناس قدرات متفاوتة وربما ينجح المرء في مخادعة نفسه ويعتذر لكسلها بحجب واهية . وهكذا الناس في الدنيا متفاوتون ومتباينون في القدرات والطاقات ،

فلا تنتظر من زيد ما تنتظره من عبيد ، ولكن انتظر الإنجازات بعد المقدمات
السليمة !

كثير من أولياء الأمور يقسون على أبنائهم لأنهم لا يحفظون جيدا ، ليتهم يعلمون
أن الحفظ موهبة من الله !

ماذا تعرف عن شعب الهونزا ؟

هل سمعتم من قبل عن شعب الهونزا ؟
تعددت الأقوال في شأن قبائل الهونزا التي تسكن على ضفاف نهر الهونزا ، الواقع
بين الهند وباكستان ، لكن أشهر الأقوال أنهم بقايا جيوش الإسكندر الأكبر التي
تاهت في الصحراء والذين استقروا في تلك البقعة من العالم .. تصل أعمارهم إلى
(120) سنة ، ومع العمر الكبير لا يبدو على الشخص هناك علامات للشيخوخة ،
فقد ترى الرجل ذو السبعين عاما وتتصور أنه ابن العشرين ! نزلت إلى تلك
البقعة كثير من الحملات العلمية بغرض دراسة هذا الشعب من حيث طبيعة
المأكل والمشرب فتبين لهم أمور تبدو من المستحيلات .. فالنساء هناك على سبيل
المقال يحملن ويلدن وهن في سن السبعين ، وهو أمر معروف ويخلو من أي شعور
بالغربة .. وذات مرة رأى الباحث الاسكتلندي روبرت مكاريسون إمرة في الستين
من عمرها فظن أنها في عمر الثامنة عشر ، فقرر الانتقال والعيش هناك :) من
بين التفسيرات التي توصل إليها العلماء أن السبب في طول أعمار شعب الهونزا
بعيدا عن النظام الغذائي الجيد يكمن في الحرية التي يتمتع بها هذا الشعب ، ذلك
أن سكان القبيلة التي تبلغ (30) ألف نسمة يتمتعون بحرية مطلقة ، وتبدو
حياتهم بسيطة مفعمة بالحب والود والتعاطف والتعاون ! اللهم هنز نسائنا ..

اللهم اكتبها لكل مشتاق

منتصف ديسمبر ٢٠٠٧.. شهد هذا اليوم حدثا من أهم الأحداث التي مرت علي في حياتي ، حيث سحت لي الفرصة لأن أكون مشرفا لأول مرة في حملة حج منطلقا من الرياض إلى مكة المكرمة .. دخلت المملكة في السابع والعشرين من نوفمبر 2007 م ، ونظرا لإجراءات الإقامة ، ورخصة القيادة ، وترتيب السكن والعمل ، وقلة المال ، وضيق الوقت وغيرها من الأمور تصورت أن حج ذلك العام من المستحيلات.. كانت الأسباب المادية حائلا ، لكن لطف الله كان حاضرا طلب مني مسؤول الحملة في الرياض أن أتوجه إلى مكة لترتيب المكان الذي ستنزل فيه الحملة ، بحيث يكون جاهزا لاستقبال الحجاج ، كان ذلك قبل الحج ببضعة أيام تقريبا .. كان معي اثنين لنفس المهمة فاستأجرنا سيارة خاصة من الرياض إلى مكة ، وطيلة الطريق كنت أشعر أن روعي تسبقيني إلى الكعبة المشرفة ، وكلما قطعنا أرضا تسارعت نبضات القلب ، وزادت اللهفة لتزيين العين برؤية الحرم .. أو شطنا على الوصول، لم يتبق إلا ساعة واحدة وندخل مكة .. وفي الحاجز الأمني الذي يلي منطقة السيل الكبير استوقفنا الحاجز الأمني وطلب منا الرجوع إلى الرياض مرة أخرى لأننا لم نحمل ترخيصا للحج ! قلت في نفسي أبعد أن قطعنا أكثر من 800 كيلو نعود مرة أخرى ولا نرى الحرم ولا نحج ؟!

وبينما كان الجالسون بجواري في السيارة في قلق واضطراب وحزن شديد ، كنت أشعر أن الله لا يخذلنا ، وسيأتي التيسير قريبا !

استجاب السائق لتعليمات رجل الأمن وعدل سيارته صوب الرياض مرة أخرى ، وقطعنا ما يقرب من 80 كيلومتر ، ثم قلت للسائق استدر وعد إلى مكة مرة

أخرى ، فلن أتحمل أن أعود إلى الرياض دون حج ودون رؤية الكعبة المشرفة ..
 بالفعل استدار وتوجه إلى مكة ، ولما وقفنا أمام الحاجز الأمني إذ بجوال رجل الأمن
 يدق ، فانشغل به وأشار إلينا بيده أن اعبروا امتزح الفرع بالدموع ، واختلطت
 مشاعر الحب في القلب ، فكانت فرحة لم يعهدها قلبي من قبل !
 من جميل نعم الله على العبد أن تكتحل عينه برؤية الكعبة المشرفة ، والصلاة في
 المسجد الحرام .. اللهم اكتبها لكل مشتاق ويسر- لحجاج هذا العام ، واحفظهم
 بحفظك ، وأعدهم إلى بلادهم وديارهم مقبولين ، فائزين ، سالمين مغفورا .

ولا تصعر خدك للناس

استيقظت يوما فوجدتني لا أستطع تحريك رقبتني إلا في اتجاه واحد ، لدرجة أنني
 خشيت الذهاب بالسيارة إلى العمل لأنني لم أتمكن من رؤية المرأة الموجودة عن
 يميني .. فجاءتني هذه الخاطرة : في وصايا لقمان لابنه بحسب ما وردت في القرآن
 الكريم ، جاء التحذير من الشرك على رأس تلك الوصايا مروراً بالإحسان إلى
 الوالدين ، ومراقبة الله سبحانه وتعالى ، والأمر بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف
 والنهي عن المنكر وصولاً للصبر على الملمات والخطوب والتواضع وعدم الكبر
 وضرورة خفض الصوت .. فالتأمل يجد الوصايا تنوعت ما بين العقائد والعبادات
 والأخلاق ولم تقتصر على جانب واحد ! وفي معرض حديث لقمان لابنه نصحه
 بألا يصعر خده للناس ، ومن يتأمل في الآية يجد بلاغة وإعجازاً عجيباً
 ف(الصعر) مرض تصاب به الإبل ، يأتيها في رقبتها ، لا تتمكن معه من إعادة
 رقبتها إلى حالتها الطبيعية ، فتظل رقبتها معلقة في الهواء مع ألم شديد وكلما
 حاولت الرجوع إلى الوضع الطبيعي شعرت بألم أشد !

وهنا يحذر المولى سبحانه وتعالى المغرورين ، المعجبين بأنفسهم ، المتكبرين على خلق الله من مغبة الوقوع في هذا الإثم العظيم الذي يهدد حياة المجتمعات ؛ ذلك أنه يبعث على الشقاق والنفور والكراهية بين الناس واللطفية في الآية أن احذر أيها الإنسان أن تميل بمخدك عن الناس كبرا وفخرا ، فربما إن أعرضت بوجهك ورفعته عاليا لم تتمكن من إرجاعه مرة أخرى !

لا تكن إمعة

ومن الأمور المنتشرة التي أخذت شكل الظاهرة ؛ تعاطي البعض مع ما يقوله أو يكتبه الكتاب والرموز في شتى الميادين ، فإن كان الكاتب أو القائل محبوبا ، مقربا من النفس حدث تفاعل بين عين القارئ ودماغه وبين النص المكتوب أو الكلمة المسموعة ، فينتج أنزيما يصيب القارئ بعمى الحب ، فلا ترى منه إلا قبولاً واستحساناً ، يتبعه مدح وإطراء.. وأما إن كان الكاتب أو القائل مكروها فلا ترى إلا تفاعلا متوترا من القارئ أو السامع ينتج أنزيما شيطانية تجعله يرى كل ما كتب أو قيل قبيحا ، يتبعه نقد وتحريج .. لا تكن إمعة ، واجتهد أن تكون مع الحق حيث دار ، فكم من فاسد أجرى الله الحق على لسانه ، وكم صالح ضل من بعد صلاح وأضل غيره ! ولا يجرمنكم شأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا ..

عندنا يعم الظلام يرسل الله بصيص أمل للفئة المؤمنة

بعد موت الحاجب المنصور مؤسس الدولة العامرية في الأندلس ، انقسمت البلاد التي كانت تجمعها راية واحدة إلى أكثر من (20) دويلة لكل واحدة أمير وحدود وجيش وعلم وسفراء وكل أمير يدعى أنه حامي حمى الإسلام ! وكان من الأمور

اللطفية أن الرجل في سفره ربما يمر على ثلاثة دول في يوم واحد وربما أكثر وذلك لصغر مساحتها ، الأمر الذي استغله ممالك النصارى واستطاعوا من خلاله إحكام السيطرة على تلك الدويلات ، فقام الفونسو السادس بفرض الجزية على كل تلك الدويلات فوافقت .. وساد النذل والهوان بين المسلمين . من بين تلك الظلمة قام رجل واحد يدعى المتوكل بن الأفطس أمير مملكة بطليوس بطرد رسول الفونسو السادس وأبدى رغبته في عدم الموافقة على دفع الجزية في حين أن مملكته صغيرة جدا . ترى ما الذي جعل المتوكل بن الأفطس يرفض أن يدفع الجزية لملك النصارى في حين أن 21 ملكا من ملوك المسلمين يدفعون الجزية وهم صاغرون ؟ إنها عزة المسلم وأنفة المؤمن وكبرياء صاحب العقيدة السليمة . ترى هل استطاع الفونسو أن ينال من ابن الأفطس ؟

لا .. فقد أرسل الفونسو رسالة يتوعد فيها ابن الأفطس مطالبا إياه أن يدفع الجزية أسوة بغيره من ملوك المسلمين وإلا ناله عقاب شديد . فكان رد المتوكل كله عزة حيث أعلمه أن جيشه المسلم لا يهاب القتال في سبيل الله وأن أحفاد محمد صلى الله عليه وسلم جنودا أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون ، بالتقوى يعرفون ، وبالتوبة يتضرعون . وفي عزة قال له : بينا وبينك السيوف إما تصر عليك وإما شهادة .. فما استطاع الفونسو أن يرسل له جيشا واكتفى بما يأخذ من الممالك الأخرى . عندنا يعم الظلام يرسل الله بصيص أمل للفئة المؤمنة .. انظر حولك بتمعن وستراه !

مواقف مؤثرة من رحلتي للحج

في عام 2011م طلب مني مكتب من مكاتب الحج والعمرة بالرياض أن أكون مشرفاً ثقافياً لأحد الباصات المتوجهة لمكة المكرمة ، لأداء فريضة الحج لذلك العام ، فقبلت على الفور لأنني كنت أبحث عن أمر مثل هذا .. لقد كنت في غاية الاستغراب عندما أقف على نص في السيرة النبوية يشير إلى تعظيم المجتمع القرشي لخدمة الحجيج ، بل كان الاستغراب على أشده حينما أقف على نص يشير إلى أن المسارعة في خدمتهم والقيام على أمرهم مما يعتز به ذلك المجتمع الجاهلي ويفتخر به .. زال الاستغراب بعدما ذقت حلاوة خدمتهم ، والسهر على تلبية احتياجاتهم ، لاسيما مع إدراك أن ذلك الحدث المكاني مرافق لحدث زمني فيه الأعمال والمقربات من أجل وأعظم ما يقوم به الإنسان ، وأكثرها أجراً ، مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم " ما العمل في أيام العشر أفضل من العمل في هذه " قالوا: ولا الجهاد؟ قال: " ولا الجهاد. إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله، فلم يرجع بشيء) .. سلمني مسؤول المكتب كشفاً لحوالي (50) راكبا ، وأوصاني بحسن خدمتهم ، والإجابة على استفساراتهم ، وإيصالهم إلى مسكنهم بمكة ، وملازمتهم على مدار الساعة ، والإشراف على مأكلاتهم ومشربهم ، وإتمام مناسكهم .. كان بالباص ثلاث عائلات من تونس الحبيبة ، ومثلهم من الأردن وفلسطين ، وبقيته من المصريين المقيمين والزائرين .. حدثان مهمان في تلك الرحلة لم أنساها أبداً ، أما الحدث الأول فكان متعلق بأحد لواءات الجيش الذي كان يرافقنا ، والثاني متعلق بعائلة تونسية مكونة من الأب والأم وابنتهما..

الحدث الأول: حضر الركاب كلهم صباحا إلى مكان التجمع الذي كان من المقرر أن نطلق منه إلا واحدا، وأثناء انتظاره كان الدكتور عماد يوصيني بعائلته التي استقدمها من تونس لأداء فريضة الحج! بضعة دقائق ورأيت رجلا ستينيا يمضي- نحونا مسرعا، وعرفني باسمه فعرفت أنه ذلك الرجل الذي ننتظره، سلم علينا وأشرت له على مقعده، الذي كان في الكرسي الأخير.. أي فوق ماكينة الباص حيث الإزعاج وشدة الحرارة! وقبل الانطلاق بدقائق، أمسك رجلا لا أعرفه بيدي وقال لي: (خد بالك من اسماعيل بيه) .. تنحت على الفور وقلت في بالي: معانا بهوات في الرحلة! ربنا يستر.:) اسماعيل بيه.. عميد صاعقة متقاعد بالقوات المسلحة المصرية، وهو ذلك الحاج الذي جاء متأخرا، وهو الذي رضي أن يجلس في مؤخرة الباص التي يفر منها الركاب.. لكنه لم يمتعض أو يبدي انزعاجا فلمحت للوهلة الأولى حسن تواضعه.. ربما كان منزعجا لكنه لم يبد.. بل كانت هناك ابتسامة مرسومة على وجهه تنبئ عن قلب نقي، وعقل ذكي! تحركنا.. ورددنا أذكار الصباح، وأدعية السفر، وشرعت في كلمة افتتاحية للتذكير بأمر تجديد النية، والتأكيد على مسألة الذكر على الدوام.. وأثناء الحديث عن فضل الذكر قلت: كان شعار القوات المسلحة المصرية قبل معركة العاشر من رمضان: أرض بحر جو.. فانهزمت. في حين كان شعارها في حرب العاشر من رمضان: الله أكبر.. فانتصرت. وإذ باسماعيل بيه ينتفض من مكانه ويكبر بصوت عال، فسرني ذلك..:) مكثنا ما يقرب من عشرة أيام، كنا لا نفارق بعضنا البعض إلا قليلا، كان لا يأكل إلا إذا جلست بجواره، حتى لو تأخرت عنه كثيرا، وكان لا يذهب في أي مكان إلا إذا كنت معه فنشأت بيننا علاقة لا يمكن وصفها.. ولما ذهبنا سويا إلى المسجد الحرام ووقفنا أمام الكعبة وما أن شرع الرجل في الصلاة إلا وفي صدره

أزیز كأزیز الرحا من البكاء ، فاحتقرت صلاقي إلى صلاته ، وقراءتي إلى قراءته ، وقلت في نفسي : والله كل الناس خير مني . ليس عندي أصدق من بكاء يتردد في النفس من خشية الله واستحضار جلاله ، وليس هناك ترجمان أقوى منه عم يعتري القلب من وجل ورقة ! والله لقد رأيت في الرجل ما هالني ، من حسن معشر ، وكرم ، ولين جانب ، وتواضع جم ، وحب للدين ، وللوطن .. ولا داعي للتفاصيل . ولهذا ما ترددت لحظة في تصديق مقولة إن لدينا (رجالاً زى الذهب) !

الحدث الثاني : لطالما كان الانطباع الأول لدي عن التونسيين سيئاً بعض الشيء ، ذلك أن أول من قابلته من ذلك الشعب العربي المسلم أثناء سفري وأنا طالب جامعي لم يكن معبراً بشكل حقيقي عن طبيعة البلد ، وأهله .. تكرر التعامل مع شخصيات تونسية في مناسبات مختلفة ، فرأيت نماذج مشرفة تبرهن على أن الشعب التونسي الأصيل من الشعوب المثقفة ، المدركة لذاتها ، الواثقة من نفسها ! على أن تجربتي مع عمي حسن وزوجته المباركة وابنتهما الكريمة في رحلة الحج ، تركت عندي انطباعات رائعة لم أزل أذوق حلاوته حتى الآن .. قضيت مع عمي حسن وزوجته أياماً ، في مكة ؛ فكنت أشعر بقربهما وكأني من عطائهما ارتويت ، ومن دعواتهما احتमित ! مكثنا قليلاً معنا في الرياض ثم سافرا إلى تونس ، فتصورت أن زحام الحياة وهمومها ستنسيني رحيل عمي حسن وزوجته ، لكن ذلك لم يحدث ، حيث كان الحنين إليهما يداعيني من وقت لآخر ، وكان الألم يصاحبني كلما تذكرت أن عيني لا تكتحل برؤيتهما مرة أخرى ! على الجانب الآخر كنت أستشعر أن معية الله معي في كثير من الأمور ، وعناية الله حاضرة في

مواقف صعبة تعرضت لها أزعجني لم أقدم لها من الأعمال الصالحة ! كنت دائما بعد كل مشكلة تحل بي ، ثم أجد لطف الله الكبير أستشعر أن هناك سر ما وراء هذا الأمر ! وفي إحدى المرات التي اتصلت فيها بعلمي حسن وزوجته بتونس ، أخبرتني الوالدة المباركة أنها عاهدت الله سبحانه وتعالى ألا تمر صلاة فجر دون أن تدعو الله لي بظاهر الغيب ، معللة ذلك بالوقوف معهم أثناء فترة الحج ، والقيام على أمرهم .. فلم أتمالك نفسي من البكاء ! سبحان الله ! لم أقم بعمل يستحق كل هذا الثناء والشكر أصلا ! مرت (6) سنوات ، قلت في نفسي ، لعلها توقفت عن الدعاء ، فإذا بها من فترة قريبة ترسل لي رسالة تقول فيها : لازلت على العهد ابني سيد .. لقد علمني هذا الموقف وغيره ، ألا أستقلل عمل خير مهما حييت ، وأدركت أن الحضيف في هذه الدنيا من يلقي بدلوه في كل بئر ، ويرمي بسهمه في كل ميدان ؛ فلا يدري بأي سهم أصاب وقد جعل الله للخير أسباب !

رحلة مع عالم فضاء

قبل ستة أعوام تقريبا قررت التوجه من الرياض إلى مكة لأداء العمرة ، وعندما صعدت إلى الباص وجدت أن الجالس في الكرسي المجاور لي رجل مصري خمسيني ، تبدو عليه ملامح الوقار ، والاحترام ، والأدب الجم .. فأنشرح صدري لا لشيء أعرفه !

ربما تصورت أن رحلة ممتدة لأكثر من ثلاثة أيام مع رفقة رجل كهذا ستترك عندي انطبعا جيدا . وقد كان بالفعل ! بادرت بالتعرف عليه قائلا : أخوك سيد حمدي ، صحفي ، مقيم بالمملكة . فرد علي هو الآخر بتعريف مقتضب ، ثم أخبرني أنه جاء إلى المملكة لحضور مؤتمر علمي متعلق بعلوم الفضاء ، وأن هذه الزيارة هي الأولى له لبلاد الحرمين !

عدلت من جلستي ، وضمت رجلي المتباعدتين أسفل الكرسي طالما أن الأمر متعلق بالفضاء :

كان الكلام قليلا أثناء رحلة الذهاب التي امتدت لما يقرب من (12) ساعة . من حسن حظي وبدون ترتيب مسبق وجدته المرافق لي في نفس الغرفة التي نزلنا فيها ، فأسرعت بترتيب فرشته ، ولملمة أغراضه في اهتمام متزايد لا تلقائي .

وبعد أن انتهينا من أداء العمرة توجهنا إلى الفندق ، وتجادبنا أطراف الحديث على علبتين من الزبادي وطبق من الفول ، فرأيت منه تواسعا جما لطالما اتصف به العلماء الأفذاذ ! وخلال رحلة العودة تحول الحديث المقتضب إلى حديث مفتوح لم يتوقف طيلة الطريق ، عرفت من خلاله أن الرجل عالم مصري ، رفيع المستوى في مجال علوم الفضاء والاستشعار عن بعد .. مكث في الولايات المتحدة

الأمريكية فترة من الزمن ، حصل فيها على الدكتوراة في مجال حساس للغاية .. ولما قامت ثورة يناير ، قرر العودة إلى مصر ، ساومه الأمريكان على البقاء لكنه قرر العودة مهما كانت الظروف .. قاطعته وقلت له : لماذا الإصرار على العودة ؟ قال وقطرات دمع غالية تتهدى من عينيه (ما صدقت بلدنا ترجع تاني لنا يا بني ، عايزين نساهم في بنائها) .. لم أنس الحرقه التي رافقت كلماته !

وأردف قائلا : كنت أتقاضى راتباً في أمريكا أضعاف أضعاف ما أتقاضاه في مصر ، أغراني كلامه بالسؤال عن راتبه في مصر ، فعلمت أنه دخل سباك أو نجار في يوم أو يومين ! تملكنتني حالة من الفرح والحزن في آن واحد ، أما الفرح فلرؤية أمثال هؤلاء الرجال العظام ، وأما الحزن فعلى خيبة أمل الرجل الذي رأى حلمه يتهاوي أمام عينيه !

أسأل الله أن يحقق حلمه وأحلامنا وأن نرى بلادنا في رفعة وتقدم ، للعلماء فيها مكانتهم ، وللأحرار فيها كلمتهم !

إن فاتك الميري اتمرغ في ترابه

لعل المفكر العراقي الكبير وعالم الاجتماع الشهير علي الوردي مدين بالشكر للتاجر الذي طرده من العمل أثناء فترة صباه ، فقد حوله هذا الطرد من عامل بأجر يومي لا يكاد يفي باحتياجات أسرته الفقيرة ، إلى صاحب محل يديره بنفسه ، ويتوفر معه المال اللازم لاستكمال دراسته التي توقف عنها بحكم الفقر المدقع ! يظن كثير من المصريين أن تجربة (عبد الغفور البرعي) في مسلسل لن أعيش في جلباب أبي ، كانت منحصرة داخل الشاشة الفضية ، ويمكن الاستمتاع بها في إطار الدراما .. لا محاكاتها في الواقع ! سافرت ، وتنقلت ، ونادرا ما رأيت مصر-يا يعمل لحسابه ، تربينا على ثقافة (إن فاتك الميري اتمرغ في ترابه) فنجح الآخرون بينما تأخرنا نحن عقودا !

لم أستغرب ما رأيته مؤخرا في جلسة مصرية خالصة من حالة نفور جماعي من العمل الوظيفي الذي ضيع العمر دون مقابل يذكر ، وقيام كل واحد باستعراض الحالات الناجحة لأشخاص قرروا منذ وقت مبكر خوض العمل الحر ، بإمكانات لا تذكر ، فحققوا نجاحات مبهرة .. فهذا الهندي الذي يعمل من غرفة نومه في إنتاج البرمجيات ويتقاضى راتبا يفوق ما يأخذه المجتمعين في الجلسة المسائية .. وهذا اللبناني الذي يسافر للسياحة كل صيف في بلد مختلف لأنه يملك بزنس خاص به ، وذلك الأردني الذي لا يحمل إلا شهادة الثانوية ولا يعمل عنده إلا أصحاب المؤهلات العليا من مختلف الجنسيات ، وهذا ، وذاك ... عن نفسي- .. ما رأيت أحدا توجه للعمل الحر وندم ..

اعرف تاريخك

يخطئ من يعتقد أن معرفة التاريخ نوع من الترف الفكري، فالسهم توجه إلينا من جلها به ! صدق هتلر حينما قال: (كيف نحت الفرد على حب بلاده وهو لا يعرف تاريخ وطنه).

صورتنا عند الآخرين

في اليوم الأول لعملي مع طاقم تونس في مطعم سياحي على ساحل مدينة مصراتة الليبية في العام 2002م ، طلب مني مديري في العمل طلبا لم أفهمه ؛ حيث كان يعتمد أن يتكلم معي باللغة الفرنسية ، وهو يعلم جيدا أن المصريين لا يعرفون الفرنسية إلا الدارسين لها وهم قلة !

المهم نجح خلال (3) أيام في (تففيشي من العمل) !

كان الأمر مشابها لما حدث مع مدير المغربي الذي قدر لي العمل معه في العام 2004م ، حيث كان يتكلم باللغة الفرنسية ، وفي أوقات الراحة يتكلم بلهجة ليست أقل سهولة من الفرنسية ! سيد جيبلي الـ (Tournevis) ! بينما كان يقصد (مفك البراغي) كنت أعطيه لوحا خشبيا :) : فهمت لاحقا السر في الأمر حينما حدثت مشادة بيني وبين أحدهم ، حيث قال لي فيما معناه ، أنت تأخذ راتبا أرى أن المغربي يستحقه أكثر منك ! فهو يرى أن هذا الراتب الذي يأخذه شاب مصري ، هناك من الشباب المغربي من يستحقه ، في تعصب شديد لابن بلده على حساب ابن بلد عربي آخر ، دون أي حساب لعوامل أخرى .. حاولت استعطافه لأني في حاجة للعمل ، فنشأت علاقة مختلفة نوعا ما أكثر أريحية أتذكر بعد مرحلة الود هذه أنه قال لي: سيد هل تخدمني إذا قدمت إلى مصر ؟ قلت له نعم ..

ولكن كيف أخدمك ؟ قال لي عندما أقدم على مصر توفر لي البنات والمشروبات الروحية . أبدت امتعاضي لما يقول ثم دخلنا في جو نقاشي كان صوت إبراهيم فيه الصوت العالي لسببين .. الأول : لأنه المدير والرئيس والمدير في المنظومة العربية يقول والكل يستمع له ! الثاني : لأنه كان محقا في بعض ما يقول فلقد كانت استشهاده في غالبها من واقع ما يراه في الأفلام والمسلسلات وأغاني الفيديو كليب.. أظهر الرجل مهارة فائقة في حفظ أسماء الفنانين والممثلات وأسماء الشوارع وبعضا من الأفيئات الإباحية المنتشرة على ألسنة العامة !! لا شك عندي أن كثيرا من الألسنة المختلفة الآن تتحدث عن شغف المصريين بالرقص .. فالعالم يرى بعضه من خلال الشاشات .. هذه حقيقة !! لا سامح الله من جعلنا في عيون الآخرين .. رفاصين !

لهذا السبب غيرت محل سكني !

أحد أهم الأسباب التي جعلتني أترك بيتي الذي كنت أسكن فيه قبل السكن الحالي لي ، هو أن في نفس الشارع الذي يقع فيه بيتي يوجد جمعية سودانية .. ولمن لا يعلم ما هي الجمعية السودانية ، هي مكان يتخذها أبناء الجالية السودانية للم أبناء الجالية .. من يأتي من السودان ولا توفر له الشركة مسكنا فإنه ينزل بالجمعية تلك ، ولمن ترك عمله وليس له مأوى ينزل على الجمعية ، ومن كان لديه مناسبة سعيدة أو حزينة جعل الجمعية مكانا لاستقبال التهاني والتبريكات .. أو العزاء .. فكانت السيارات التي تأتي في المناسبات تسد الشارع والشوارع المجاورة فيظل من يسكن بالمنطقة يبحث بالساعات حتى يستطيع أن يجد مكانا مناسباً لوقوف فيه سيارته ! وفي العام الذي قدمت فيه إلى المملكة رأيت أمر عجيبا ، حيث

استيقظت في الساعة الثانية صباحا قبل الفجر بساعتين تقريبا على صوت صراخ ، تبين لي إنه إثر مشكلة بين رجل سوداني وزوجته ، كنا يسكنان في الدور الأخير من البناية المقابلة للبناية التي أسكن فيها ، وما هي إلا دقائق ورأيت الشارع متكدسا بالسيارات من أبناء الجالية السودانية لينظروا في الأمر .. ثم هدا الأمر وسمعت أصوات ضحك فهمت منها أن المشكلة قد حلت ! على الجانب الآخر ، دلني صديق على فرصة عمل مجدية ، وبالفعل كلمني المدير السعودي ، وطلب مني السيرة الذاتية فأعجب بها ، وقال لا داعي حتى للمقابلة الشخصية ، اعتبر نفسك معنا علما أن راتبها كان ضعف الراتب الذي أتقاضاه حاليا .. وفجأة وبدلا من أن يتواصل معي السعودي وجدت رئيس التحرير المصري يتواصل معي ، وأبعد الأمر عن السعودي تماما ، وبغض النظر عن التفاصيل علمت أنه أقنع الشركة بأن هناك مشكلة في أوراق إقامتي ومن ثم لا أصلح للعمل معهم .. لم أسع لكشف الأمر ، لأني أدرك أنه حتى لو عملت في هذه الشركة فن تمض الأمور على ما يرام مع رجل بتلك النفسية ! أمثلة لا حصر لها رأيت فيها حب أبناء الجاليات لبعضهم البعض ، ونفورا وحقدا وغلا بين أبناء الجالية المصرية .. صحيح رأيت أمثلة للجدعنة والشهامة لكنها ليست الأصل ، فالأصل أننا أشربنا ثقافة منحرفة توارثتها الأجيال جيلا بعد جيل فيما يتعلق بالعمل ..

المنهج القرآني في توجيه الانفعالات

صحيح أن المحزنات كثيرة والمفرحات قليلة .. لكن المنهج القرآني كان حريصا على توجيه الانفعالات بما فيها الفرح والحزن .. وأنه هو أضحك وأبكى. لا ينبغي أن ندع الحزن يسيطر علينا هكذا، ولنتفكر في قول ابن عباس رضي الله عنه

(ليس من أحدٍ إلا وهو يحزن ويفرح، ولكن المؤمن يجعل مصيبتَه صبراً، وغنيمةً شكراً) .

ثقافات الشعوب

لا يعد إخراج الريح في كثير من بلدان أوربا، والغرب عموماً عيباً، يشمئز منه الناس بل يرونه أمراً عادياً، على عكس (التكريعة) التي تعد من العادات غير المهذبة في العرف الغربي .. على العكس تعتبر شعوب آسيا أن (التكريع) سلوك تلقائي لا عيب فيه، ولكن العيب كل العيب في إخراج الريح ! قدر لي ذات مرة العمل مع طاقم تونسي، واللهجة التونسية ليست سهلة على مصري أول مرة يتعامل مع توانسة، فالمهم من طبعي المبادرة إلى التعرف علي الآخرين من باب (وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا) وفي وسط التعريف كانت المفاجأة، حيث قال لي أخي الأكبر (معرض) !! انتفضت من مكاني وقلت له : إزاي يا جدد ؟

عيب يا عم الحاج معرض إزاي . وقررت أبعد عنه ولا أحتك به حيث تبين لي أنه من عائلة ربع كم .. أل معرض أل. طبعاً وعشان الجهل وحش عرفت بعدين أن كلمة (معرض) يعني عريس عامل فرح عشان الزواج .. (عرس يعني) :). أتذكر في أول يوم عمل لي في ليبيا دخل موظف حكومي وسألني وين الساعة ؟ فأخذت أشير له على ساعة الحائط، وهو يكرر السؤال وأنا أكرر الإجابة، وأنا أظن أنه غبي وهو يظن أني غبي، وفي الحقيقة لا أنا غبي ولا هو غبي، فهو لم يدرك أنه اليوم الأول لي في البلد، وأنا لم أعرف معنى كلمة الساعة .. عموماً كان يقصد عداد الكهرباء ليحصل على القراءة ! حينما يسألك الليبي هذا السؤال : شو الجو ؟ لا تكن إجابتك حاراً أو بارداً بل قل بخير الحمد لله أو باهي كما في اللهجة الليبية،

لأن معنى شو الجو (كيف حالك) (:) وكذلك لو سألك العراقي : إيش لونك ؟ لا تقل أحمر أو أصفر أو أزرق ، فهو بالطبع يسألك عن أحوالك ولمن أراد أن يختم حياته بضربة في الرأس عليه أن يدخل مطعماً في ليبيا ويطلب (فرخة) فالفرخة تعني هناك المرأة المومس ، وعليه فإن من تطلب منه طعاماً يظن أنك تطلب منه أن يجلب لك امرأة ساقطة : (صف لي شعورك أيها المصري عندما يسألك زميلك السوري في أول يوم عمل في الغربية هذا السؤال : إيش لون المرة تبعك ؟ لاشك ستغضب لأنك ستفسر كل كلمة على النحو الذي تعرفه أنت في ثقافتك ولهجتك ؟ لكنك ستقدره حينما تعرف أنه يسألك عن زوجتك التي ربما كانت مريضة أو ألم بها شيء .. ما سبق نقطة من بحر اختلاف اللهجات والثقافات الذي يوقعك في حرج شديد إذ لم تكن على دراسة باللهجات وثقافات وعادات الشعوب التي تتعامل معها ، ومؤكّد ستضع نفسك في حرج شديد بسبب جهلك ! أعتب على الذين يجهلون ثقافات الآخرين ، وآدبياتهم ثم يتوسعون في سبهم وإصاق كل نقيصة بهم . لا تتصور أنك مركز الكون ، فربما كنت صعلوقاً وانت لا تدري ! السفر أمر جميل ، يتيح لك التعرف على ثقافات وعادات الآخرين ، ويساهم في اتساع أفقك ، كما يساعدك في اكتساب المهارات والخبرات ، علاوة على إكسابك المرونة في التعامل مع الآخرين .. ورحم الله الشافعي لما قال : تغرب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد تفرج هم ، واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد !

ما السر وراء انتشار ظاهرة الطلاق في مصر ؟

من يتأمل واقع المجتمع المصري حاليا يجد ارتفاعا ملحوظا في نسب الطلاق لاسيما بين حديثي الزواج ، وفي ضوء بعض الإحصائيات الموجودة تحتل مصر المرتبة الأولى عالمياً في أعلى نسبة طلاق. قد يكون السبب الأبرز في أمر الطلاق سهولة الزواج كما في بعض المجتمعات الخليجية ، وهذا مفهوم ؛ فالحاصل أن ثمة مسؤولية منعدمة من قبل الزوج في غالب الأحيان لأن الحصول على زوجة أخرى أمر سهل ميسور .. لكن اللافت أن الشباب في مجتمع كمصر- يعاني كثيرا حتى يتزوج ، فشراء شقة ، وتأثيثها ، وتكاليف الإقامة ، والفرح ، والشبكة ، كلها أمور ترهق كاهل الأغنياء ، فضلا عن البسطاء ، ويجد الشاب صعوبة كبيرة حتى يستكمل متطلبات الزواج ، أو بعضا منها ، ومع ذلك كثرت حالة الطلاق بشكل جنوني ..

• هل للسينما والمسلسلات دور في رسم حياة وردية يتوقعها كل طرف في حالة غياب تام عن أعباء ومسؤوليات الحياة الزوجية التي تتطلب قدرا كبيرا من التغافل والتسامح والتفاهم ؟

• هل للأوضاع الاقتصادية ، وصعوبة كسب العيش دور ؟

• هل انغماس المرأة في معمة الحياة على حساب الحفاظ على أنوثتها سبب من ضمن الأسباب ؟

• أم أن الإشكالية في عدم استكمال النضج اللازم من قبل الطرفين أو أحدهما ؛ النضج الذي يرسم صورة مكتملة عن طبيعة الحياة الزوجية دون إفراط أو تفريط؟؟

• أم أن هناك أسباب أخرى ؟ وأين دور الجهات المسؤولة عن تلك القنبلة الموقوتة التي تهدد أمن وسلامة المجتمع ؟ بعيدا عن السبب الحقيقي أعتقد أن على ولاية الأمر لاسيما الأم أن تسعى جاهدة لغرس مجموعة من القيم لا غنى عنها للبنات ، وكذلك الرجل بحاجة إلى التوعية ، وتتعاظم هذه الحاجة في الوقت الذي اضمحلت فيه عوامل التنشئة الاجتماعية المعروفة ، وبروز عوامل أخرى تتربع فيها منتجات (السبكي) على القمة !

في بعض الحضارات الشرقية ربما في مقاطعة التبت .. إذا أراد الشباب الزواج من فتاة فإن أهلها يقومون بوضعها في مكان مرتفع جدا ثم يقفون حوله ماسكين عصا ويطلبون من العريس أن يصل إليها ، وأثناء صعوده إليها ينهالون عليه بالضرب واضعين إياه في اختبار شبه مستحيل ، فإذا تحمل الضرب وعقبات الصعود نال البنت ، وإلا فالعكس !

فأين النار؟

لما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم كتابه إلى هرقل عظيم الروم يدعو إلى الإسلام ، رد عليه هرقل في كتاب آخر جاء فيه : إنك دعوتني إلى جنة عرضها السماوات والأرض ، فأين النار ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " سبحان الله ! فأين الليل إذا جاء النهار ؟ "

مليء هذا الحوار بالمواعظ والحكم الدينية والسياسية ، غير أن اللفتة التي استوقفتني في هذا الحوار ، ولها صلة بواقعنا الذي يئن من معضلة التعصب للرأي التي يعاني منها الجميع إلا من رحم الله .. استوقفتني كمية التنشيج والانفعال عند

سماع أي رأي مخالف التي تصيب بالإحباط وتدفع إلى العزلة ، والدخول في خصومة مع المجتمع ..

آراء كل شخص نابعة من تصوراته عن الأشياء ، والحكم على الشيء فرع من تصوره ، وفي الحديث كانت ردة فعل هرقل نابعة من تصوره القاصر للأرض والسماء والكون عموما ..

بينما اختلفت ردة فعل النبي الذي يمتلك تصورا أكبر وأشمل .. لو علم كل متعصب لرأيه أنه مصاب بشكل أو بآخر بمرض نفسي يجب أن يعالج منه لتوقف .. ولو علم كل زاجر للآخرين لأنهم لم يفهموا فهمه ، ولم ينحو نحوه أن الإفهام بيد الله (ففهمناها سليمان) لتواضع وأنزل الناس منازلهم .

ما الأهم من النجاح ؟

هل هناك شيء أعظم من النجاح ؟ نعم .. أن تمتلك نفسية سوية قوية تؤهلك لتحمل الصعاب التي ترافق أي نجاح .. فالناجح إذ لم يكن قادرا على استيعاب الحاقدين من زملاء العمل ، والمنفسنين من الجيران ، والجربانين من المتسلطين في كل مكان يذهب إليه ، فإنه يتمنى أن لو كان فاشلا ، باردا ..

في الغربة

لقد اعتبرنا أن فرصة الحصول على تأشيرة عمل براتب جيد لا تأتي إلا للسعداء من الناس ، الذين سيتقبلون لاحقا في الرفاهية والنعيم ، ويوما بعد يوم تمضي الحياة ، ينخلع الإنسان من نفسه ، ويتحول لشخص جديد ، تنطفئ عاطفته تجاه من كان يتلمس ودهم ، ويبكي بكاء حارا عند فقدان عزيز ، غير أنه يضحك حد

الشمالة كلما تذكر بيتا من قصيدة الوطن العربي : يا موطني حبّي وكلّ مودّتي أهديك
من قلبي ومن وجداني !

موقف مشرف لأبناء الجالية المصرية بالسعودية

كتب أحد الشباب المغتربين منشورا على صفحة الجالية المصرية بالسعودية
يستسمح فيه أبناء الجالية في استضافته لعدة أيام بالسكن ريثما ينتهي من
إجراءات النزول النهائي ، فتفاعل الشباب معه تفاعلا يبعث على الأمل والتفاؤل ..
أشك أن أحدا استطاع أن يتمالك نفسه ولم تنسكب دموعه فرحا وهو يطالع
المنشور! آلاف التعليقات من شباب الجالية مابين من يطلب منه وصفا دقيقا
لموقعه حتى يذهب إليه بسيارته ، وبين من يعيش خارج المدينة التي خرج منها
نداء الاستغاثة ويعرض عليه أن يحجز له تذكرة طائرة أو تذكرة باص للعيش معه ،
وبين من يعرض عليه حجز تذكرة إلى مصر شاملة مصاريف السفر كاملة وغيرها
من النماذج المشرفة .. لاشك أن مجتمعنا المصري مر بمنعطفات سياسية
 واجتماعية أحدثت شرخا في بنيته ، إلا أنه من خلال المواقف التي أعاينها لاسيما
في الغربة أجزم أن شبابنا بخير ، ومجتمعنا بخير في نواح كثيرة يمكن البناء عليها
في أي وقت ..

كيف فسر العلماء هذه الظاهرة ؟

في غزوبدر وبينما كان رسول الله يرفع يده ويدعو بقوله: اللَّهُمَّ فنصرك الذي
وعدتني ، اللَّهُمَّ أنجز لي ما وعدتي اللَّهُمَّ آت ما وعدتني اللَّهُمَّ إن تهلك هذه العصابة
فلن تعبد في الأرض بعد اليوم، اللَّهُمَّ أحنهم الغداة .. بينما رسول الله على هذه
الحالة كان يقف رجل في المعسكر الآخر - معسكر الكفار- يبتهل إلى الله بالدعاء

بصوت عال يُسمع الجند ويقول : اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا للرحم، وَأَتَانَا بما لا نعرفه، فَأَجِنْهُ الغداة، اللَّهُمَّ أَتِنَا كَانَ أَحَبَّ إِلَيْكَ، وَأَرْضِيْ عِنْدَكَ، فانصره اليوم !! اللافت أن أبا جهل كان يعرف أن رسول الله حق والقرآن حق ويعلم أن الملائكة تحفظه .. ترى ما الذي يجعل الحكم بن هشام الملقب بأبي جهل يرفع صوته بالدعاء كما لو أنه هو الذي على الحق المبين ؟ حار العلماء في تفسير هذه الظاهرة الغريبة لكنهم اهتمدوا إلى تفسير ذلك بأمرين الأمر الأول : أن الإنسان إذا عمد إلى الكذب مرة تلو المرة فإنه مع مرور الأيام والأحداث يصدق نفسه لاسيما وأن من حوله يصفقون له .. الأمر الثاني : أن الباطل وجنده دائماً موقفهم ضعيف؛ لحقارة ما يدافعون عنه ، فيبادر القائد من خلال خداعه ليوهمهم أنهم على الحق، وأن ما يقومون به إنما هو في سبيل المصلحة العليا (الدين) (الوطن) (القومية)

نموذج مشرف لأبناء الجالية المصرية في السعودية

جمال بيومي .. اسم لوافد مصري بسيط يعمل بمدينة تبوك السعودية ، قام بعمل شهم بطولي حينما رأى النار مشتعلة في سيارة داخل محطة للوقود ، حيث توجه به(اللودر) الذي يقوده إلى السيارة وأبعدها عن المحطة ؛ فأنقذ المحطة، وحيا سكنيا بأكمله وسط ذهول رجال الأمن والمواطنين ، والمقيمين ! في سياق آخر ، ناداني جاري اليمني قبل يومين وأخذ يتحدث معي بلهجة من ييث الشكوى ، مستغربا من موقف جيراننا المصريين المنعزلين حد الخصام ، قائلا : مال الدكتور فلان والدكتور علان ياسيد ، لا يتكلمون مع أحد على الإطلاق ولا سلام ولا كلام ولا تهنئة بمواسم طاعات وكأنهم وحدهم في العمارة ؟! ثم أردف قائلا : ماذا لو احتجتهم في شيء أو احتاجوني بحكم الجيرة ؟! لم أتمكن من الإجابة على

تساؤلاته ، ولم أتمكن أيضا من إخفاء حيرتي من موقف هذين المصريين منذ أن انتقلت لهذه البناية السكنية ، ، وكنت بيني وبين نفسي أتعجب من كمية الود بين سكان العمارة من يمنين وهنود وجنسيات أخرى ، لكن تعجبي أكثر من هذين الشخصين الذين لا يلقون تحية سلام ، ولا قليل كلام ! من يرى الموقف الأول ربما وصف المصريين كلهم بأنهم أبطال يتحلون بشهامة ورجولة قل نظيرها ، ومن يرى الموقف الثاني ربما وصف المصريين بأبشع الألفاظ أقلها الكبير والغرور والتعالي على الخلق .. لاشك أن الناس في مجتمع ما متباينون في الصفات والأخلاق ، وكل مجتمع فيه الصالح والطالح ، غير أن ما أردت أن أسلط الضوء عليه هنا فكرة أن الأشخاص سفراء لأوطانهم ، وتأثير سلوكياتهم يتعداهم إلى غيرهم ..

يا رازق النعاب في عشه

ومما ورد عن نبي الله داود عليه السلام أنه كان يقول : يا رازق النعاب في عشه .. والنعاب ولد الغراب عندما يخرج من البيضة .. الذي يحدث أن النعاب عندما يخرج من البيضة يكون لونه أبيض فينفر منه أبواه لأن لونه ليس لونهما (أسود) .. إذا من أين سيأكل المولود الجديد ؟ يبعث الله الذباب فيدخل في جوفه (الذباب يحب رائحة فم النعاب) فيتغذى النعاب عليه حتى إذا كبر وتحول لونه إلى اللون الأسود ألفه أبواه فيطعمانه ومن ثم يرفع الله عنه الذباب .. ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير ..

تفاعل !

كان ابن الرومي الشاعر المعروف متطيرا يغلب عليه التشاؤم.. خرج يوما فرأى غصنا أو جذع شجرة أنبتته الله على شكل حرف (لا) ثم وجد بجواره بعض تمرات ففسر ذلك بان (لا تمر) فعاد إلى بيته ولم يقض ما كان متجها إليه .. يقول الصينيون في أمثالهم الشعبية : حين تكون الإدانة مرادة لن تعدم الأدلة .. ما استدعى هذه الخواطر : أن الإنسان إذا أراد شيئا لا يعجز أن يجد له مبررا .. كحال بعض من يعيشون بيننا الآن..

لم ينزل للقراءة فقط !

صحيح أن لتلاوة القرآن ثواب كبير، وحسنات عظيمة يجنيها القارئ، ذلك أن كل حرف من حروفه بحسنة والحسنة بعشر، والله يضاعف لمن يشاء .. غير أن القرآن لم ينزل ولم يُحفز على قراءته لجلب الحسنات فقط، فهناك أعمال أخرى تهب لصاحبها حسنات أكثر بكثير إذا كان الأمر مجرد تحصيل أجر.. فمثلا ثواب دعاء دخول السوق الذي يقال في أقل من 10 ثواني مليون حسنة، في حين أن مقدار هذا الدعاء من القرآن لا يعطي هذا الثواب ! هل الدعاء أفضل من القرآن، ولهذا كان ثواب الدعاء أكبر من ثواب قراءة القرآن ؟ بالطبع لا .. ولكن القرآن لم ينزل للقراءة فقط، بل نزل ليكون هاديا ومنيرا، ولن يكون ذلك إلا بالتدبر والتفكير والتطبيق .. ولأننا في (ورطة) و(ضيق) وأمتنا العربية والإسلامية تمر بمنعطفات خطيرة، كان لزاما علينا أن نتعاش مع القرآن الكريم الذي أنزله الله في شهر رمضان المبارك، نتدبره بعمق، نُعمل عقولنا، ونفتح أذهاننا، نفتش عن أسراره، ونبحث عن كنوزه، علنا نصل إلى مخرج من هذا النفق المظلم ..

اللهم استرنا ولا تفضحنا

من أعظم نعم الله على العبد أن يستره فلا يفضحه ولا يكشفه ! والستر أنواع ودرجات ومستويات ولعل من أعظم الستر ؛ ستر الله لأبي بكر الصديق رضي الله عنه ، حين لم يتكشف إذ قام بعقب النبي صلى الله عليه وسلم .. تلك الملاحظة الذكية لسيدنا عمر بن عبد العزيز .. يقصد أن الله ستر سيدنا أبا بكر في خلافة الرسول فلم يغير ولم يبدل ، ولم يتضايق الناس بخلافته ؛ فأقام الملك والخلافة بدون تقصير ولا تأفف من الذين لطالما جلسوا بين يدي النبي ! ذلك أن التخوف الأكبر عند الصحابة لاسيما أمنا عائشة قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان يدور حول مرحلة مابعد الرسول بكل تفاصيلها .. اللهم استرنا بسترِكَ الجميل .

فإنها لا تعمى الأبصار ..

الأنبياء عليهم صلوات الله أفصح الناس بيانا ، وأروع الناس خطابا ، وأعظمهم بلاغة ، ومع هذا اتهموا من أقوامهم بعجز اللسان عن البيان والإفصاح ! فقد اتهموا نبي الله هود بالسفه ، وقالوا لشعيب : ما نفقه كثيرا مما تقول ، وعن موسى لا يكاد يبين !

فهل كانت الإشكالية في ضعف معرفتهم بأساليب اللغة ؟

أم كانت في أزمة خطاب منشؤه عدم مناسبة الخطاب لمستويات السامعين ؟ في الواقع كان الخطاب مناسبا ، مع قوتهم في البيان ، لكن الحقيقة أنك قد تجد أحدهم حلو الكلام ، فصيح اللسان ، عظيم البيان ، لكنه أصيب بعمى في القلب .. فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ..

اللهم نجنا من كل شر وجنبنا غدر الزمان

صحيح أن الدعاء مخ العبادة ، لكنه يبقى خارج عبادة العبادة أصلا إن جاء منفصلا عن العمل والأخذ بكل الأسباب .. لم يكن السنوسي ملك ليبيا قبل مجيء القذافي للحكم على دبابه أجيرة ، سيئا ولا متسلطا ، بل مجمل ما قيل في الرجل أنه كان متقشفا ، زاهدا ، عابدا ، صادقا في حب شعبه ، واستطاع بعد ظهور أنقى نفط في العالم أن يضع البلاد على طريق الازدهار والتقدم .. وآخر ما كتب الرجل قبل أن يرحل لإجراء عملية جراحية في الخارج ويترك ابنه في بيت الحكم : اللهم نجنا من كل شر وجنبنا غدر الزمان .. اللافت بعد أن انتهى الرجل من دعائه هذا جاء الشر ، كل الشر ممثلا في القذافي الذي أذاق الشعب الويلات وأفقر البلاد والعباد مع محابه الله به من نعم وخيرات كان الأصل أن تحول ليبيا إلى واحة للتقدم والازدهار ، ولك أن تتخيل دولة يسكنها مليوني شخص تنتج (2) مليون برميل نفط يوميا هو الأفضل على الإطلاق ؟!

اللافت أيضا أن الله بحكمته لم يجنب السنوسي ولا أهل ليبيا غدر الزمان ؟!

يتساءل جوستاف لوبون ..

في كتابه الممتع (حضارة الهند) يتساءل الطبيب والمؤرخ غوستاف لوبون : كيف استطاع البريطانيون ببضعة آلاف من الجنود أن يستعمروا الهند ذات الملايين العديدة؟! أجاب بنفسه على تساؤله قائلا: عند تشريح جمجمة الهندي لا نراها مختلفة عن جمجمة الإنجليزي، ولكن الفرق هو الإرادة: الثبات والعزم في قوم، والضعف والاستكانة في آخرين).

لوسألتني لماذا وصلت شعوبنا العربية والإسلامية إلى هذا المستوى المتدني من التبعية والخنوع للذل لكأنت إجابتي قريبة إلى حد ما من إجابة لوبون إلى جانب انعدام الوعي بذواتنا وإمكاناتنا الروحية والمادية .. إننا بحاجة إلى اكتشاف أنفسنا وتثبيت اليقين في عقيدتنا..

كل يؤخذ منه ويرد إلا المعصوم

ترك المحدثون الروايات التي جاءت عن طريق العلامة الواقدي فيما يخص جانب الحديث .. لكن أخذوا برواياته مع كونه متروك في الجزء المتعلق بالتاريخ. كلام موجه للذين يرون الحياة على أنها أبيض وأسود فقط !

آفة من الآفات

آفة كثير من المصريين خصوصا والعرب عموما أنهم يلتفتون إلى الوجوه والأسماء أكثر من التفاتهم إلى المضمون، وإلى القائل عن القول ..عندما يتحكم الهوى تضعيع الرسالة ..

وآفة كثير من الناس أنهم يعتبرون نجاح المرء في شأن من شؤون الدنيا دليل على صحة المنهج وسلامة القول في مختلف مناحي الحياة ..

ملحوظة : هل تعلم أن رئيس شركة تويوتا للسيارات يعبد شجرة !

هل المصائب دليل غضب من الله ؟

إلى الذين ابتلاهم الله بما يبتلي به عباده .. المصائب ليست دائما دليل غضب بل هي من شواهد الفضل ،ودلائل النبيل .. قال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به

خيرا يُصب منه ، وأخبر الصادق أن الله إذا أحب قوما ابتلاهم. وليتذكر صاحب المصاب أن هناك من هو أعظم منه بلاء مهما وصل به الأذى .

أكلما اشتهيت اشتريت ؟!

أحيان كثيرة تكون رغبتى ضد رغبة صغاري عندما يتعلق الأمر بالشراء ، سواء شراء الأكل ، أو الألعاب ، وخلافه ، ليس بخلا ، ولكن لإدراكي ولله الحمد بضرورة غرس قيمة الاستهلاك الإيجابي في نفوس الأبناء ..

من السموم المنتشرة في عصرنا الحالي ما يعرف بالإعلانات التجارية ، فقد دخلت كل بيت ، وصارت هي التي تخلق احتياجاتنا ، وترشدنا إلى أمور نعتقد أنها من أولويات الحياة لكنها في الحقيقة غير ذلك تماما .. فهي تقدم نوعا من الظلال للمشاهدين ولا تقدم الواقع ، بينما يظن الإنسان أنه يعيش الواقع ، وخطرها يتمثل في أنها عززت الثقافة الاستهلاكية بالشكل الذي يهدد المجتمعات لدرجة أن ينبري أحد أساتذة الاتصالات في أمريكا بتأليف كتاب بعنوان (الإعلانات التجارية ونهاية العالم) .

بث قيم الاستهلاك الإيجابي الرشيد أمانة يتحملها المربون والمربيات ، ورحم الله من قال : أكلما اشتهيت اشتريت ؟!

وأنه هو أضحك وأبكى

يحلو للبعض أن يتدثر في ثوب الحزن حيناً ويلتحف به أحيانا ، غير مدرك لطبيعة الحياة والمغزى منها ، فكما وجد الحزن وجد الفرح !
صحيح المحزنات كثيرة والمفرحات قليلة .. لكن المنهج القرآني كان حريصا على توجيه الانفعالات بما فيها الفرح والحزن .. وأنه هو أضحك وأبكى.

لا ينبغي أن ندع الحزن يسيطر علينا هكذا، ولنتفكر في قول ابن عباس رضي الله عنه (ليس من أحدٍ إلا وهو يحزن ويفرح، ولكن المؤمن يجعل مصيبتَه صبراً، وغنيمته شكراً).

اقرأ .. تفكر .. تأمل

لم يأت القرآن الكريم ليعجز العقل البشري ، ويجعله في حيرة دائمة ، وقلق متصل ، بل جاء لينهض به ، حيث أمر أول ما أمر بالقراءة ، ثم أمر بالتفكير والتأمل ، وجعل تأملك وتفكيرك عبادة ، وجعل أكثر من ثلثي معجزة الإسلام (القرآن) آيات تحت على التفكير والتدبر !

في الحقيقة الإنسان هو الذي يضع نفسه في موضع العجز حينما يتخلى عن القراءة ، ويترك فريضة التفكير والتأمل ، ويرضى لنفسه أن يكون ريشة في مهب الأهواء ..

لا داعي للحزن

قبل شهر تقريبا نام أحد أصدقائي مكتئبا ، حزينا ، فأصبح نصف وجهه مشلولا ، لولا لطف الله لدام هذا الشلل ! وأمس حصل نفس الأمر مع أحد معارفي ، لكن الله لطف به ، وتم استدراك الأمر !

لكن كثيرا من غير أصدقائي سمعت عنهم أنهم قضوا ما تبقى من أعمارهم مشلولين نتيجة الجلطات .. لا داعي للحزن ، وثقوا في مقادير الله ، وتديبره .. واعلموا أنه لن تستقيم حياة المرء والكآبة ملازمة له، فالحزن المستمر من شأنه أن يقعد النفس عن العمل ، والعقل عن الفكر، فلا نستطيع أن نشبع جوعاناً، أو نغيث لهفاناً، أو نحزز نصراً، أو نعمل فكراً .. ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه

(أريحوا القلوب فإن القلب إذا أكره عمي)، وإن كان في مقدوركم أن تسعدوا أحدا فلا تترددوا ، فربما لتبعات ونتائج الحزن جعل الله خير الأعمال وأفضلها سرور يدخله المرء على قلب مسلم !

لم يعرفهم العالم أطباء !

لم يعرف العالم (جوستاف لوبون) طبيبا ، بل عرفه مفكرا فيلسوفا اجتماعيا بارزا ، ولم يعرف العالم العربي جاسم سلطان طبيبا بل عرفه منظر لمشروع النهضة ، ولم يعرف الأتراك والعالم نجم الدين أربكان مهندسا بل عرفوه سياسيا بارعا ، وغيرهم الكثير .. علوم الطب والهندسة وغيرها من التخصصات التي نعتبرها في قمة التخصصات هي بالأساس قطاعات خدمية لا تصنع ثقافة ولا تصنع تغييرا ملحوظا في المجتمعات .. في الواقع من يصنع الفارق دائما هم أصحاب العلوم الإنسانية ، سواء على أقصى اليمين أو أقصى اليسار ! الكاتبة والفيلسوفة الفرنسية الوجودية الملحدة (سيمون دي بوفوار) أثرت تأثيرا كبيرا في البشرية بأفكارها الشاذة التي وردت في مؤلفاتها ومن بينها كتاب (كيف تفكر المرأة) ! وكذلك فعل عالم النفس الشهير رائد مدرسة التحليل النفسي- (فرويد) ، والروائي الفرنسي- (جان بول سارتر) رأس الوجودية الإلحادية عشيق سيمون دي بوفوار وغيرهم الكثير .. وجهوا أبناءكم لدراسة العلوم الإنسانية من علم نفس واجتماع وفلسفة ومنطق وسياسة وغيرها من العلوم .

بيجوفيتش .. عملاق الفكر والمقاومة

على عزت بيجوفيتش .. واحد من أولئك المفكرين الذين قل نظيرهم في الطرح الفكري الرصين ، والهمة العالية ، والوصول للهدف رغم التحديات والعوائق .. لم يأخذ الرجل حقه يقينا ، وظني أن تجربته وأفكاره يجب أن تدرس للأفراد والأحزاب والجمعيات وكل من يعمل بالسياسية فضلا عن العمل العام ، في إطار استشراف عقل من العقول الفذة المبدعة .. تجلت روعة فكره في كتابه الممتع (الإسلام بين الشرق والغرب) وربما تميزت أطروحاته الفكرية عن غيره من المفكرين الذين اشتبكوا مع مشكلات الحضارة كمالك بن نبي على سبيل المثال . وعلى صعوبة الظروف التي نشأ فيها إلا أنه حاز أعلى الشهادات العلمية في القانون والاقتصاد واللغات حيث يتقن الرجل اللغة الألمانية والإنجليزية والفرنسية ويحيد العربية بالإضافة إلى لغة بلده الأم (البوسنة) مقيما بذلك الحجة على الذين يتحججون دوما بالظروف والعقبات معطيا نموذجا حيا لأولئك الذين تفوقوا على أنفسهم فبنوا لأنفسهم شخصية ولدولتهم كيانا عزيزا من لا شيء ! ولذلك تستطيع أن تستشعر جمال تلك الفقرة التي أوردتها في كتابه الإسلام بين الشرق والغرب : (عندما تستطيع أن تغير نفسك فإنك تستطيع أن تغير التاريخ فيما بعد) .

اللافت أن التحدي كان سمة أساسية في بنية الرجل النفسية والمعرفية ؛ فقد تحدى السلطات الشيوعية وألف كتابا يحمل عنوان (البيان الإسلامي) في رد منه على كتاب المنظر الشيوعي كارل ماركس (البيان الشيوعي) لدرجة استفزت الشيوعية فتم اعتقاله ، ولدرجة أن يتحدى نفسه واليأس الذي يحيط به ، وينشره المثبطون من حوله ويؤلف كتاب (هروبي إلى الحرية) وهو قابع في السجون ، يئن من وطأة

التعذيب ! لاشك أن دراسة التجربة مهمة لمن هم في طريقهم لبناء أنفسهم ، وللسياسيين الذين لم يعرفوا بعد كيف تقتنص الفرص ، أو للطامحين إلى بناء دولتهم المنشودة ؛ ذلك أن الرجل على المستوى الشخصي كان عبقريا ملهما ، وعلى المستوى السياسي رئيس حزب إسلامي خرج من رحم الشيوعية ، ثم رئيس دولة ولدت من العدم !

لولا أنت ما كنت أنا ولا هذا النجاح!

في يوم 13 مارس 1948م قام سويتشيرو هوندا بتأسيس شركته لصناعة السيارات .. وبهذه المناسبة أتذكر أن أستاذي قال لي ذات يوم بينما كان سويتشيرو هوندا يتجول في مصنعه يوما ما ، ويسلم على العمال والموظفين ، ويلطفهم، إيمانا منه أن العلاقة الودودة بين صاحب العمل والعمال تساهم في زيادة الإنتاجية وتحسين الأداء ، وبينما هو كذلك إذ رأى العامل المختص بتغيير الزيت ينزوي بعيدا عن ناظره ، فلمحه واتجه إليه ليسأله السؤال التالي : لماذا تنزوي بعيدا عني ، ألا تريد السلام على ؟

أجاب العامل : كلا يا سيدي إنه لشرف لي أن أسلم عليك .. ولكن كما ترى ملابسي ويدي متسخة فأخاف إن أنا سلمت عليك لوثت ملابسك !
فما كان من هوندا إلا أنه احتضن العامل أمام العاملين بالمصنع وقال له : لولا أنت ما كنت أنا ولا هذا النجاح!

وبكا الاثنان ولحقهما كاتب هذه الكلمات : (يذكر أن تلك السنة حققت هوندا زيادة كبيرة في حجم المبيعات ، وقويت العلاقة بين العمال والمؤسسة التي يعملون بها .

انتبه !

الخطأ والتقصير من لوازم النفس البشرية، ومن يعتقد أن أحدا من البشر معصوم باستثناء الأنبياء فهو يعاني من انحراف في أصل من أصول الاعتقاد .. لكن لا ينبغي أن نعلم هذا الأصل كوسيلة للدفاع دوما عن أخطائنا.

درس تعلمته من مدخن

جلس بجواري في أحد الأماكن رجل خمسيني ، وأخرج من جيبه علبة السجائر وأخذ في التدخين ، فعم الدخان المكان، وقبل أن تبدأ الأفكار المشبعة بسوء الظن في العمل ، كان موعد صلاة المغرب قد اقترب ، فإذا بالرجل الذي انتهى من التدخين يأخذ زاوية من المكان ويشرع في أذكار المساء بصوت خافت يعكس ما في القلب من رقة واستحضار لجلال الله وقدره ! ويفعله هذا جعلني أردد الأذكار ، وفي ظني أنه لو لم يفعل ما فعلت لانشغالي بانتهاء أمر مهم ! فتأكدت أنه مهما تعثرت أقدام المسلمين في وحل المعاصي إلا أن الخير دفين في نفوسهم ، ومن ضمن أكبر المشكلات التي نعاني منها نظرنا السلبية للناس وللمجتمع !

رحم الله الفاروق

حدث خلاف بين عمر وأحد الأعراب فاحتكما إلى أبي بكر الصديق فأمر أبو بكر عمرا أن يقف بجوار خصمه قائلا : قص يابن الخطاب قصتك . فلاحظ أبو بكر أن عمرا عليه علامات الامتعاض فظن أنه مستكبرا أن يقف بجوار الأعرابي ! فقال أبو بكر أيسوؤك أن تقف بجانب خصمك؟ قال: لا، ولكن ساءني أن كنتني وفي الكنية تعظيم !

حدد هدفك بدقة

زار هتلر باريس حين وقعت قبضته سنة 1940، و توجه إلى قبر نابليون بونابرت ، فانحنى بكل احترام وقال : (ساحني يا نابليون العظيم لأني دحرت أمتك ، وألبستها عار الهزيمة ، ولكن ولا يخفى عليك الأمر أن أمتك كانت ملتھية بأخذ قياسات أفخاذ النساء عندما كانت أمتي مشغولة بأخذ قياس فوهات المدافع) .

جل الكتب التي تتحدث عن الإستراتيج والتكتيك أو التي تعالج مسألة الشأن السياسي الإجرائي تؤكد بين ثناياها على قضية مهمة للغاية ؛ تتمحور حول ضرورة تحديد الهدف بدقة ثم العمل على إنجازه بكافة الوسائل المتاحة ..

إذ لا يمكن فهم طبيعة العمل بشكل جيد في بيئة خارجية ذات طابع صراعي وتناقضي يصعب التنبؤ بها إلا في إطار تحديد الغاية ثم الهدف والتركيز عليه ثم اختيار الوسائل المناسبة ، المبتكرة ، شريطة أن يكون الهدف واقعيا بعيدا عن الوهم ، محاصما للخيال ، ذلك أن كثيرا من الناس يحلو لهم أن يخلقوا في سماء الأوهام بحجة أن الغاية نبيلة، وربما لأنهم يمتلكون خيالا واسعا ، في مقابل شريحة لا بأس لها تظل أسيرة واقعهم المزري ، لا يتجاوزونه رغم أنهم يمتلكون الأدوات والإمكانات ..

العين ترى ما لا تملك على غير أصله فإن ملكته رأته على أصله

كان ابن مفلح موفقا في تشريح علل النفس البشرية وتشخيص أصل الداء وتوفير العلاج المناسب له ؛ فمن تجلياته في تفسير ظاهرة شح القناعة وتطلع المرء إلى ما في يد غيره حتى لو امتلك كنوز الدنيا أن العين ترى ما لا تملك على غير أصله ،

فإن ملكته رأته على أصله ، ذلك أن العين من طبيعتها عدم الاكتفاء .. ولهذا من أراد أن يرح قلبه وعقله ونفسه أن ينفذ أمر الله بغض البصر حتى يرى ما يملك فيقنع به !

التوثيق والتدوين ضرورة ملحة

في العصور الوسطى .. وبينما كانت أوروبا تعيش في ظلام كانت إفريقيا تلك القارة السوداء تمتلك علومها وثقافات متعددة لم يصل إليها الغرب ، ولم تكن بالشكل المخزي الذي صورته لنا المؤرخون ! لماذا إذن توقفت الحضارة في البلدان الإفريقية ، بينما صعدت المدنية في الغرب ؟ يجب على هذا السؤال المحتلون (الاستعماريون) الأوائل الذين نهبوا ثروات تلك البلدان ، وأفقروا شعوبها ، ووأدوا التجارب الناجحة فيها ! الذين تكلموا عن القرون الوسطى في أفريقيا من أمثال المؤرخ ألبير تاييل ، والمؤرخ وولتر رودني والباحث المتخصص في الشؤون الإفريقية برنار لوجان قالوا بأن ثمة ثقافة لم تشهدها أوروبا اجتاحت قلب إفريقيا ، غير أن ما جعل الغرب يصف تلك القارة بأنها متخلفة لم تعرف العلم أن تلك الثقافة كانت شفوية ولم تدون في الكتب ! الشاهد: إذا كان نقص التدوين والتأريخ يجعل العالم يصف قارة ضخمة بالجهل والتخلف ، ويصدق ذلك أبناء تلك القارة أنفسهم .. فما بالنابما هو أقل من ذلك ! أتصور أن تلك المرحلة من تاريخ أمتنا بحاجة إلى توثيق وتدوين لكل التفاصيل التي نعاينها ، والتدوين المرئي لا بد أن يأخذ نصيبه من الحفظ والرعاية كي لا تأتي أجيال مشوهة لا تعرف خيرا فتشكره ، ولا منكرا فتنكره !

الإسلام .. دين الواقعية

من الأحاديث التي تعزز من قيمة الواقعية في حياتنا على اعتبار أنها خصيصة من أهم خصائص هذا الدين ذلك الحديث الشريف الذي يقول فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم : (لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خلقا رضي منها آخر) .. ومعنى لا يفرك أي لا يبغض . فهنا إقرار بعيوب الناس والتأكيد على أن الإنسان لا يقيم في ضوء حسناته فقط ، بل بفضلته ونقصه ، ومن زاد فضله على نقصه دخل في زمرة الأسوياء الذين تصفو بهم الحياة ، لأنه لا أحد في هذه الحياة خاليا من عيب مهما بلغ من الشرف والعلم والفضل ! أتصور ربما لنقصان الطهر والنقاء في أيامنا هذه تمنى الكثيرون أن يجدوه مجسدا في شخص . على أن هذا لن يكون ؛ فخالطوا الناس ، واستفيدوا من خيرهم ، وتجنبوا شرورهم ، حتى تستمر الحياة ، ولهذا كان من المروءة التغافل عن ذلل الناس الذين يرجى خيرهم ، ولعل من جميل ما قاله السابقون : لا يزهديك في رجل حمدت سيرته ، وارتضيت وتيرته ، وعرفت فضله ، وبطنت عقله ، عيب خفي ، تحيط به كثرة فضائله ، أو ذنب صغير تستغفر له قوة وسائله... وكفى بالمرء أن تعد معايبه !

معن بن زائدة ودرس في الحكمة

عندما يعاتبك أحدهم أو يلومك على أمر ما ، عليك أن تقدر ذلك ولا تجزع فالعتاب دليل الحب ويلزمك التوضيح بالأدلة إن لزم الأمر ، سدا للذرائع ، وتحصينا للحب . فحينما رأت زوجة أمير العرب (معن بن زائدة) أن زوجها يقرب ابن أخيه ويفضله على أولاده انزعجت كأي أم وعاتبته على ذلك الأمر . لكنه قال لها سأريك بالدليل لماذا أقربه مني ! أمر معن بن زائدة أحد الغلمان أن

ينادي على الأبناء فأقبلوا عليه بثياب معطرة أنيقة ، ثم قال للغلام ادع لي يزيد (ابن أخيه) وما هي إلا لحظات وقد دخل يزيد على عمه بثياب الحرب وسلاحه في يده ، فقال له ما هذا ؟ فأجاب يزيد : قلت في نفسي- لا تطلبني في هذه الساعة المتأخرة من الليل إلا لأمر جليل ! ففقهت الزوجة وقالت في الحال : قد تبين لي عذرك !

تريث ولا تتعجل !

أنت تجلس ابنتك بجوارك في بيتك معرزة مكرمة إلى أن يأتيها صاحب النصيب لن تموت ، إنما التسرع في تزويجها لأحدهم دون التأكد من أخلاقه ودينه، وتوفر الحد الأدنى من ذلك ما يجعله يحافظ عليها ، ولا يهينها حتى لو كرهها ، فسوف تموت ابنتك ، وسوف تلحقها أنت وأمها كمدا وحزنا وغما وقهرا .. نحن في زمن قلت فيه المروءة ، وضاع فيه الحياء ، وكثر فيه الفسق وتدني الأخلاق ، فاختاروا لبناتكم بتريث وإلا ستندمون حين لا ينفع الندم !

حفظ الله عاصمة الرشيد !

حدث أن قابلت أول عراقي في حياتي وأتعامل معه في ليبيا سنة 2000 ، وكان طبيباً يعمل هناك بإحدى المستشفيات ، بهرني بكرم أخلاقه، ومهارته المهنية ، إلى جانب ذلك سحرني بثقافته العالية ، فكان ذلك عامل جذب للتقرب من كل أبناء الجنسية العراقية المتواجدة بمدينة (مصراتة) الليبية فأشترى فطوري من المطعم العراقي البعيد ، وأشترى لبسي من صديقي العراقي وأتودد لكل عراقي أقابله ! من يعرف الشخصية العراقية عن قرب يفتخر بعروبته حقاً ، فالعراقي هو ذلك الإنسان المثقف ، المعتز بعروبته ، المتعايش ، السلمي ، الذي تحدثك تجاعيد وجهه

عن معاناة العراق وأهله عبر مئات السنين .. ويسرب إليك بيانه شيئاً من عبق الماضي ومرارة الحاضر ! لذلك كان من المنطقي أن تشهد روجي انهياراً لم تشهده من قبل أبان الغزو الأمريكي لعاصمة الرشيد ، في عام 2003م . المؤلم حقاً في هذه الأيام أن ترى كيف نجح الاحتلال وأذنبه في تدمير الشخصية العراقية وطمس ملامحها ، وجعلها شخصية خاضعة ، خاملة ، سلبية ، مدجنة ، منقطعة الأصل ، غائبة عن تاريخها الأخلاقي والقيمي فضلاً عن الديني .

مصري وما تدخن !؟

على السطح اجتمع جيران العمارة للترحيب بالساكن الجديد الى هو أنا وكانوا من اليمن السعيد ، فتبادلوا الشيشة ، ولما جاء دوري امتنعت عن المشاركة ، فتعجبوا قائلين في (نفس) واحد : مصري وما تدخن !!
أخشى أن أكون قد تسببت في الإضرار بسمعة المصريين :

الفرق بين المجنون والمبدع

ما بين الإبداع والمجنون شعره ، فهما يشتركان في أن كلاهما يأت بما يخالف عادات الناس وما ألفوه من قول أو فعل ، ولهذا وصفت الأقوام المشركة الرسل التي بعثت فيهم بالجنون ، ويختلفان في أن المجنون يلقي السباب والشتائم على الناس ، والمبدع يتلقاها !

أمرها عجيب !

ولا تدري .. فأمر هذه الدنيا عجيب ، وما من شيء باق على حاله ، وحال المرء فيها منقلب بين غسق وشفق .. ومن عجائبها وغرائبها أن عازف بيانو يحصل علي

١٠٠٠٠٠ دولار أجر حفل عن مقطوعة موسيقية قام بأدائها ، في حين أن مؤلف المقطوعة الشهيرة اسحق اوستيريس مات فقيرا معذما !! وفان جوخ مات جائعا مريضا بالسل و لوحته الشهيرة باقة الزهور تباع ب ٤٥ مليون دولار !

اخشوشنوا فإن النعمة قد تزول !

فوجئت ذات يوم أن من يطلب مني الأجرة في الميكروباص أستاذي ومعلمي الأول الذي علمني كل شيء جميل .. وجدته منحني الظهر يجمع الأجرة من الركاب فنزلت مني دمة ، فوبخني وقال : هو أنا علمتك إن الشغل عيب ياله !
في الواقع لاحظت أن كثيرا من أصحاب القضية ودعاة الحق يعيشون في برج عاجي ، غير متصورين أن أصحاب مؤهلات عليا يعملون بمهن متدنية بزعمهم !
أعرف مهندسا كيميائيا يعمل سائق نقل ، وزميل دراسة كان من الأوائل تخرج من كلية التربية ويعمل سائق ميكروباص ، وزميل إعلام يعمل حلاقا ، فضلا عن العشرات الذين أعرفهم شخصا من أصحاب المؤهلات العليا حلاقين ، وتباعين ، وفي أفران العيش ..

الشغل ليس عيبا ، العيب أن تظل عاجزا وتمدد يدك لأبيك أو للناس .
ربوا أولادكم على فكرة أن العمل (أي عمل) ليس عيبا ، طالما يدر دخلا حلالا ، واخشوشنوا فإن النعمة قد تزول !

لحظة صدق مع النفس

عندما سئل طه حسين عن سر هجومه على المنفلوطي خلال فترة زمنية ما ، أجاب قائلا : كنت صغيراً أسعى للشهرة على أكتاف رمز كبير . ومن قبله قالت امرأة العزيز : وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء .

ما أجمل لحظات الصدق مع النفس!

ماذا لو لاحظت أن ابنتك لا يود الذهاب إلى المدرسة ؟

في حالة غياب الطفل عن المدرسة لا يبعد تصرف الأب أو الأم عن واحدة من ثلاث :

- الضرب وإعادة إرساله تحت زخات التعنيف والسباب.
- اللعب على وتر المشاعر (لازم تروح يابا عشان تبقى دكتور ، وبابا يحبك وماما تموت فيك).

• الثالثة لا يفعلها كثير من الناس !

في الحالتين الأولى والثانية يبدو فيهما أن التركيز على النتيجة مباشرة ولم يتطرق الأبوين إلى أسباب هذه المشكلة التي ربما تتطور وتصبح ظاهرة لها انعكاسات سلبية خطيرة على حياة الطفل .

الحالة الثالثة : أن يتم سؤال الطفل عن السبب بأسلوب يرحى من وراءه إخراج مكنون الصدر فيعلم الأب أو الأم المشكلة ومن ثم يبادر إلى حلها ..
مثال يوضح الأنماط الثلاثة في التعامل :

1. لماذا لم تذهب إلى المدرسة ؟

وقبل سماع الإجابة ينهال الأب والأم أو كلاهما بالضرب وفي الأخير سيذهب الطفل في اليوم التالي تحت وطأة التهديد بالضرب.

2. لماذا لم تذهب إلى المدرسة ؟

بابا لا أحب أن أذهب إلى المدرسة !

بل يجب أن تذهب إلى مدرستك كي تكون إنسانا ناجحا ، ويحبك بابا وتحبك ماما ، ثم يتبع كل كلمة بقبلة حانية .. يحدث تسكين للطفل ثم تعود حالة النفور مرة أخرى !

3. لماذا لم تذهب إلى المدرسة ؟

لن أذهب . لماذا ؟ لأن بفصلي ولد يضربني وأخاف منه !
هنا يبادر الأب بحل المشكلة كأن ينقل ابنه من هذا الفصل ، أو المدرسة بحيث لا يتعرض الطفل للسبب الذي من أجله رفض الذهاب ..

إذا عرف السبب بطل العجب

حينما كنت صغيرا كنت مهتما بقتل الذباب ، فقد كنت آتية من الخلف ببطء شديد حتى لا يراني فأنال منه ، وقبل الاقتراب إذا به يطير بعيدا عني ... ظلمت متعجبا لسنوات .. كيف يطير الذباب وهو لا يراني ، من الذي يخبره باقترابي منه ؟! حتى علمت أن الذباب له عيون كبيرة تضم (6) آلاف مجموعة سداسية الشكل تأخذ كل منها منحنى مختلفا فبعضها إلى الإمام وبعضها إلى الخلف وبعضها في الوسط وفوق وعلى جميع الجوانب وبذلك يتمكن الذباب من رؤية الجهات جميعا مهما كانت وجهته ! ومن ثم زال التعجب .. ولهذا معلوم في عرف الناس أنه إذا عرف السبب بطل العجب .. والمتعجب لا يصبر حتى تزول أسباب التعجب ! في قصة سيدنا موسى مع الخضر كثير من علامات التعجب عند نبي الله موسى ، ذلك أنه تعرض لمواقف عجيبة ، دون أن تظهر له الحكمة أو السبب فكان ما بدر منه أمرا منطقيا ، ولهذا قال الخضر (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) مؤصلا بذلك حقيقة ينبغي على المربين وغيرهم الالتفات إليها ألا وهي حقيقة أنه لا صبر

إلا في حدود المعرفة .. ومن ثم فلن تزول علامات التعجب ، وربما تبددت الثقة ! إن الناس جميعهم لا يصبرون على شيء ينافي ما استقر في وجدانهم من المعايير والأعراف .. ولا يبذلون جهدا في أمر لا يرون نتائجه تنسجم معه .. لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يوحى إليه من ربه ، لا ينطق عن الهوى ، مؤيدا بالوحي ، يعلم ويوقن بذلك الصحابة رضي الله عنهم لكن وقف بعض الصحابة موقفا يؤكد على هذا المعنى الذي أشرت إليه أنفا .. لقد اعترضوا .. فلم تكن مداركهم تستوعب إلا ما تمليه عليهم معارفهم وأعرافهم .. لكنهم رضخوا لأمر رسول الله .. ولو كان غيره لربما كان هناك شأن آخر !!

تصرف طبيب أبهرني

من المواقف البسيطة جدا لكنها تركت أثرا إيجابيا كبيرا في نفسي- ، أني دخلت مطعما لطلب طعام سفري ، فوقف بجانبني رجل خمسيني يبدو طبيبا من ملابسه ، واستأذن هذا الرجل الطاهي في تجهيز الطعام ووضع له الرقم المسلسل لحجز دوره .. وبدا للطبيب هذا أن الرجل المكلف بتجهيز الطعام لم يسمع كلامه فقرر إعادة الطلب ، وهنا صرخ الطاهي في وجه الطبيب وأخذ يوبخه بعنف لأنه تجرأ وطلب مرتين !

توقعت أن تكون ردة فعل الطبيب طالب الطعام عنيفة، لأنه ما من مبرر لهذا الصوت المرتفع أبدا من قبل الطاهي ، لكنني وجدت ابتسامة رقيقة صادرة منه .. فأسرني المشهد، وابتسمت له على حسن فعله، فأخذ يحدثني عن أن مهنة الطاهي مهنة متعبة ، ويلزمها مجهود كبير ، وصبر طويل ، ومن يعمل بها يظل مضغوطا

طيلة الوقت، وربما كان مزاجه سيئا لسبب لا نعرفه فينبغي أن نلتمس له العذر..
ثم دعا للطاهي !

ربما بدا التعجب مني في البداية لأن الأصل أن يعامل المرء الناس بأدب مهما كان
المزاج سيئا، لأن الجميع ليسوا كأعز أصدقائه كي يفهموه ..

الحوار الأسري المفقود

يحكي ألبرت آينشتاين عن نفسه وعن حياته الدراسية فيقول كان جدي يسألني
يومية ونحن على مائدة الطعام ماذا استفدت اليوم من المدرسة يا ألبرت ؟
كان هذا السؤال يتكرر يوميا لدرجة أنني كنت شديد التركيز مع مدرس كل مادة
لأخرج بفائدة أقولها لجدي ..

هذا الأسلوب وغيره ساهم في تشكيل عقلية تحليلية يعجز الكلام عن وصفها
وعبقريتها .. يظن بعض الآباء اليوم أن دوره يقتصر على توفير الملابس والمصروفات
المدرسية وتوفير المدرسين فقط ، ليس له دور في متابعة الابن أو البنت .. في حين
أن العملية التربوية الناجحة هي التي تتوزع مهامها على المدرسة مروراً بالبيت
وصولاً إلى المجتمع ولن تؤدي ثمارها المرجوة إلا عبر توثيق الصلة بين هذه
المكونات الثلاثة .

الأمل

ربما لم يتمكن الصحابة رضوان الله عليهم من كسر- الصخرة التي اعترضت
طريقهم أثناء حفر الخندق لخوف دب في قلوبهم نتيجة لانخفاض منسوب الأمل ..
ومن أين يأتي الأمل والمدينة محاصرة من كل اتجاه !! يذوب الأمل ويتلاشى التفاؤل
عند الملمات والفتن والخطوب العظيمة، وهنا يكمن دور القائد والموجه والمربي في

بث روح الأمل والتفاؤل .. فلقد حول الرسول تلك القلوب الخائفة إلى قلوب مطمئنة، وبعدها كان الواحد منهم يخشى- أن يقضي- بولته، استبشر-وا وبرقت أسارير وجوههم وقالوا جميعا : الحمد لله .. ليس ذلك وفقط بل لما انسابت الأحزاب وضيقوا الخناق علي المدينة لم تطر نفوس المؤمنين شعاعا بل قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما .. إننا بحاجة لمن ييث فينا روح الأمل والتفاؤل فهما خلق هذه الحياة وبهما يستنشق المرء عبير الحياة فتعود إليه روحه بعدما أوشكت أن تخرج من جسده!

اليابان لا تملك غير الإنسان !

حدث باليابان ثلاث كوارث من أصل (13) كارثة تعد الأكثر تكلفة في العالم خلال فترات زمنية متقاربة .. الكارثة الأولى : زلزال هانشين والذي قدرت خسائره بـ 144 مليار دولار وفقدان أكثر من (5) آلاف شخص. الكارثة الثانية : زلزال 2004 والذي تسبب في إحداث خسائر مالية تخطت حاجز 32 مليار دولار فضلا عن فقدان وقتل أكثر من ثلاثة آلاف شخص .

الكارثة الثالثة : تسونامي 2011 وقدرت خسائره بـ 180 مليار دولار وفقدان أكثر من 16 ألف شخص فضلا عن آلاف المصابين ناهيك عن تخطيط البنية التحتية بشرق اليابان.

ابتليت اليابان لذا فالكوارث تلاحقها بشكل مستمر ، ولكنها في مقدمة الدول علميا ، وتكنولوجيا، وحضاريا .

اليابان دولة بلا موارد تذكر ، تستورد البترول والمعادن .. لكنها تملك (الإنسان).

العرب يملكون الموارد الهائلة ، والإمكانات الكبيرة ، لكنهم يحتقرون الإنسان ، لا لذنوبه قد اقترفه .. ولكن لأنه يريد أن يعيش إنسان !

الدعاء دون العمل لا يؤتي ثماره

كنت استمع إلي تلاوة من كتاب الله وعند قول الله تعالى : وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين (دعاء) ، وتفقد الطير فقال مالي لا أري الهدهد (عمل) .. تذكرت أن الدعاء مخ العبادة وأشفقت على الذين لا يدعون الله ليبي لهم كل احتياجاتهم ، وفي نفس اللحظة أشفقت على الذين لا يدركون أن للنصر والتمكين أسبابا والدعاء وحده دون (العمل) لا يؤتي ثماره ..

تأثير البيئة على الإنسان

الوقوف على شكل اللفظ دون محاولة فهم المقصود منه آفة خطيرة أراها انتشرت بين قطاع كبير من الناس وخطر ما في الأمر أنها وصلت لشر-يحة عريضة من المثقفين وأصحاب المؤهلات العليا.. علينا أن ندرك ان اللفظ هو الحامل المادي للمعنى وهو مقترن ببيئة الإنسان ، فالبيئة تؤثر على الإنسان وتترك بصماتها على ألفاظه سلوكه وفكره وأخلاقه، فالإنسان ابن بيئته كما قيل.

يوجد مثال واضح يبين صنفين من الناس ، صنف توقف عند حدود اللفظ وصنف ذهب إلى المعنى . فقد حكي عن الشاعر البدوي علي بن الجهم انه أراد أن يمدح الخليفة العباسي المتوكل فوقف يقول : أنت كالكلب في حفاظك للوَدَّ -- وكالتيس في قراع الخطوبِ أنت كالدلو لا عدمنك دلواً -- من كبار الدّلا كثير الذّنوب فشبه الخليفة بالكلب والتيس والدلو.

الواقفون مع اللفظ بالطبع أشهروا سيوفهم في وجه الرجل ، إذ كيف يعاب في خليفة المسلمين !!

لكن الخليفة لم يتوقف عند حدود اللفظ ، فقد فهم أن الرجل أراد مدحه صدقا بيد ان بدويته كادت أن ترديه قتيلا !!

أمر الخليفة المتوكل ببیت لعلی بن الجهم على شواطئ نهر دجلة وسط الحدائق الغناء والنساء الجميلات ، وقال لرجاله : اجعلوه يمكث فترة من الزمن ، ثم أعيدوه إلى وبالفعل جاء الرجل وأشد يقول : عيون المها بين الرصافة والجسر- جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري خليي ما أحلى الهوى وأمره أعرفني بالحلو منه وبالمر !

نصائح مسمومة

"لا تعاتب إنسانا لا يسأل عليك ، بل عاتب نفسك عندما تفكر به !
رأيت هذه الجملة منقوشة على صورة صباح اليوم ويظن ناشرها أنه بذلك يقدم نصيحة ثمينة للآخرين ..

العجيب في كمية الإعجابات والمشاركات كما لو أن صاحبها تعب وبذل جهدا في كتابة بحث ستنهل البشرية من فوائده !

في الواقع ألاحظ من سنوات طويلة انتشار مثل هذه العبارة على مواقع التواصل الاجتماعي ، والتي تحمل مضامين عجيبة تحث على قطيعة الآخرين واللامبالاة في التعامل معهم ؛ لأن ناشروها يعتقدون أن خيرهم وودهم للآخرين يجب أن يتوقف !

هناك مشكلة حقيقية مختلقةا المغرمون بنشر- مثل هذه الحكم المصورة ، والمقتبسة من كلام الكتاب والأدباء الغربيين تتعلق بطبيعة التكوين النفسي- والعقدي لهم ، ذلك التكوين الذي يجعل الشخص ناسيا أو متناسيا حزمة القيم النابعة من عقيدته الصافية التي تحث على فعل وقول كل خير بما لا يرهق النفس ولا يستنزف الروح ..

نشر مثل هذه العبارات يعزز ثقافة مادية مبنية على فلسفة تبرر انتهاك القيم الكفيلة بإيجاد مجتمع متماسك يحمل بعضه هم بعض !
لماذا يضع أحدنا نفسه موضع (المقدس) حينما لا يلتمس الأعذار للآخرين ، ويغفر زلاتهم ، ويقلل عثراتهم ، ويعيد التفكير لربما كان الخطأ من جانبه ..
لماذا يسعى البعض جاهدا لموقف أو لآخر أن يهدم مكتسبات لم تبني في يوم وليلة ، بل تأسست عبر عقود !

لماذا نسمع عبارة (الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية) على السنة الجميع وحين الاختلاف لا نرى إلا القطيعة واستخدام كافة الأسلحة الثقيلة والخفيفة ..
لا أعتقد أن صعوبات الحياة المادية هي السبب وراء حالة النفور والشتات المجتمعي بل الإشكالية في شح الأخلاق وتدنيها ؛ ففي مجتمع المدينة الأقرب للمثالية أمر الرسول النساء أن يخرجن لصلاة العيد حتى الحائض منهن ، ولما حُكي له أن بعض النساء لا تملك جلبابا ، أمر من لا جلباب لها أن تلبس من جارتها وأختها ..

مجتمع فقير لكن كان لديه وفرة أخلاقية وأدبية استطاع بها التغلب على صعوبات الحياة وتحدياتها ..

إن الشعور الجارف بالآخرين والتماس الأعذار لهم ، ورد الإساءة بالإحسان إنما يدل على عظمة ونبل ذلك الشخص ، وقوته ، وحسن أخلاقه ، وسعيه الحثيث لنيل الرضا الإلهي بعيدا عن فلتات النفس البشرية التي تدعو إلى القبيح من الفعل والسفيه من القول !

ماذا تفعل لو جاءت أختك إليكم غاضبة من زوجها ؟

نصيحة لكل أخ ؛ رجلا كان أو ذكرا : عندما تأتي أختك إلى البيت غاضبة من زوجها ، لا تبالغ في ردة فعلك ، وتحلف آيانات مغلظة بأنها لن تعود إليه مرة أخرى ..
في الحقيقة أنت بذلك لا تحل إطلاقا ، فقد يكون ردة فعلك بالأساس ضد رغبة الأخت نفسها ..

فقد يكون خروجها لحظة انفعال معينة ، وقد يكون بسبب ضيق من أمور كثيرة مجتمعة والزوج ليس سببا مباشرا فيها ، وقد تكون متصورة أنها بذلك الفعل ترد بعضا من كرامتها ، في حين أن كرامتها محفوظة ..
ولو افترضنا جدلا أن السبب الذي تركت البيت من أجله سبب كبير ولا بد من وقفة ، قف واجلس ونم واستيقظ والعب باليه من حقك ، لكن بالحكمة والهدوء ..

ولو جاء الزوج إلى البيت وطلب ردها فلا تتكلم إلا بإذنها ولا تبادر بالرفض ، لأنها في الغالب تتمنى الرجوع لبيتها وأولادها وزوجها !

اهتم بأبناء من تحب

وإن مما يعزز الصداقة فضلا عن القرابة أن تهتم بأبناء صديقك أو قريبك، فإن الأب لماح وتبرق أسارير وجهه حين يرى أحدهم يلاطف أولاده ويتودد إليهم.. وإن من وفائك لصديقك الذي رحل عن الدنيا ألا تنسى أولاده فتتعهدهم بالرعاية لاسيما إن كانوا صغارا.. فإن ذلك عين الوفاء.. دخل رجل على أبي بكر الصديق فرآه يحمل طفلة صغيرة بين يديه يدللها ويقبلها فقال له الرجل ... من هذه!!

قال أبو بكر وهو ينظر بحنان إلى الصغيرة: "هذه بنت رجل خير مني: سعد بن الربيع كان من النقباء يوم العقبة وشهد بدرا واستشهد يوم أحد ...

في ذكرى استشهاد سيدنا عمر المختار

ونحن في ذكرى استشهاد سيدنا عمر المختار رضي الله عنه أذكر حين القراءة عنه أنني توقفت عند كلمة للإمام المهدي السنوسي الذي كان يحكم ليبيا في حق المختار ، فقد قال يوما : لو كان عندنا عشرة مثل عمر المختار لا كتفينا بهم ! تأملت لماذا قال الرجل هذه الكلمة ؟

هل لأنه كان طالب علم نجيب ؟
هل لأنه أبدى مهارة كبيرة في حفظ القرآن ومتون الحديث وعلوم الفقه والشريعة؟

أم لأنه كان كما نقل عنه مشرفو المعهد العلمي في جغوب للسنوسي : لا ينام ليلا إلا قليلا ، وكان يواظب على قيام الليل كل ليلة ؟
أم لأنه أظهر حكمة ورشادا واتزاناً من بين كل طلبة العلم بالمعهد ؟

في الواقع ومن خلال قراءتي المتنوعة عن شخصية عمر المختار أدركت أن الرجل أهل لأن يحبّه الناس بالفعل لكل ما سبق ، فقد كان طال علم نجيب ، وشابا حكيما راشدا ، حليما ، متزنا ، طائعا لله ، ولكنه مع ذلك كله لم يكن درويشا فقد أظهر مع تدينه فروسية وإقداما وشجاعة قل نظيرها ..

ذات يوم وهو في طريقه بالصحراء أشار أحد المرافقين إلى وجود أسد مفترس بالجوار، واقترح تقديم إحدى الإبل كفدية لاتقاء شره، إلا أن عمر المختار رفض وقال: «إن الإتاوات التي كان يفرضها القوي منا على الضعيف قد أبطلت، فكيف يصح أن نعيدها لحيوان؟

هجم ذلك الشاب اليافع الورع الزاهد التقي على الأسد فقطعه إربا ثم سلخه وعلقه ليرى الخائفون أن سبب الخوف قد زال !

تذكرت في الحقيقة وأنا أقرأ في سيرة الرجل كيف أن بعض الشباب يوصف بأنه متدين ، ومع تدينه يعكس سلوكا مفعما بالدروشة والعبط في أمور الحياة ، فهو يمشي في هدوء عجيب ، ويتكلم بصوت غير مسموع ، ومسامح على طول الخط ، وساذج حين يتعامل مع الناس في أمور الحياة ، وتطور الأمر حتى صارت لفظة شيخ مرادفة للعبط ، والسذاجة !

مر بالشفاء بنت عبد الله بعض الشباب يقصدون في المشي- ، ويتكلمون رويدا ، فلم يعجبها ما رأت ، فقالت من هؤلاء ؟

فقالوا لها نساك !

قالت والله إن عمر كان إذا تكلم أسمع وإذا مشى- أسرع ، وإذا ضرب أوجع وكان هو الناسك حقا !

فعدلت قيمة مقلوبة خوفا من أن تنتشر بالمجتمع ..

المتدين الصبح الى ما حدش يقدر ينصب عليه أو يستغفله أو يخدعه، أو يضربه على قفاه عشرين مرة على سهوة، أو يأخذ منه أكثر من حقه في البيوع والمعاملات ..

وقفات في حياة عمر المختار

في ذكرى استشهاد سيدي عمر المختار يدور بخلدي مجموعة من الأسئلة أبرزها : كيف استطاع 1500 مقاتل بدوي بأسلحة بدائية أن ينتصروا على 340 ألف جندي إيطالي لمدة عشرين سنة متواصلة ويزيقونهم صنوف العذاب؟! وكيف وصل اليأس إلى رودولفو غراتسياني، القائد الإيطالي العتيد من هزيمة المختار، ويقول لجنوده اتركوه في الجبل الأخضر فقد صار شيخا فوق السبعين دعوه سيموت وكفانا استنزافا!

كيف استطاع شيخ هرم بعدد ضئيل من البدو أن يدخل مع الطليان المدججين بالسلاح في ألف معركة ولم يستسلم أو ينحني؟

في الواقع لا يكفي مقال بل ألف مقال للحديث عن القائد العظيم الذي قارع الطليان البغاة مقارعة الفرسان لكنها خواطر أجملها في النقاط التالية :

• نتيجة للضعف الشديد الذي أصاب الأمة الإسلامية سلط الله عليها عدوا من خارجها محاولا استئصال شأفتها، فالفرنسيون في المغرب العربي والبريطانيون في مصر والطليان في ليبيا وهكذا.

• اتفقت روسيا والنمسا وألمانيا وفرنسا وبريطانيا على السماح لإيطاليا بالدخول إلى ليبيا مقابل سكوت إيطاليا عن جرائم تلك الإمبراطوريات في دول أخرى.

ومن ثم فالمؤامرات قديمة حديثة .. ولن تتوقف ... وليس من حق أحد أن يتكئ على المؤامرات ويجعلها حجة ليبقى ملتحفا بالذل ، أو رابضا في موقعه لا يبارحه !

• من المؤسف أن ينعزل المشرق العربي عن المغرب العربي ثقافيا ناهيك عن العزلة في مختلف المجالات الأخرى ، فلا يعرف الخليجي وأبناء الشرق كثيرا عن أبناء الغرب العربي إلا ما يتناثر في وسائل الإعلام ..

• رحم الله السلطان عبد الحميد الذي تنبأ بدخول الطليان إلى ليبيا فأرسل قوات عثمانية ترابط هناك ..آخر سلاطين الدولة العثمانية المحترمين !

• لا تخلو نكباتنا من وجود الأصابع الصهيونية ، فالذي هيا الأرض لدخول الطليان أعضاء من جمعية (الاتحاد والترقي) الماسونية ، والتي أزاحت الخليفة العثماني .. وهنا أذكر اسمين فقط ساهما في تهئية الأجواء لدخول الطليان ، الأول هو كراسو - يهودي أسباني عضو الجمعية المشبوهة وكان ضمن الوفد الذي دخل على السلطان عبد الحميد في حادثة عزله ، والثاني يدعى سالم والذي حاول إقناع السلطان - الصورة الذي لا يهش ولا ينش - بسحب القوات العثمانية المرابطة في ليبيا بحجة إخماد الثورة في اليمن .. وبالفعل تم سحب الجنود بعتادهم لتبقى ليبيا مهياة لدخول الطليان بدون مقاومة !

• تخيلت إيطاليا التي نزلت على شواطئ ليبيا بأكثر من ثلاث مليون مقاتل أنها ستهزم مجموعة من البدو في ساعات معدودة لاسيما وقد اندسح الجيش العثماني ، وليس للبلاد قائد ، علاوة على أنها بلا جنود أو حماة يحمونها لكن القتال استمر عشرين سنة ، ذاق فيها الطليان أصناف العذاب .

• خرج الطليان وهم ينشدون : صلي يا أماء ، ولا تحزني ، وافرحي وتأملي ،، إني ذاهب لأسحق الأمة الملعونة وأحارب الإسلام ،، إني ذاهب لأخو القرآن ، إني

ذاهب لمجد إيطاليا ، ولو سألوكم لما لا تقومي بالحداد على ولدك ، فقولِي إنه مات من أجل محاربة المسلمين .. تلك الروح الصليبية الحاقدة التي بوركت من قبل البابا وكبار القساوسة في الفاتيكان !

• بدا الوجه القذر للحضارة الغربية التي استحلت بيوت الله في ليبيا ، وحولت المساجد إلى إسطبلات للخيول ، ومراتع للرقص وشرب الخمر ، وقتلت في طرابلس مع ساعات الإنزال الأولى أكثر من (5) آلاف رجل وامرأة وطفل لا شيء إلا لغرس الخوف والرعب في نفوس الشعب المسكين .

• على الجانب الآخر وقبل أن يظهر المختار كان هناك رجل صالح يدعى محمد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية في ليبيا ، وهنا علينا أن نذكر أن تلك الطريقة كانت مغايرة للطرق الصوفية المعروفة بمهادنة الغزاة ، والتطبيب للمستبد ، فقد علم الرجل أبناء الشعب الليبي القرآن والعلوم الحياتية من زراعة ورعي وحصاد ، ومع ذلك علمهم الفروسية استعدادا للجهاد ، لأنه تنبأ بقدوم الطليان وقد صدق حدسه ، ولما توفى وتولى من بعده ولده محمد المهدي السنوسي قرب إليه عمر المختار لأنه أظهر ذكاء وفطنة وحبا للدين ورجولة وشهامة أثناء دراسته بالمعهد العلمي بجغوب بعد أن توفى والده !

• قبل أن يبدأ المختار رحلة الجهاد مر بمنعطفات أصقلت خبراته علميا وسلوكيا وجهاديا ، فقد تعلم العلم وعلمه ، وجاهد الفرنسيين في تشاد ، وتولى القضاء في قبيلة لا تدين بالولاء لأحد وعرفت من وسط القبائل بالتمرد والعناد .. إنها قبيلة (العبيد) التي تسكن في الجبل الاخضر شرق ليبيا ، والتي طوعها المختار وأخرج منها ألف مقاتل فيما بعد كانوا عوناً له في الجهاد ضد الطليان !

- علمنا المختار درسا بليغا في حياته الجهادية ، فعلى الرغم من ذبوع شهرته وصيته ، إلا أنه كان حريصا ألا يفعل شيئا دون الرجوع إلى ولي أمره محمد إدريس السنوسي الذي كان قابعا بمصر .
- ظن الطليان أنهم بضمهم ولايتين من أصل ثلاث ولايات ليبية وهم (الفزان - برقة - طرابلس) أنهم بذلك اقتربوا كثيرا من النصر- وإعلان ليبيا دولة آمنة ضمن حدود الإمبراطورية الإيطالية , لكن ولاية الجبل الأخضر التي كان المختار مستقرا بها صمدت عشرين عاما ، ليضرب المختار ورجاله أروع البطولات ..
- لم يستطع الطليان أن يتغلبوا على المختار إلا بالخيانة العربية ، ومع جهاد استمر عشرين سنة شهدت إيطاليا فيها استنزافا هائلا لم تبق في ليبيا إلا سنوات معدودة ذلك أن الحرب العالمية كانت قد نشبت وخسرت روما وعلق موسوليني على المشاق وخرج الطليان من ليبيا خائبين خاسرين ، وبقي اسم المختار خالدا !
- بدا المختار قويا جلدا صلبا لأنه يوقن أنه مع الحق يدور حيث دار ، لم يثنيه مشايخ السلطان عن طريقه ، بينما بدا الطليان متوترون قلقون خائبون لأنهم يعلمون أن قضيتهم باطلة ، ووجودهم على أرض ليبيا محض خيانة وغرور !
- ربما لو لم يسلط ابن حلب الشهباء مصطفى العقاد عدسات كاميراته على المجاهد العظيم عمر المختار وينتج لنا فيلما يحكي سيرة الرجل ويظهر بطولاته لدفت سيرة المحارب الكبير إلا بين شريحة محدودة من الناس .. فكم من شخصية مغمورة لم تأخذ حظها من الشهرة إلا من ناحية تناثر اسمها في بعض المناسبات والوثائق المغمورة أيضا .. شخصيات عظيمة لم تجد من يسلط الضوء عليها كشخصية بن زاوية المحجوب التابعة لمصراتة رمضان السويحي فالرجل جاهد

جهادا عظيما ، لكن المختار سلط الضوء عليه بعمل إعلامي كبير جعل من سيرته الطاهرة قيمة عظيمة تجتمع حولها على مؤائد التربية !
لقد سافرت إلى ليبيا وكانت أكثر فترات إقامتي ببلدة رمضان السويحي وفيها سمعت الأساطير عن الرجل وحياته وجهاده ورأيت أكثر أهل البلدة يعظمون الرجل بطريقة صدمتني حقيقة ، ذلك أن المختار عندي كان الرمز الأوحى لحركة الجهاد الليبي ، لكنني اكتشفت أن ليبيا زاخرة بالمجاهدين وما المختار إلا واحد منهم ، بيد أن الإعلام تناول سيرته بعمل متقن !

إبداع الدكتور أكرم ضياء العمري في طرح السيرة النبوية

أجدني وأجد كل مسلم مطالب بالدعاء والشكر لعالم عراقي مبدع اسمه الدكتور أكرم ضياء العمري والذي يعمل أستاذا للحديث بجامعة بغداد ذلك أنه وضع بحثا عملاقا في مجلدين ، حاول من خلاله أن يضبط السيرة النبوية فيما يتعلق بتحديد الوقائع الصحيحة على غرار ما قام به علماء الحديث ..
ذلك أن كثيرا من رواة السيرة كابن هشام وغيره نشطوا في إدماج الروايات وحملوها على التاريخ فتوسعوا في شروط الأخذ عن رواتها دون العمل وفق منهج قويم رشيد محكم ، فكان من نتيجة ذلك أن نسب إلى الرسول ما لم يقله أو يفعله أو يحدث معه ومن ذلك حدث الحمامتين في الغار ، ونشيد طلع البدر علينا وغيره ..

والفكرة هنا ليست في استشهاد أحد الرواة القدامى بروايات ضعيفة أو لم تصح قد تداعب بها العواطف وتستحث بها المقل ، بل الإشكالية والخطر في أن يأخذ البعض

تلك الروايات الضعيفة ويبنى عليها منها وتأصيلا وطريقا للممارسات تحت اسم الضرورة رغم أنها لا أصل لها على حد تعبير العلامة أبو زيد الإدريسي !
 فمشكور الدكتور أكرم ضياء العمري أن طبق منها علميا في الوقوف على الصحيح من الروايات على غرار ما جد فيه العلامة السوري سعيد حوى لتصل إلينا السيرة نقية صحيحة مرشدة على علم ..
 ولا زالت هناك أولوية في تنقية التراث من الشوائب الفكرية والعلمية .

البيئة كأحد متطلبات أي مشروع

ربما كانت الهجرة إلى الحبشة فرارا من الظلم الذي تعرض له المسلمون في مكة ، لكن من المؤكد برأيي أن موضوعها وعنوانها الرئيس في مرة المدينة لم يكن الفرار من الظلم والبطش بل البحث عن البيئة المناسبة لنمو المشروع والفكرة ..
 قضية إيجاد البيئة المواتية ينبغي أن يكون الأساس في حياة الإنسان .. فالرجل الذي يريد أن يتزوج لا يجعل كل همه البحث عن امرأة جميلة وفقط ، أو غنية وفقط ، أو ذات حسب ونسب وفقط ؛ بل يجب أن يكون همه عند البحث عنها ابتداءً إلى أي مدى ستكون وعاء مناسباً لمائه ؟
 والشاب الذي يفكر في الالتحاق بشركة ما ، فأول ما يفكر فيه يجب أن يكون منصبا على بيئة العمل ومدى قربها من الوضع السوي الذي يجد فيه الموظف نفسه ، ويستطيع أن يحقق طموحاته ؟
 في زواجك وعملك وحياتك عموما إذ لم تجد البيئة المساعدة على النجاح وإثبات الذات فليكن كل همك إيجاد تلك البيئة أولا ..

أحداث غيرت قناعاتي

قبل صيف عام 2004 ، كنت أشمئز من سلوكيات ما يعرف بـ (أطفال الشوارع) و (كبار الشوارع) الذين يؤذون الناس في غدوهم ورواحهم ، وبعد صيف هذا العام بدت تصوراتي وقناعاتي بشكل مختلف تماما ..

حياتي الأولى كانت نظرتي فيها حادة كثيرا للمجتمع ، والناس ، وأصحاب المعاصي ، رغم المعاصي والذنوب التي وقعت فيها كشأن كل البشر..

كنت أتعصب عندما أرى خطأ من أي أحد ، ولا أضع حسابا لعوامل بيئية ولا ظروف ساهمت في تلك المخرجات البشرية التي أغضب منها ومن تصرفاتها ، ولا يغلب على تفكيري إلا النقد .. وبجدة !

قدر الله لي أثناء سفري في صيف عام 2004 م أن أسجن في أكثر من سجن مع الجنائيين لتشابه في الأسماء ، وعلى الرغم من المحنة الشديدة ، إلا أن تلك الأيام كانت أجمل أيامي على الإطلاق ، لا لأني كنت منعما ، في رغد من العيش ؛ فالسجن أسوأ مكان وجد على سطح هذه الأرض ، لكن لأنها غيرت مسار حياتي ، ولم أزل أتعلم من أحداثها حتى الآن .

وأيقنت أن ترقية الذات قد لا تأت إلا مع المحن الشديدة ، بكل مشتملاتها النفسية والروحية ، وبدون هذه المحنة ربما لم أكن أعرف أنني بحاجة إلى تعزيز شعوري بالتعاطف مع الآخرين وتحديد هؤلاء الذين ينفر منهم المجتمع !

سجنت مع مختلف صنوف البشر- في أكثر من سجن بداية من أكثرهم شرا وإجراما ، مرورا بالقتلة والسارقين ، وصولا للمتخلفين عن سداد بعض الفواتير !

حاورت هؤلاء جميعا ، وكانت هناك نقاشات طويلة ، ثم أتبعتها بزيارات قمت بها بعد أن من الله علي بالحرية .

أدركت كم كنت مخطئا في تصوراتي وقناعاتي ، وأيقنت أن جل هؤلاء المجرمين هم ضحية تخلف وجهل وتشتت أسري ، وضعف شديد في بنية الدولة التعليمية والصحية والاجتماعية والحياتية !

إن بلادنا تئن من كثرة الفساد والافتقار الشديد لبنية صالحة تفرز الرجال والنساء الصالحين النافعين الذين تغلب حسناتهم سيئاتهم ، وكثير من الذين يرون أنفسهم اليوم في صف الطاهرين الصالحين ، مروا بتجارب عصبية ، وفترات ضعف وتشتت ، ثم عادوا ..
فساعدوا غيركم ليعودوا ..

انصح بحب

تخيلت لو أن رسول الله قال لسيدنا معاذ أول ما قال وهو يوجه إليه نصيحة : لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول : اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ؟
ظني سيقول ما نصحه به رسول الله ولا يمتنع ، لكن تخيلت وقع الكلام على نفسية سيدنا معاذ وهو يستمع إلى هذه الكلمة (يا معاذ : والله إني لأحبك) قبل أن ينصحه !

في الحقيقة شعرت بسعادة كبيرة كما لو أن الحب غمر سيدنا معاذ وفاض بعضا منه علي !

سبحان الله تفعل الكلمة الطيبة في نفس الإنسان فعل السحر ، فتدفعه للفعل السوي المنشود ، وتعزز ثقته بنفسه ، وتبعث بداخله طاقة داخلية تحثه على الإنجاز بكل رضا وسعادة .

يسأل البعض كيف تخرجت من كلية التربية وتعمل بمجال الإعلام والتحرير الصحفي ؟

والإجابة ببساطة تكمن في الكلمة الطيبة المحفزة !

في الصف الثالث الإعدادي كنت في رحلة وأثناء العودة طلب مشرف الرحلة أن يكتب كل طالب إيجابيات وسلبيات الرحلة من وجهة نظره ، فشرعت في الكتابة ثم سلمته ورقتي متضمنة تقييما شاملا للرحلة من حيث الإعداد والتنظيم والبرنامج ، ونسيت الأمر ..

بعد يومين ناداني هذا المشرف ليتحدث معي على انفراد ، فظننت أنه قد غضب من أسلوبني الذي احتوى على بعض النقد ، فإذا به يشيد بأسلوب الكتابة ، مبديا إعجابه الشديد بحسن التعبير ، ثم تنبأ بمستقبل مبهر في مجال الكتابة !

قبل هذا الموقف لم أكن أعلم في نفسي هذه الملكة ، فأعطتني هذه الكلمة الطيبة حافزا على التطوير في مجال الكتابة ، فوجدت أن ذلك من الصعوبة بمكان دون القراءة ؛ فبدأت في تكوين مكتبة إسلامية أدبية فكرية وكان أول مقال منشور لي قبل التخرج من الجامعة بسنة تقريبا !

وقبل فترة تمكنت من الاتصال به بعد طول انقطاع لأخبره أنني أعمل نائبا لرئيس التحرير بشركة ليست بالصغيرة !

كل ابن آدم بحاجة إلى الكلمة الطيبة والتحفيز والتشجيع باعتبار أن ذلك يمثل الداعم النفسي الذي يبعث على الإنجاز ، وكل ابن آدم لديه القابلية للعمل والفعل لكن غياب الدافع قد يطفئ حماسهم .

والإنسان مهما بلغ من القوة والصرامة والحماسة ومهما اتسعت مذاهبه فليس ببالغ وجهته بين ركائز الحياة لولا الكلمة التي تبعث الأمل في الروح بشرط أن تخرج بإخلاص وصدق .. حينها ستسري في روح المتلقي فيستروح منها ما يروح عن قلبه ..

الأبناء بحاجة إلى كلمات طيبة ، وعبارات محفزة كل صباح ، والزوجة في مطبخها بحاجة إلى كلمة طيبة بعد كل وجبة تصنعها كي تقوى على دخول المطبخ الذي يمثل لبعضهن أمرا مزعجا ، وعامل النظافة بحاجة إلى من يربت على كتفه ، ويبتسم في وجهه ، والشباب في وقت لا يحسدون على العيش فيه بحاجة إلى من يأخذ بأيديهم بكلمة طيبة ولمسة حنون لاسيما وقد تحلى عنهم الجميع سوى وساوس النفس !

عيد الحب (الفلانتين)

لولا الجفاف العاطفي الذي مزق قلوبنا ، ولولا المفاهيم المغلوطة عن الحب ما تحولت شوارعنا ومنازلنا إلى كرنفال من الورود الحمراء ، وبالونات الهالوين التي تأخذ شكل قلوب بألوان حمراء متدرجة في يوم الرابع عشر من فبراير من كل عام ! بعيدا عما في هذه المناسبات من تقليد مذموم ، فالحب مشاعر فياضة لا تموت ولا تفتقر حتى تنتظر أعيادا أو مناسبات لتوقظها ، فهو كالشجرة الضعيفة بحاجة إلى عناية وتعهدها ، تسقى بالاحترام ، وتتغذى على الود والتقدير والتفاهم ، وتنمو على التغافل !

والحب هو العطاء الفياض ، لا يعرف الشيب له طريقا ، تبدو ملامحه في لمسات حنون ، ونظرات العيون ، لا يمكن أبداً أن يختزل في كلمات ، أو مظاهر مؤقتة ! ولو أتيت بكل هدايا الأرض -رغم أهميتها- فلن يصل الحب منك لغيرك ولن يقتنع به عقله ، ما لم يتسلل إلى القلب ، فالحب في أساسه شعور نفسي- ، وإحساس قلبي ، وقوة وجدانية عظيمة تنبعث من قلب المحب إلى كل كيان محبوب ، فتولد لدى الأخير حماسة وإيجابية وعاطفة واشتياقا .. ودعاء !

الرجل الصرصار ..

واحدة من أشهر روايات العبقري دوستويفسكي (الرجل الصرصار) ، للوهلة الأولى تشعر برفض داخلي للاطلاع على الرواية ، استنادا إلى الصورة الذهنية المطبوعة عن (الرجل) فضلا عن (الإنسان) الذي كرمه الله من بين المخلوقات ! غير أنك تجد بين سطور الرواية فلسفة عميقة ، وأسلوبا ممتعا ، منطلقا من قلم مفرط الإحساس .

أخذتني سطور الرواية إلى التحليق في تفسير من أروع التفاسير التي تناولت قول الله تعالى (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم) والتفسير لسيدنا سفيان بن عيينة : ما في الأرض آدمي إلا وفيه شبه من بعض البهائم ، فمنهم من يقدم إقدام الأسد ، ومنهم من يعدو عدو الذئب ، ومنهم من ينبج نباح الكلب ، ومنهم من يتطوس كفعل الطاوس ، ومنهم من يشبه الخنزير فإنه لو أُلقي إليه الطعام الطيب تركه وإذا قام الرجل عن رجيعة ولغ فيه . فكذا نجد من الآدميين من لو سمع خمسين حكمة لم يحفظ واحدة منها ، فإن أخطأت مرة واحدة حفظها ، ولم يجلس مجلسا إلا رواه عنه .

ولهذا قد يتحول المرء بالفعل إلى صرصار عندما يفضل النجاسة على النظافة ،
وعندما يشمئز منه المجتمع ويقرف !

الغزل .. قديما وحديثا

تتبع غزل العربي للمرأة في مختلف العصور ، فما رأيت أسوأ من تلك المرحلة
الحالية ..

وربما كان الغزل في السابق نابعا من عاطفة إنسانية ترى في المرأة الجانب المادي
كما ترى فيها الجانب الروحي ، فتارة يصف العربي في شعره عيون المرأة ، وشعرها ،
وأردافها ، وأسنانها ، لكنه مع ذلك يصف مشيتها ، وحسن معشرها ، وثناء الجيران
عليها وحبهم لها وهكذا ..

والغزل هو الوسيلة التي من خلالها يستطيع الإنسان إيصال عاطفته للمرأة ؛ كونه
اللغة التي تبعث على السعادة ، وكونه كذلك منبع المتناقضات الوجدانية ، إذ
يعكس ما يتمتع به القلب من اشتياق ، ووصل ، وهجر ، ووعد ورحيل ، وفناء !
وهناك الغزل القبيح ؛ الذي يثير الغرائز ، وهناك الغزل العفيف الذي يسمو
بالروح ، ومن قبلها يسمو بالغريزة فتتسع الهوة بين الإنسان وسائر البهائم .
على أن الغزل العفيف قد انتشر وطغى حتى في عصور ما قبل الإسلام ، ومن يقرأ
الشعر الجاهلي يدرك ذلك !

ولكم من القصائد التي قيلت على ألسنة شعراء تربوا في عمق الصحراء تلهب
القلوب ، ونجد فيها من وقت لآخر في صخب هذه الحياة حنانا ناوي إليه ..
وأذكر كم تأثرت عندما قرأت كتاب (الحب العذري عند العرب) ، وأدركت إلى
أي مدى نحن بعيدون عن تقييم العربي التقييم الصحيح ، فهو في صورتنا الذهنية

ذلك الجلف البدوي الأرعن .. غير أن الحقيقة في تصوري غير ذلك تماما ، فلم أعلم أن الموت والجنون أصاب عشاقا كما أصاب ذلك الجاهلي الجلف على ما في بيئته من جفاف كان الأصل أن ينعكس في ضعف خياله ، وتمحور غريزته حول الجزء الظاهر من المرأة !

ولم أعلم في التاريخ حالة مشابهة لحالة المرأة العربية البدوية الجاهلية الجفصة التي كان ينحل جسدها وتذبل وترفض الأكل وتودع الحياة بسبب فراق الحبيب أو موته !

في عصور صدر الإسلام غلب على الغزل العفة ، ولقد قرأت عن الأصمعي أنه مر يوما على دكان لبيع المأكولات، فرأى طيورا مشوية، وفواكه زكية، يقوم على بيعها امرأة فاتنة الجمال ، فأراد أن يغازلها فقال : (وفاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وهور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون). فقالت على الفور: (جزاء بما كانوا يعملون).

ومصر قبل أقل من مئة عام إذا اقترب الرجل من المرأة مهما كانت متبرجة دون سابق معرفة فإن ذلك مما يستوجب عقابه ، وإذا قال لها (بنسوار ياهانم) على قارعة الطريق عُذ من المتحرشين الذين يأنف منهم المجتمع وتردعهم القوانين ..

أما كثير من شبابنا في الوقت الحالي فلا يرون في المرأة إلا كيانا جسديا ، في ظل حالة انفلات أخلاقي وتردي قانوني ، فأصبحوا أكثر خشونة وسوءا في الألفاظ ، أو التعبيرات ..

الفهرس

إهداء	5
مقدمة المؤلف	7
امدح الفعل الحسن ولو كان من عدوك	9
الهدهد المعلم	10
ماذا رأي سيدنا موسى في البنت وماذا رأت هي فيه ؟	13
لماذا سميت حروف الجر بهذا الاسم ؟	15
(لا) الرافضة	17
اللغة التي زجت معلمها في السجون !!	18
كن مرنا حتى لا تصطلم بالصخر	20
الاختلافات بين الأجيال .. ومآلاتها	25
كيف استفادت السياسة من علوم اللغة العربية	27
عندما شعر سيبويه بالخل !	28
مي زيادة .. حالة فكر لم تتكرر	30
العقاد إذ ينتقد !	33
الخطب السينمائية	35
رسائل فيلم النداهة	38
آنتوني هويكنز يتحدى الفشل	41
يا رسل الحاضر .. أنقذوا أولادكم من التنمر	43
هل تحارب شيخوخة وحيد حامد شبابه	46
عندما يقدر الغرب العائلة ونحتقرها نحن الشرقيون	49
حسين صدقي نموذج مشرف في السينما المصرية	51
من وحي مشاهدة فيلم المجالد	53

- 55 ظاهرة حمو بيكا ومجدي شطة !
- 57 عندما نألف النعمة ونتكبر
- 58 الأم البقرة
- 61 نعمة الإسلام
- 62 مشكلة الـ50% بمجتمعنا المصري
- 63 لا يصبه حر جهنم!
- 64 الجمال الإفريقي العاصف بقناعاتي
- 67 شجاعة شاعر تجاوز عمره الـ(135) سنة
- 68 وبعد الرمي لم ينطق بكلمة !
- 70 قراءة حول ظاهرة الانتحار
- 72 ما الرزق ؟
- 74 لماذا يبدو الناس همج رعا ع منساقين كالذواب وراء كل ناعق !
- 77 فوزى المعلومات
- 79 تجربتي في السجن مع عمي حسن
- 81 عندما تحسس المصلون أقدامهم !
- 83 إنت مش عارف إنت بتكلم مين ؟!
- 86 كيف نهضت اليابان ؟
- 88 لم أر للمتحابين غير النكاح
- 90 قدم حسن الظن على سيئه
- 92 لماذا يشوه بعض الآباء والأمهات الطفولة البريئة بصخب النميمة
- 93 قراءة في فقه المآلات
- 96 فصل أطفال الملاجئ
- 99 متى استقامت حياة تايسون ومتى انتكست ؟
- 101 داري يا قلبي
- 103 ماذا تفعل لو قيل لك إن ابنك يحب ؟

- 106..... امتص غضب الآخرين ..
- 108..... تدين مغشوش ..
- 110..... قصة الأطلال وعبقريّة السنباطي ورقة ناجي ..
- 113..... الميراث الذي لا يقدر بثمن ..
- 115..... أشعر الناس من قارع بهذا الأب ثمانين شاعرا فغلبهم جميعا ! ..
- 117..... حاول ! ..
- 120..... عن نظرتنا السلبيّة للناس وللمجتمع ! ..
- 120..... التمس العذر للآخرين ..
- 121..... قراءة في كتاب (فن اللامبالاة) ..
- 124..... متى أخفي العلم ومتى أظهره ؟ ..
- 126..... عاداتنا المقيّنة ..
- 127..... نعم الله نعم الجميع ..
- 128..... إن الله لا يبتلينا ليعذبنا بل ليرينا ..
- 130..... من للفقر في البرد ! ..
- 131..... لا تجالس هذا الصنف من الناس ! ..
- 132..... الكمال لله وحده ..
- 133..... تنازل لغيرك ليتنازل لك ! ..
- 135..... القيمة المفقودة ..
- 137..... أنواع الذكاء ..
- 139..... الصين .. العملاق القادم بقوة ! ..
- 141..... قصة نجاح فيتنام ..
- 144..... العجيب أن الجمهور يضحك ! ..
- 147..... لا أقيم الأصوات التي تأتي من السماء ! ..
- 149..... حزلقوم وتأثره بالإمام الشافعي ..
- 152..... الإمام الشافعي عبقرى العلم والأخلاق ..

- 154..... رحم الله الطاهر بن عاشور ..
- 156..... تفنن في إخفاء عيوب الآخرين !
- 158..... أم زيتون وعلم الإحصاء ..
- 160..... النعيم لا يدرك بالنعيم
- 161..... لا تبخل على الناس بالنصيحة ..
- 163..... يا شباب وقتيات الثانوية العامة ..
- 164..... كلامك صحيح .. لكنك على خطأ
- 165..... هل الحيوانات أرحم من الإنسان ؟!
- 165..... إياك أن تهين نفسك من أجل لقمة العيش
- 166..... ربوا أولادكم على تحمل المسؤولية منذ الصغر ..
- 168..... ابحث عن صاحبة الخلق والأدب ..
- 169..... برك بأهلك لا يعني ظلم زوجتك !
- 171..... كيف فازت ألمانيا بالونديال ؟
- 174..... من هو الحكيم ؟
- 174..... انصح بأدب ..
- 174..... قلب المرأة أصدق من قلب الرجل ..
- 175..... إنه الإيمان !
- 177..... اعرفوا قدر الإمام !
- 179..... تفاءلوا بالخير تجدوه ..
- 180..... الرحمة المهداة للعالمين ..
- 182..... بلد المليون محلل سياسي ..
- 183..... في ذكرى غزوة بدر ..
- 184..... درس في التربية والتعليم ..
- 185..... رمضان من زاوية أخرى ..
- 187..... قدموا فحولة اللسان على فحولة الجسد !

- 189.....التقنية في شقها السليبي
- 190.....لا تكن من هؤلاء
- 191.....العبادات من زاوية أخرى
- 192.....حتى حب عنتره بن شداد لعبلة لم يدم إلى الأبد !
- 193.....ماذا تعرف عن أديب الفقهاء وفقهه الأدباء ؟
- 194.....الإنصاف عزيز
- 195.....العبادة المنسية
- 198.....ماذا تعرف عن العلامة دراز ؟
- 200.....الفتوحات الإسلامية
- 201.....قيس ولبنى .. والأحلام المنهية
- 203.....تخيروا المعلم الأول
- 205.....الفطرة السليمة تتقدم!!
- 205.....إن التعلم مع الجمال يكون أسرع!
- 206.....روجيه جارودي.. فيلسوف الإسلام
- 209.....زكي عريبي .. عميد اليهود في مصر !
- 211.....العلوم المنسية !!
- 213.....مفارقات
- 214.....محمد أسد .. (ليوبولد فايس)
- 216.....زينب عبد العزيز .. الفنانة المقاتلة
- 218.....أتريدون أن تضربي كل يوم !
- 220.....سورة النساء!!
- 221.....متى تموت الأمم ، ويحصل للحضارات أفول !
- 222.....زوجة سيبويه وزوجة ستيفن كينج
- 223.....الغربة
- 223.....أحب مالك بن نبي

- 224..... عبقرية بن نبي
- 226..... خطباء النكد والحزن
- 228..... شعوب استهلاكية
- 229..... التنويم الاجتماعي
- 230..... التقليد المنبوذ
- 232..... العمل والعدل
- 234..... شعب القلبين الجميل
- 235..... فاسألوا أهل الذكر !
- 236..... لا تبالغ في الوعود
- 237..... عبقرية سنيف جوين
- 238..... لا للتخوين
- 238..... لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم
- 239..... المتنبي في فرنسا
- 240..... اللهم بارك لنا في أصدقائنا
- 241..... الدراما إذ تزيد الطين بلة !
- 242..... من روائع السنة النبوية
- 243..... ظاهرة مدمرة ولا أحد يتصدى لها
- 244..... في ذكرى سقوط غرناطة
- 245..... وجودية سارتر والهزيمة الكاملة !
- 246..... تربية السجون !
- 247..... أنماط البشر في ضوء العبقرية المحمدية
- 248..... لا تتعجل .. فتندم
- 248..... سيدي المنفلوطي
- 249..... متى نعتز بلغتنا ؟
- 250..... من فقه الدعوة

- 251..... قيمة المصارحة والمكاشفة
- 251..... لحظة صدق مع النفس
- 252..... أوجه الشبه بين مصر والجنة
- 252..... الملاحظة
- 253..... أعمار قصيرة وأعمال عظيمة
- 253..... عدوى العواطف والأفكار
- 254..... أكلما اشتبهت شيئاً اشتريته ؟
- 255..... أخطر المؤتمرات
- 257..... ماذا أعددت للمستقبل ؟!
- 259..... إنما يبكي على الحب النساء !
- 260..... من يتصدى للحمقى
- 260..... بتصلوا استسقاء ليه ؟
- 260..... تمنيت أن أكون مكانه
- 261..... هتلى ودرس في القيادة
- 262..... فقه المهاجرين إلى الحبشة
- 262..... تواضع
- 263..... الدراما وتلميع النجوم
- 264..... خير الأمور الوسط
- 265..... إظهار العواطف .. ضرورة ملحة !
- 266..... من يذكر اليوم صبري !
- 267..... ليست العبرة بمن سبق .. بل بمن صدق
- 267..... سر هزيمتنا شح الأخلاق
- 268..... لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا نوي الفضل
- 269..... نعمة المدرسة
- 269..... اخلع نظارتك السوداء لترى الأمور على حقيقتها

- 270..... احذر أن تكون من هؤلاء
- 270..... احترام التخصص
- 271..... لا تجعل من نفسك مسطرة تقيس الناس بها
- 272..... فكرة مبتكرة
- 272..... الجالين
- 273..... ماذا تعرف عن شعب الهونزا ؟
- 274..... اللهم اكتبها لكل مشتاق
- 275..... ولا تصعر خدك للناس
- 276..... لا تكن إمعة
- 276..... عندما يعم الظلام يرسل الله بصيص أمل للفئة المؤمنة
- 278..... مواقف مؤثرة من رحلي للحج
- 282..... رحلة مع عالم فضاء
- 284..... إن فانتك الميري اتمرمغ في تراهه
- 285..... اعرف تاريخك
- 285..... صورتنا عند الآخرين
- 286..... لهذا السبب غيرت محل سكني !
- 287..... المنهج القرآني في توجيه الانفعالات
- 288..... ثقافات الشعوب
- 290..... ما السر وراء انتشار ظاهرة الطلاق في مصر ؟
- 291..... فأين النار ؟
- 292..... ما الأهم من النجاح ؟
- 292..... في الغربية
- 293..... موقف مشرف لأبناء الجالية المصرية بالسعودية
- 293..... كيف فسر العلماء هذه الظاهرة ؟
- 294..... نموذج مشرف لأبناء الجالية المصرية في السعودية

- 295.....يا رازق النعاب في عشه
- 296.....تفاعل !
- 296.....لم ينزل للقراءة فقط !
- 297.....اللهم استرنا ولا تفضحنا
- 297.....فإنها لا تعمى الأبصار
- 298.....اللهم نجنا من كل شر وجنبنا غدر الزمان
- 298.....يتساءل جوستاف لوبون
- 299.....كل يؤخذ منه ويرد إلا المعصوم
- 299.....آفة من الآفات
- 299.....هل المصائب دليل غضب من الله ؟
- 300.....أكلما اشتبهت اشتريت ؟!
- 300.....وأنه هو أضحك وأبكى
- 301.....اقرأ .. تفكر .. تأمل
- 301.....لا داعي للحزن
- 302.....لم يعرفهم العالم أطباء !
- 303.....بيجوفيتش .. عملاق الفكر والمقاومة
- 304.....لولا أنت ما كنت أنا ولا هذا النجاح !
- 305.....انتبه !
- 305.....درس تعلمته من مدخن
- 305.....رحم الله الفاروق
- 306.....حدد هدفك بدقة
- 306.....العين ترى ما لا تملك على غير أصله فإن ملكته رأته على أصله
- 307.....التوثيق والتدوين ضرورة ملحة
- 308.....الإسلام .. دين الواقعية
- 308.....معن بن زائدة ودرس في الحكمة

- 309..... تريث ولا تتعجل !
- 309..... حفظ الله عاصمة الرشيد !
- 310..... مصري وما تدخن ؟!
- 310..... الفرق بين المجنون والمبدع
- 310..... أمرها عجيب !
- 311..... اخشوشنوا فإن النعمة قد تزول !
- 311..... لحظة صدق مع النفس
- 312..... ماذا لو لاحظت أن ابنك لا يود الذهاب إلى المدرسة ؟
- 313..... إذا عرف السبب بطل العجب
- 314..... تصرف طبيب أبهرني
- 315..... الحوار الأسري المفقود
- 315..... الأمل
- 316..... اليابان لا تملك غير الإنسان !
- 317..... الدعاء دون العمل لا يؤتي ثماره
- 317..... تأثير البيئة على الإنسان
- 318..... نصائح مسمومة
- 320..... ماذا تفعل لو جاءت أختك إليكم غاضبة من زوجها ؟
- 321..... اهتم بأبناء من تحب
- 321..... في ذكرى استشهاد سيدنا عمر المختار
- 323..... وقفات في حياة عمر المختار
- 327..... إبداع الدكتور أكرم ضياء العمري في طرح السيرة النبوية
- 328..... البيئة كأحد متطلبات أي مشروع
- 329..... أحداث غيرت قناعاتي
- 330..... انصح بحب
- 332..... عيد الحب (الفلانتين)

- 333..... الرجل الصرصار ..
- 334..... الغزل .. قديما وحديثا ..
- 336..... الفهرس ..

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع



ببلومانيا
للنشر والتوزيع

